المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد السادس والثمانين

١ مايو سنة ١٩٣٥ — ٢٨ محرم سنة ١٣٥٤

الطبيعة في ربع قرن

مآثر العلماء البريطانيين في عهد الملك جورج الخامس

تحتفل الامبراطورية البريطانية في شهر مايو بانقضاء ربع قرن على ارتقاء الملك جورج الخامس أريكة الملك. فيجدر بنا ان نقف بضع صفحات من المقتطف على تلخيص اهم ما حفل به ربع القرن الماضي من المآثر العلمية التي تمت على ايدي العلماء الانكليز. وقد يتوهم بعض القراء ان البحث خاص لا يصح ان يكون موضوع مقال مستقل في المقتطف ولكن الواقع ان مباحث العلماء الانكليز وخاصة في الطبيعة الحديثة، من الاركان التي قام عليها علم الطبيعة الجديد فاجمالها بمثابة عرض سينمي لاشهر المكتشفات في العلوم الطبيعية في ربع القرن الاخير

كان حكم الملك جورج[1] الخامس حافلا بنشاط عجيب في ميدان العلوم، امتاز بطائفة من المكتشفات العلمية الاساسية، كان لها اكبر الاثر في توجيه الفكر العلمي في هذا العصر. ومن محاسن الاتفاق ان معظم وجوه التطور في العلم الحديث، نشأ من مكتشفات ونظريات برزت للعالم في مطلع عهد الملك جورج. ففي سنة ١٩١١ اخرج الاستاذ رذرفورد نظريته في الذرة ونواتها، وقام السر جوزف طمسن بمباحثه في الاشعة الموجبة فأفضت الى مكتشفات الاستاذ استن في النظائر isotopes — وكان الاستاذ صدى قد سبق الى فكرة النظائر وتسميتها في سنة ١٩١٠ — وصور الاستاذ ولسن C. T. R. صورته الاولى بطريقة الغرفة الغائمة التي كانت اكبر معوان لعلماء الطبيعة في بحوثهم. ونشر الاستاذ غرنند هيكنز نتائج مباحثه الاولى في الفيتامينات. وفي سنة ١٩١٣ نشر السر

(١) انظرت حقائق هذه المقالة في فصل للدكتور انسريد استاذ الطبيعة في جامعة لندن نشرته مجلة اتباء لندن المصورة

وليم براغ وابنهُ الاستاذ وليم براغ رسالتهما الاولى في اصول البناء البلّوري واستعمال الاشعة السينية لتبيّنه، واذاع الاستاذ مكاود (قسيم بالتنغ مكتشف الالسولين) نتائج دراستهِ في البول السكري

لقد اثبت البحث ، ان نظرية رذرفورد في بناء الذرّة وتوابعها ، كانت من اخصب النظريات العلمية واكثرها ثمراً في مختلف البلدان والمعاهد العلمية . فقد بين رذرفورد سنة ١٩١١ ان النتائج التي حصل عليها باطلاق دقائق الفا من احد مركّبات الراديوم ، يمكن ان تفسّر اذا فرض ان كتلة الذرّة ، مركّزة في جسم صغير ، موجب الشحنة الكهربائية ، دعاهُ النواة . وان النواة تحيط بها غيمة من الكهارب ، وهي جسيمات سالبة الشحنة الكهربائية ، فتعدّل كهربائيتُها السالبة ، كهربائيةَ النواة الموجبة ، وتصبح الذرّة محايدة او متعادلة الكهربائية . وبعيد ذلك فاز الاستاذ نيلز بوهر ، وهو عالم دنماركي كان يشتغل في معمل رذرفورد ، بتطبيق نظرية الذرة الجديدة ، على ظاهرة خاصة في خطوط الطيف ، ففسّر بها ، ما كان لغزاً مستسرّاً عن افهام العلماء . وحوالي ذلك الوقت ابتدع موزلي — وكان في معمل رذرفورد كذلك وقد قتل في خلال الحرب في حملة الدردنيل — ان قدر الشحنة الكهربائية على النواة لا وزن العنصر الذرّي ، هو الشيء الاساسي في تعيين طبيعة العنصر . وبيّن ان الشحنة الكهربائية على نوى الذرات ، تتدرج صعوداً واحداً واحداً ، وانهُ وفقاً لهذه الاعداد يمكن ترتيب العناصر من ١ الى ٩٢ فدعيت هذه الاعداد او الارقام بالاعداد الذرّية . وهي من اهم المكتشفات العلمية الحديثة في ميداني الطبيعة والكيمياء على السواء . ومن جملة ما افضت اليهِ ، تمهيد السبيل الوعر ، الى الكشف عن عناصر الهفنيوم والرينيوم والمازوريوم والاليثيوم

ثم اثبت الاستاذ فولر بالتجربة ، ان العنصر الواحد قد يحدث اكثر من طيف واحد ، وانّ ذلك يتوقف على فقد ذرتهِ لكهرب واحد او اكثر من كهاربها عند تهيجها واطلاقها للضوء . فجاء تفسير الطيوف الخاصة بهذه الذرات المؤيّنة ionized atoms (اي التي فقدت كهرباً او اكثر من كهاربها) مطابقاً كلّ المطابقة لنظرية رذرفورد وبور في بناء الذرة

ولما وضعت الحرب اوزارها ، وجّه رذرفورد نظره الى نواة الذرة ، وجمع حوله في معمل كافندش بجامعة كمبردج طائفة من العلماء الشبان ما لبث ان طار ذكرهم كل مطار . ولا يخفى ان نواة الذرة اصغر من جزء من مليون مليون جزء من البوصة . فاذا اخذت ورقة رقيقة من الذهب (والذهب يمكن تطريقه حتى تصير ثخانة بضع مئات من اوراقه تساوي ثخانة ورق السيكارة) وضخّمتها حتى تصبح سماكتها ميلاً كان علو الذرة فيها ذراعاً وحجم النواة في الذرة لا يزيد على حبة من الغبار . ومع ذلك استمر بحث رذرفورد وصحبه في النواة من نتائج كان لها اثر عظيم في تمهيد السبيل الى سر البناء المادي

من النواحي التي تسترعي النظر في بناء النواة مسألة تحويل العناصر بعضها الى بعض ، وهو أمر طالما حلم بهِ أصحاب الكيمياء القديمة . ولما كانت الشحنة الكهربائية على النواة ، هي التي تعيّن خواص الذرّة من الناحية الكيمائية ، فنحن اذا استطعنا أن نغير تلك الشحنة بوسيلة من الوسائل

استطعنا أن نحوّل العناصر بعضها الى بعض . ولكن الصعوبة ، ان الهواء أشبه بالحصن تحيط به المعاقل ، وهي الكهارب . علاوة على كون الحصن نفسه متين البناء بفعل الطاقة العظيمة التي تشدّ وثاق الدقائق التي يتألف منها . فاستعمل رذرفورد دقائق الفا واطلقها على هذا الحصن فاخترقهُ . ثم استعان بمساعده الدكتور شدك فكانت النتيجة ان استطاعا احداث هذا التحويل في بعض الذرّات ، وقد تبيّنا آثاره بكواشف غاية في الدقة

والصعوبة في استعمال دقائق الفا قلة مصادرها . فهي تنطلق من الراديوم في خلال تحوله الذاتي ومن غيره من العناصر المشعة . والمقادير التي نملكها من هذه العناصر قليلة . على انهُ في إمكاننا ان نصنع مقذوفات قوية ، بتعريض الذرّات لطاقة كهربائية عالية الضغط . ولما كانت طاقة بضعة ملايين من الڤولطات لا تجعل طاقة هذه الذرّات الا من رتبة طاقة دقائق الفا ، فالمظنون أن الضغط الكهربائي اللازم لجعل طاقة هذه الذرّات يفوق طاقة دقائق الفا ، سوف يظلّ بعيداً عن متناولنا

على أن الباحثين كوكروفت وولطن رأيا أن يستعيضا عن النقص في طاقة مقذوفاتهما ، بزيادة عددها . فكأن النواة حصن فيهِ ثغرات أو مواضع ضعف . فاذا استعمل عدد كبير من المقذوفات ولو لم تكن على جانب عظيم من الطاقة ، كان من المحتمل الرياضي ان يصيب بعض المقذوفات هذه الثغرات ، فيفعل العدد ما لا تفعله القوة . وكذلك استعمل كوكروفت وولطن ضغطاً كهربائية يقلّ عن مليون ڤولط ، فاستطاعا أن يحوّلا عدداً من العناصر الخفيفة ، وفازا بنتائج على أعظم جانب من الخطر في فهم البناء الذرّي . وقد استعمل رذرفورد نفسهُ طريقتهما هذه بعد أن حسّنها

ومن الاساليب الجديدة التي كان لها أثر كبير في ارتقاء علم الطبيعة ، اسلوب الغرفة الغائمة الذي استنبطهُ الأستاذ ولسن (C. T. R.) ومبدؤها ان الهواء الرطب اذا تمدّد ، وبرد بتمدّدهِ ، تتقلّص قطيرات من الماء على الذرّات والجزيئات المكهربة فيهِ . فاستعمل الاستاذ ولسن هذا المبدأ لتبين مسارات الذرّات والكهارب ، مع أن الذرّات والكهارب نفسها لا تُرى ، وليس في وسع الباحث المطلع على نواحي التقدم في علوم الطبيعة الحديثة أن يغالي في مقام هذا العوان المبتدع على البحث

وقد اعتمد العالمان بلاكيت واوكياليني ، وهما من أعوان رذرفورد في كمبردج ، على طريقة ولسن هذه فأثبتا وجود جسيم مادي دقيق مشحون شحنة كهربائية موجبة وهو ضد الكهرب . وقد دعي هذا الجسيم بالكهرب الموجب (البوزيترون) وأول من قال بوجودهِ الاستاذ اندرسن من علماء معهد كاليفورنيا الذي يرئسهُ العلامة مليكن . ومن الجسيمات المادية الجديدة التي كشفت النوترون (أي المحايد) كشفهُ الاستاذ شدك وهو مثل البروتون كتلة ولكنهُ لا يحمل شحنة كهربائية ما واسمهُ يدلّ على ذلك

ومن المباحث العلمية العظيمة الشأن ، لاتصالها أوثق اتصال بتحويل العناصر ، مباحث الاستاذ

أستن في النظائر (Isotope) . فقد استنبط طريقة عملية تمكنه من معرفة وزن الذرات معرفة دقيقة بامرار تيار من الذرات في مجال كهربائي ثم في مجال مغنطيسي ، فتبين له أن بعض العناصر خليط من نوعين من الذرات ، أو اكثر ، تتشابه في الخواص الطبيعية والكيميائية ولكنها تختلف في وزنها الذري . فوزن الكلور الذري ٣٥٫٤٦ وهو في الواقع خليط من صنفين من الذرات أحدهما وزن ذراته ٣٥ والآخر وزن ذراته ٣٧ وقد ثبت بعد ذلك أن ذرات طائفة كبيرة من العناصر هي خليط من هذا القبيل . وأحدثها ما عرف عن نظائر الايدروجين ، واهمها النظير المعروف باسم دوتيريوم في اميركا ودبلوجين في انكلترا ومنه يتركب الماء الثقيل (Heavy water)

وقد اتجهت مباحث الاستاذ أستن في السنوات الاخيرة الى مقدار ما تفقده الذرة من كتلتها عند اندماج اجزائها بعضها في بعض وهو بحث متصل بنظرية الاستاذ اينشتين في تحول الكتلة الى طاقة

ولا ريب في أن البحث في الذرة الذي تمّ معظمهُ في جامعة كمبردج على ايدي طمسن ورذرفورد واعوانهما من الاعجاد العلمية التي يمتاز بها عصر الملك جورج الخامس

فاذا انتقلنا من الذرة ، الى البحث في الدقائق المادية التي تفوقها حجماً اي البلورات المؤلفة من ذرات وجزيئات ، وجدنا التقدم العملي فيه للسر وليم براغ ونجله الاستاذ وليم براغ . فقد استعملا معاً قبيل نشوب الحرب الكبرى الاشعة السينية ، لتبين انتظام البناء الذري والجزيئي في البلورات . ذلك ان الدقائق المادية الصغيرة ، اصغر من امواج الضوء التي نبصر بها الاجسام . فلا تنعكس عنها ولذلك لا نستطيع رؤيتها ، لاننا انما نرى الاجسام التي تعكس امواج الضوء . ولكن الاشعة السينية اقصر جداً من اقصر امواج الضوء ، ولذلك يمكن ان تنعكس عن الاجسام الدقيقة التي تتألف منها البلورات . ولما كانت الاشعة السينية مما لا نستطيع ان نحس به بعيوننا فاننا لا نستطيع ان نرى الذرات والجزيئات بها ، فتستعمل طريقة التصوير الشمسي لتبين انتظام البلورات الداخلي . وقد تناول السر وليم براغ ونجله طائفة كبيرة من المواد ، بطريقتهما هذه ، منها المركبات المعدنية ، وهي بلورية صريحة في بلورتها ، ومنها مواد بلورية التركيب ولكنها لا تبدو كذلك مثل الزبدة والياف القطن والكتان والصوف . وقد استنبط الاستاذان طمسن (نجل السر جوزف طمسن) ورامان (الهندي) اسلوبين جديدين لاستعمال الضوء في تبين صفات الكهارب والذرات والجزيئات ، واحرز ثانيهما جائزة نوبل العلمية جزاء له على اكتشافه

اما في ميدان الكيمياء فقد كان جانب كبير من العناية موجهاً الى دراسة الجزيئات الكبيرة المعقدة التركيب التي لها شأن بأفعال الحياة . ولعلّ اهمها شأناً من الوجهتين الكيميائية المحضة والحيوية العملية ، صنع الاستاذ ورلفتن لمادة التيروكسين بالتأليف الصناعي ، وهي مفرز الغدة الدرقية ومؤلفة من جزيئات كبيرة معقدة التركيب . فكأن انساناً يفقد غدته الدرقية ، او طفلاً ينشأ ضامرها ، يستطيع الآن ان يستعيض من مفرزاتها بمركب كيائي صناعي

من أندية العلم

أنباء وآراء

[لم يتسع لهذا باب الاخبار العلمية]

﴿ سرعة الطيران الجديدة ﴾ جاء في المجلات العلمية الاميركية ان خطوة عظيمة انشأن في ارتقاء الطيران تمت لما استقل الطيار الاميركي ولي بوست — وهو الذي طار وحده حول العالم في أقل من سبعة أيام — طائرته القديمة « ولي ماي » من لوس انجلوس متجهاً الى شيكاغو . فقد حلّق هذا الطيار ، الى ارتفاع ٣٥ الف قدم او اكثر قليلاً حيث الهواء لطيف كل اللطف ، وليس ثمة تيارات هوائية تعيق الطائرة عن التقدم ، فبلغ متوسط سرعته بهذه الطائرة القديمة ٣٥٠ ميلاً في الساعة مع أن اقصى سرعتها على بضعة آلاف قدم فوق سطح الارض لا يزيد او قلما يزيد على ١٥٠ ميلاً في الساعة

ويعد ذلك نشط المستنبطون ومهندسو الطيران الى صنع طائرات تتوافر فيها الاجهزة اللازمة للطيران على هذا العلو او فوقه قليلاً — مثل أجهزة تكفل للسائق والركاب الدفء اللازم ، ومقداراً كافياً من الاكسجين للاستنشاق حيث الاكسجين قليل هناك ، والضغط الكافي على المحرك — وعندئذٍ يمكن أن تبلغ سرعة الطائرات الطائرة على هذا العلو ما متوسطه ٤٠٠ ميل في الساعة ، من دون تغيير يذكر في تصميم الطائرات الحالية فتجتاز المسافة بين نيويورك وباريس في نحو سبع ساعات فقط . مع أن لنذبرغ اجتازها في ثلاث وثلاثين ساعة ونصف ساعة

***

﴿ قلاع في الهواء ﴾ يرى الاستاذ لو المستنبط والعالم الانكليزي ، ان بناء القلاع في الهواء لا بدّ أن يكون صفة من الصفات البارزة في الحروب القادمة . وقد يسأل القارىء كيف تبنى القلاع في الهواء والاصل في القلاع بناؤها المتين الراسخ في الارض بحيث لا تهزها القنابل ولا تزعزعها . فيردّ الاستاذ لو ان الحروب المقبلة سوف تكون في الغالب ، حروباً في الجو ، وان المدن الكبيرة لا بدّ ان تحتاج الى اسراب من الطيارات ، ترتفع من مطاراتها ، لمقابلة اسراب العدو . ولكن هذا وحده لا يكفي . فلا بد من ان يبنى في الجو ما يقوم مقام القلاع والحصون على الارض . وهذا يتم بجعله جهازاً ، يستطيع ان يطلق القنابل من مدافع خاصة اطلاقاً افقياً واطلاقاً عمودياً او نصف

عمودي ، فيسددها الى الطيارات التي تحاول ان تحوم فوق المدينة لرمي قنابلها المحتوية على الغازات والمكروبات . والطيارات لا تستطيع ان تفعل ذلك لانهُ لا بد لها من الحركة الدائمة والا سقطت على الارض . وعنده ان هذه القلاع الجوية يجب ان تقام على اكياس صغيرة ممتلئة بالهليوم . والهليوم خفيف ، يكاد يقترب من الهيدروجين في خفته ، وقد ملئت به بلونات اميركا لانه غير قابل للالتهاب. على ان الاكياس يجب ان تكون صغيرة ، لانه اذا كانت كبيرة ، وأُفيست القلعة الجوية على بضعة اكياس منها ، ثم اصيب احد الاكياس بقنبلة اختلَّ توازن القلعة وهوت الى الارض. اما اذا كانت اكياس الهليوم ، صغيرة وعديدة فانقلاب احدها او بعضها لا يكون لهُ هذا التأثير

***

﴿ اوراق الكوكا والكركايين ﴾ جاء من بوانس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية (الارجنتين) ان الحكومة ارصدت في ميزانيتها مبلغاً من المال غرضهُ ان ينفق في مكافحة مضغ اوراق الكوكا بين هنود البلاد . فأوراق الكوكا هذه مصدر المخدر المعروف بالكوكايين وهنود اميركا الجنوبية اعتادوا مضغها فتخدرهم ويعودون لا يحسون بالجر ولا بالبرد ولا بالتعب

بل ان اوراق الكوكا اروج بضاعة بينهم من جنوب بلاد كولومبيا الى الولايات الشمالية في جمهورية الارجنتين ومعظم محصول هذه الاوراق تنتجهُ بوليفيا وبيرو . بل ان الكوكا في بوليفيا — كالقطن في مصر — محصولها الزراعي الرئيسي

واسم هذا النبات العلمي معقد ولكن لا بأس بايراده فهو « اريثروكسيلون كوكا » وقد تعوَّد هنود تلك البلدان مضغه وهم سائرون وراء قوافلهم او وهم عاملون على ظهورهم اعباء ثقيلة يقطعون بها مسافات طويلة . بل انهم يستعملون ورقه في شكل مكمد لكل جرح او رض او الم يصابون به . وعند ما يمر احدهم بمزار لاحد آلهة « الانكاس » الاقدمين يقدم له تقدمة مؤلفة من ورقة او ورقتين من نبات الكوكا

ويقول الكاتب الاميركي جون هوايت انهُ وقف مرة على نجد جبال الاندس على ارتفاع ١٣ الف قدم مرتدياً اكثف الملابس الصوفية ومع ذلك احس بالبرد ينخر عظامه . ولكنه رأى احد الهنود غير متأثر بالبرد مع انهُ كان يرتدي قميصاً من القطن . فكانت قطعانه تكسر الجليد الذي يغطي جدولاً من الجداول وهو يخوض في ماء الجليد وراءها وسبب ذلك ادمانه مضغ اوراق الكوكا فتزوده المادة الغروية التي فيها ضعيف الاحساس بالبرد

***

﴿ البذر بالطيارات ﴾ في سنة ١٩١٩ استعملت الطيارات في بذر البذار في الحقول وفي سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ زرع العشب الخشير في الولايات المتحدة الاميركية وجزائر هواي

بالطيارات كذلك . وفي سنة ١٩٢٩ بذرت بزور الرز في كاليفورنيا بها. ولكن هذه التجارب جميعها كانت محاولات متفرقة لم تتعدَّ مساحات محدودة من الحقول . ولا يعلم ان الطيارة قد استعملت لهذا الغرض في غرب اوربا

اما في روسيا السوفيتية فقد استعملت الطيارة لبذر البذار في مساحات واسعة من الارض في سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ وقد اتسع نطاق استعمالها لهذا الغرض في تلك البلاد اتساعاً مطرداً بعد ذلك فبذرت بها البزور سنة ١٩٣٢ في مناطق مجموع مساحاتها ١٧٠ الف فدان . وفي سنة ١٩٣٣ في مناطق مجموع مساحاتها ٣٣٢ الف فدان . وفي سنة ١٩٣٤ في مناطق مجموع مساحاتها ٣٧٠٥٥٠ فدان

وميزات البذر بالطيارة كثيرة . فبذر البزور باليد في منطقة مساحتها ٢٥٠٠ فدان يقتضي ٣٠٠٠ ساعة عمل . وبذرها بآلة يجرها حصان او بغل يقتضي الف ساعة عمل . وبذرها بآلة سيارة يستغرق ٢٠٠ ساعة عمل . اما بذرها بالطيارة فلا يستغرق اكثر من ٦٠ ساعة عمل. ثم ان محصول الفدان الواحد المبذور بالطيارة اكبر من المتوسط المعتاد لان الطيارة في البلاد الباردة تمكن اصحاب الارض من بذر ارضهم عقب ذوبان الثلج مباشرة . ومن فوائدها المأثورة ان البذر في الطين يزيد المحصول زيادة كبيرة تبلغ احياناً ٥٠ في المائة . ولكي يتمكن الفلاح من التبكير في بذر بذاره تجرب الآن تجارب غرضها اسراع ذوبان الثلج بذر مسحوق اسود على سطحه الابيض اللامع فيكثر امتصاصه لحرارة الاشعة الشمسية ويسرع ذوبانه

***

﴿ ثمن بعوضة واحدة ﴾ في فصل من فصول هذا الجزء قصة العلامة فون يورغ الطبيب النمسوي الذي كشف عن طريقة استعمال الحمى الملارية لعلاج الشلل العام الناشيء عن الاصابة بالزهري . وقد قرأنا في السيلنفلك اميركان ان حكومة اميركا عهدت الى طبيب يدعى مان في توليد البعوض الخاص بالملاريا ليستعمل في لسع المصابين بهذا الضرب من الشلل لادخال الملاريا في اجسامهم. ولكنهُ عمل حساباً فوجد ان توليد البعوض ونقله من مكان الى مكان يحتاجان الى نفقة كبيرة تبلغ نحو ٤٠ جنيهاً للبعوضة الواحدة فارتأى ان يفعل ما يأتي : — يولد البعوض ويلوث بجراثيم الملاريا ثم يستعمله في لسع المصابين بهذا النوع من الشلل في منطقة ما ثم تنزع غدده اللعابية وهي الغدد التي تحتوي على جراثيم الملاريا ويبعث بها الى المراكز المختلفة فتستعمل جراثيمها في حقن المصابين بالشلل بعد معالجتها بطريقة خاصة وهذا يوفر على الحكومة نحو عشرين جنيهاً لكل بعوضة لان اجرة نقل الغدد اقل جداً من اجرة نقل البعوض في اقفاص خاصة ، ولان ستين في المائة من البعوض الحي كان يموت في خلال النقل واما الغدد فلا تصاب بتلف ما

كتاباته في الفن الاسلامي — ١

نشأة الفن الإسلامي

والجامع الكبير بالقيروان[1]

لاحمد فكري

تكاد تكون المساجد التونسية مجهولة لعلماء الآثار جهلاً تاماً، فهي مغلقة في وجوههم لا يسمح لهم بزيارتها، ولم يظهر من المسلمين من يعنى بقيمتها الفنية فيدرسها ويكتب عنها. ولكن احوالاً خاصة تركت جامع القيروان مفتوحاً لزواره من الأجانب، وتساهل المسلمون من سكان القيروان فلم يحولوا دون زيارة معابدهم كما فعل سكان المدن الاخرى في تونس. ومع أن كتباً ظهرت حديثاً عن هندسة هذا الجامع وتأسيسه وبنائه وتاريخه فقد تبين لنا ان ما كتب عنه إما غير واف وإما لا يطابق الحقيقة أو يشوهها. والسبب الاول في هذا أن جميع من تناولوا هذا الجامع بالبحث كانوا يجهلون المساجد التونسية الاخرى مع ما لها به من صلة وثيقة، فهي تفسر ما غمض منه، وتجلو ما كان فيه موضعاً للشك. وقد اتيح لنا أن نكون أول من دخل هذه المساجد منقبين عن آثارها باحثين عن قيمتها الفنية. ولما كان لجامع القيروان شأن كبير، لانهُ اكبر الآثار الاسلامية في تونس وأقدمها، فقد جعلنا من دراستنا له الجزء الاول من كتابنا الفن الاسلامي في تونس

وقد أسفرت دراستنا هذه عن نتيجتين: الاول تاريخية. والثانية فنية

اتفقت آراء علماء الآثار الاسلامية على أن الجامع الذي اختطه عقبة بن نافع سنة خمسين للهجرة تهدم ولم يبق اليوم منه أثر. بل كان المتفق عليه أيضاً انهُ لم يبق شيء من الجامع الذي أمر ببنائه هشام بن عبد الملك على انقاض جامع عقبة. وأن جامع القيروان القائم اليوم هو من آثار زيادة بن ابراهيم الاغلبي وانه يرجع الى عام ٢٢١ هجرية. ويصعب على الكاتب كرسويل — وهو آخر من كتب عن القيروان — ان يقرر أن مأذنة القيروان ترجع الى أوائل القرن الثاني للهجرة ويقول ان الوثائق التاريخية وحدها هي التي حملته على الاخذ بهذا

واذا كان مؤرخو العرب نقلوا الينا تاريخ هذا الجامع مشوهاً بعض التشويه أو بالغوا كثيراً فيما نسب الى بعض الامراء من الاصلاحات والزيادات فيه، الا ان ابحاثنا التي تتبعناها على ضوء القواعد الحديثة لعلم الآثار قد أوصلتنا الى أن نجد بقية للجامع الذي اختطه عقبة بن نافع، وأن

---

(١) تعمق الدكتور احمد فكري استاذ تاريخ الفن بمدرسة الفنون الجميلة في دراسة فن العمار الاسلامي وطاف بلداناً عديدة بحثاً ومنقباً وقد وضع كتابين باللغة الفرنسية أحدهما في المسجد الكبير بالقيروان أحرز مقاماً عالياً بين الكتاب وهذا ملخصه وقد وضع بإرشاد المؤلف وأجري على لسانه

نحتفظ بقبلة محرابه القديم، كما أوصلتنا الى أن تثبت ان أسوار الجامع ترجع في بنائها الى عصر هشام بن عبد الملك في عام ١٠٥ هـ . لا الى زيادة الله بن ابراهيم . والى هذا العهد يرجع ايضاً بناء بيت الصلاة ، واذن فجامع القيروان يعود في مجموعه الى اوائل القرن الثاني للهجرة وهو لهذا يمكن ان يعتبر من اقدم جوامع الاسلام القائمة ان لم يكن اقدمها جميعاً. وليس هذا معناه ان السنين التالية لم تترك فيه اثراً او لم تمسه بتغيير ، فقد افسح بلاطه الوسط ، وادخل على محراب عقبة محراب آخر جديد ، واقيمت امامه قبة عالية ، وكان ذلك في سنة ٢٢١ هـ اي ٨٣٦ ميلادية في حكم زيادة الله . وبعد هذا التاريخ بأربعين عاماً في حكم ابراهيم بن احمد اضيفت الى الصحن زياداته ، واقيمت فيه قبة ثانية مواجهة للقبة الاولى على انتهاء البلاط الوسط . ولكن جامع القيروان احتفظ بعد هذا التاريخ بشكله النهائي فلم تؤثر فيه الاصلاحات الطفيفة التي ادخلت عليه في العصور التالية

واوصلتنا ابحاثنا من الوجهة الفنية الى ان نحدد الفضل الذي يعود الى المسلمين في نشأة الفن الاسلامي ونهضته وتطوره . ولما كان لا يسع البحث في دقائق هذا الموضوع الا مجلدات ضخمة واعوام طويلة فقد قصرنا بحثنا على بعض نواحي هذا الفن الهامة

ان شكل الجامع وهندسته هما اول ناحية يتشخص فيها الفن الاسلامي . وقد كان المتفق عليه بين علماء الآثار المستشرقين ان ليس للمسلمين فضل في وضع هذا الشكل . وهم مجمعون على هذا الرأي الذي يعبر عنه الاستاذ فان برشم حين يقول : « لم يكن لرجال الفن المسلمين ولمهندسيهم الاولين وسائل للتعبير غير تلك التي كانت متبعة ونشأت في الفنون البيزنطية او القطبية او الساسانية او الهندية ولم يكن لمعابدهم الاولى انظمة واشكال غير تلك التي اشتقت او نقلت عن الآثار القائمة حينئذ في الممالك التي انتشر فيها الدين الجديد بعد الفتوحات الاسلامية »

غير ان التاريخ والدين والسنة وعادات المسلمين وحالة جوهم وطبيعة بلادهم ، غير ان هذا كله يتعارض مع اقوال المستشرقين ، ويدل دلالة واضحة على ان شكل الجامع يعبر عن فكرة اصيلة غير مشتقة ، بل ان وجوهاً عديدة تثبت اختلافه عن اشكال المعابد التي سبقت الاسلام

فمسجد الرسول في المدينة هو اول مسجد بني في الاسلام . ولم يكن هذا كما ادعى (كيتاني) وكما قال الكاتب « كرسويل » منزلاً خاصاً ولكنه كان بيتاً للعبادة اقيم لهذه الغاية ، وليكون فيه للمسلمين مأوى من الشمس والمطر والرياح ، ومعزلاً من الطريق والضوضاء . واذا كان في بعض اجزاء شكله ما يدعو الى الظن في مشابهته لما سبقه من الآثار ، فما هذا التشابه الا صوري لا يتفق مع الواقع ، ولا يظهر الا على الرسومات التي وضعها علماء الآثار بأحجام مختلفة ، يتضخم عليها ما كان ضئيلاً غير ملموس من الدقائق ، او يصغر عليها ما كان في حقيقته كبيراً

وهكذا استطاع مثلاً العلامة ديولافوي ان يقرب ما بين محراب جامع قرطبة ومحراب الكتائس فانك ترى محراب هذا الجامع اوضح حجما في صورة مكبرة وضعها لجزء منه ، حالة انك لا يكاد

يظهر في التقاطع العادي الكبير للجامع اذ ان عمقه لا يتعدى جزءاً من خمسين جزءاً من طول الجامع . اذ به يتضخم في هذه الصورة المضللة ويصبح جزء من عشرة اجزاء

واذا ضربنا مثلاً آخر يتصل بجامع القيروان فقد يكفينا ان نعيد ما ادعاه كثير من علماء الآثار في اشتقاق صورة البلاط المتوسط فيه من كنائس افريقية البيزنطية . وقد يكون لهم حق في هذا الادعاء لو أننا رسمنا صورة لجامع القيروان يظهر فيها البلاط الاول مكبراً والسكبة الاولى متسعة ، وبمجرد هذه الصورة من ثلاثة ارباع بلاطات الجامع ومن صحنه ومن مأذنته ومن ابوابه وزياداته واسواره ، فنخرج من هذا كله بشكل قد يتفق مع شكل احدى الكنائس . وهذه عملية تسهل على صحيفة من الورق او في خيال أحد المفكرين ولكنها لا تطابق الواقع ، ولا تجوز او لا تصلح ولا يمكن ان تتم في بناء قائم حي كجامع القيروان . واذا عدنا الى الحقيقة وجدناها صريحة لا تقبل النقض ولا تتحمل الشك . فقد بحثنا في جميع كنائس الارض علنا نعثر فيها على سكبة طولها ٧٧ متراً ، او نسبة طولها الى عرضها كنسبة طول السكبة الاولى الى عرضها في جامع القيروان او ١٣ الى واحد فلم نجد اثراً لهذا ، او لما يقرب من هذا ، بل ولا لما يقرب من نصف هذا . وما سمعنا يوماً بكنيسة من الكنائس يراد ان تتسع فيزاد في طول سكبتها ، وانما المتبع هو ان يزاد في طول صحنها ، فالكنيسة بناء لا يقبل زيادة من اية جهة كانت ، اما الجامع فعلى عكس ذلك ، ان شئت زدته اتساعاً من جنوبه او من شرقه او من غربه او من شماله

بين الجامع والكنيسة اختلاف في الشكل ، وبينهما اكثر من هذا اختلاف في الفكرة . ولا يقتصر الامر فيما نحن بصدده على تنظيم شكل او على ابتكار فكرة ، وليكن الذي يعنينا هو اخراج هذه الفكرة الى حيز العمل ، هو هذا البناء القائم عليها . ولا شك ان بناء جامع القيروان نفسه هو اكثر ايضاحاً واشد حجة من كل ما كتبه عنه المؤرخون وعلماء الآثار

وكما ان الحاجة لا تدعونا الى وثيقة تاريخية نثبت بها ان اعمدة هذا الجامع وتيجانه رومانية قديمة أخذها العرب عن آثار مندثرة — فهي وحدها تنطق بذلك — فكذلك لا تدعونا الحاجة الى مثل هذه الوثيقة لنثبت بها الابتكار الاسلامي فيما يعلو هذه الاعمدة من حدارات (impostes) وقُرم (tailloirs) وأقواس ، اذ لم يسبق ان استعملت هذه العناصر في تاريخ فن العمارة في مثل الوظائف التي تؤديها في القيروان ، ولم تتخذ قبل ذلك مثل الاشكال التي اتخذتها فيه . اما أوجه الشبه التي رآها فيها علماء الآثار مع اشكال اخرى كانت موجودة قبلها فهي لا تتفق مع روح الفنون ولا تطابق تطوراتها ، إذ لا يمكننا ان نقبل ادعاء يقول بأن القوس المتجاوز — ذا حدية الفرس — كان مستعملاً في الهند وفي سوريا قبل استعماله في الفن الاسلامي لم تكن لبنّاء جامع القيروان غاية زخرفية عند ما فكر في اقامة هذه الاقواس والعقود وانما كانت كل عنايته متجهة الى تذليل الصعاب المعمارية التي ظهرت أمامه من دفع للقوى وضغط للاثقال ومقاومتها ، ومن اضاءة بيت الصلاة ، ومن اقتصاد في مواد البناء . كل هذه مسائل كانت تشغل فكره ولم يقابلها مجتمعة بناء قبله . كانت جديدة

في حدتها وكانت الفكرة التي حلت صعابها جديدة أيضاً . فلم يسبق في تاريخ فن العمارة ان استعملت مثل هذه الأقواس المتجاوزة على حدارات مرتفعة . وهي وعناصرها تؤدي في جامع القيروان وظائف عملية عديدة منها اقتصاد في مواد البناء ، وزيادة في اضاءة بيت عميق خال من كل الفتحات الا تلك التي تصل اليه من الصحن ، وضغط أقل على الاعمدة ، ومقاومة اكثر بطرد الانحناءات

ويجب أن لا ننسى اننا من الخطأ أن نحكم على أثر من الآثار من ناحية واحدة فقط ، سواء كانت هذه الناحية في قطاعه السطحي وتنظيم رسمه ، أم كانت في بنيته الداخلة واقامتها ، أم كانت في كتلته ، أو في بنيته الخارجة ، أم كانت في زخرفته ومؤثرات اجزائه . واذا نحن اردنا أن ندرس أثراً من الآثار فان تكون دراستنا مجدية ان نحن فرقنا بين ناحية وبين اخرى ، أو ان لم ندرسها باعتبار الواحدة منها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمجموع النواحي الاخرى . فاذا نحن أخرجنا منارة القيروان من الجسم التي هي عضو فيه ، فقد تفصل في شكلها الخارجي بالابراج السورية ، وقد تكون مأخوذة عنها ، كما قد تكون لقباب القيروان صلة بالقباب الفارسية ، ولدعامات أبوابه علاقة بدعامات الحصون البيزنطية ، ولكن هذه الصلة وهذه العلاقة لن تبقى قائمة اذا نحن أعدنا هذه الاعضاء إلى الجسم الذي كانت تعيش فيه ، ولن يجوز وجه للشبه بعد هذا ، وسرعان ما تتلاشى ذكرى هذه العناصر

ليس جامع القيروان عبارة عن مجموعة من الأعمدة والعقود ، ولا هو قبة ، أو منارة ، أو مدخل ، أو اسوار ، بل ليس هو كل هذه العناصر متمشقة ، ولكنه جسم حي وما هي الا اعضاء فيه ، اذا هو عاش بها فهي تستمد حياتها من جسمانه ، وبيانها المعنوي من كتلته

وكيف لا نشعر بذلك اذا وقفنا امام مدينة القيروان ، فكأنها تمتد فسيحة مبطحة ليظهر فيها الجامع اكثر جلالاً وأسمى عظمة . بل ان المدينة كلها تكتسب عظمتها من هذا الجامع . وهل لا تتضاءل بعد هذا ذكرى الابراج السورية امام هذه المنارة المنيعة الاساس ، القوية التوازن؟ وكم تستهوي القباب الفارسية أمام خفة قباب القيروان ورشاقة صورتها ، وكم تتثاقل وتغلظ الدعائم البيزنطية اذا قوبلت بدعائم القيروان التي تمد أسواره بقوة فيها كثير من الجمال ، وتحيط مداخله برونق يحفه الجلال . لم تكن غاية دراستنا لجامع القيروان ان نصفهُ وصفاً دقيقاً في جميع اجزائه بل اردنا ان نثبت بها ان هذا الجامع كتلة واحدة لا تنفصل اجزاؤها وفكرة واحدة لا تتشعب عناصرها وان هذه الفكرة جديدة تهيأت في وسط ديني اسلامي وخضعت للبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها ، وللوسائل المادية التي تكونت منها . وأردنا ان نحدد ايضاً الفضل الذي يرجع في ابتكار هذه الفكرة وفي اخراجها ، الى رجال الفن من المسلمين . فدلنا البحث على ان بناة القيروان كانوا مهندسين على علم واسع بكل دقائق الفن ، وذوق متسع لكل نواحي الجمال ، وتقدير منطقي لكل وظائف البناء وحاجيات بيت الصلاة والمصلين . وكفاهم فخراً وكفى عبقريتهم فضلاً انهم تركوا في تاريخ المدنيات صفحة جديدة باهرة ، فأقاموا اثراً معمارياً اصيلاً في شكله وبنيته وكتلته ومؤثراته

احتضار الغرب

أو فلسفة القدر الحديثة [1]

لعلي حسن الهاكع

ليست الثورة الفكرية التي أحدثها شبنجلر بالتي تتسع لها عجالة صغيرة ، وهي التي هزّت الفكر والفن منذ سبعة عشر عاماً ، وصدمت المألوف حتى في أكثره بداهة وجلاء

ولقد فرغتُ من قراءته للمرة الثالثة وبلغتين احداهما لغة المؤلف . وهي اللغة التي لا مفرّ منها للوصول الى معاني شبنجلر الدقيقة وفهم العبارات والألفاظ التي صاغها لتأدية المعاني الجديدة التي ابتدعها

ومهما يكن في آرائه الفذة من الشذوذ الا أنها في مجموعها تفسرك على النظر الى الكون والحياة وتاريخ الانسانية والفنون والمجتمعات والمدنيات والثقافات نظراً كله جدة وغرابة ، ولا يخلو من لذة ليس بعدها لذة

حقاً أن شبنجلر هو ذلك الفكر الذي حلّق في آفاق لم يكن الخيال ليحلم باحتمال ولوجها . إذ صدع فيه معاقل كانت لبداهتها وألفتها في مأمن حريز من النقد والاعتراض . نعم لقد قام بثورة قلبت أوضاع البحث الفلسفي والفنون وسائر الاتجاهات العلمية والأدبية . وعلى رأس ذلك البحث التاريخي نفسه . وكفاك دليلاً على ثورته الهائلة أنهُ اكتسح هياكل فكرية وفنية حمتها القداسة مئات بل آلافاً من السنين . من المحتمل أنهُ تاه قليلاً أو كثيراً في ميادين بحثه الجديدة . ولكن يلتمس العذر لمن غزا فردوس عقليًا لم يطأه مفكر من قبل . يعذر أن فلت منهُ خاطر هنا أو هناك . اذ لن يعمّ ذلك عظمة ابحاثه . وكفاك أنهُ نزع عن المنطق سلطانه المتين وعراه من أسلحته التي مكنت لهُ في الميادين العلمية . وأرانا كيف أن القدر هو المحرك الوحيد لاعظم الحوادث وأصغرها . كما أبان كيف أن الحضارات والمدنيات تسير في أدوار مرسومة لا مفرّ منها ، وأن الحضارة الغربية التي نشهد احتضارها الآن لا مناص لها من السقوط الذي قد بدأ . ومن العبث الانخداع بمظاهر القوة من اسلحة فتاكة واستمرار . فذلك ـ وهنا احد أوجه الغرابة ـ شأن السقوط في المجتمعات.

ويستخرج لك شبنجلر من بطون الحوادث التاريخية القديمة والحديثة ما يقطع برأيه ويدعمهُ

وأن عظمة شبنجلر لا تقتصر على هذه الثورة الفذة من الآراء الهادمة . بل أنها لتتجلى ايضاً في تلك المقدرة الاعجازية التي جعلت ذهنه الجبار يتسع لتلك الجبال الضخمة من المعلومات التي ضمها

---

(١) كتب بعد قراءة Oswald Spengler وهو مترجم الى كل اللغات الحية Der Untergang des Abendlandes

ونسقها وتناولها في خفة وحذق . فهو يكاد يُلمّ بكل شيء . عمظم اللغات الحديثة والقديمة . ثم بتاريخ كل أمة وحضارة — ثم بالعلوم والرياضيات بجميع أنواعها — ثم بالفنون الجميلة من بناء وتصوير وموسيقى وشعر وأدب — ولكل أمة وحضارة . حتى الدين والفلسفة — في الهند والصين والازتيك (احدى حضارات امريكا المتوسطة القديمة) — ثم — وهنا الاعجاز — قد هضم كل ذلك بقرة حتى أصبحت هذه المعلومات شطراً من نفسه وفكره . واخذ يتلاعب بتلك الكنوز ويقتنص بينها علاقات لم تخطر لذهن بشر — علاقات وارتباطات كلها طرافة وطلاوة — فيستعرض الحادث في مصر القديمة ، ويعطيك مقابله تمثالاً معيناً في مدنية اليونان القديمة ، ثم قطعة موسيقية في الحضارة الغربية الحديثة ، أو بستاناً نضراً في زمن معين من تاريخ الصين

وهو يفيض في عبارته كأنما قد عاش بين تلك المدنيات ، ثم يستقرىء سرها المدفون — كأنهُ — استغفر الله — مبدع تلك الفنون وخالق تلك الحوادث والاشخاص التي غيرت مجرى التاريخ . وهو في كل ذلك يرجع الى المنطق ليهدم المنطق . ويلجأ الى ذهنه الجبار وطريقته العلمية ليهدم بها الاسلوب العلمي المألوف

وهو قد أرغم التاريخ على أن يبوح بسره لأول مرة . فتتجلى لك أروع الحوادث بلون جديد لا أثر فيه للسببية القديمة التي تخرج من الاسباب الى النتائج وتتجاهل الالهام والصدفة والعناية الالهية

فحذار من قراءة شبنجلر ان لم تكن واسع العلم ، عميق الاطلاع . فانهُ غير مفهوم للضحضاح من المتعلمين ، والا فانك مضطرٌ للرجوع الى المراجع والمظانّ بين كل سطر وآخر ، بل بين كل كلمة واخرى ، وال ذلك يرجع احد الاسباب في عدم ذيوع آرائه ذيوعاً يتفق وعظمتها ، وكان يصح ان يؤلف كتاب شبنجلر في عشرة آلاف صفحة بدل الألف التي حصره فيها

واني اخشى ان يؤخذ شبنجلر على انهُ رجل فكر وخيال فحسب ويظن فيهِ عدم اتصال آرائه بالناحية العملية كالخلقية Ethical والاقتصادية والسياسية . فذلك وهمٌ ، اذ انهُ ضرب في كل ذلك بسهم وافر . فهو كما علمنا كيف نقرأ التاريخ فانهُ هدى الملحد الى الايمان بالله . وعلمنا كيف نفكر ونتأمل ونثق بالواقع اكثر من ثقتنا بالمعقول . وكشف لنا عن الميادين التي لا مناص من حصر المباحث العلمية والاجتماعية والفنية فيها . واليك احدى نواحيه وتحذيراته : ذلك ان الفلسفة والفن والالهام قد نزلت في هذا العصر عن عروشها . وان الفنان الآن انما يحاول المستحيل لاحلال الروح الفنية من جسم الحضارة . وانهُ اولى بالتوجيه في العلم والتربية ان يتجه الى الناحية المادية والسياسية التي هي طابع هذا الدور في المدنية الغربية الحالية كما سنبين ذلك بعد

وقد طعن الداروينية في احد اسسها الهامة وهو التطور التدريجي مطابقة للبيئة . واثبت أن الانقلابات الهامة في تطور الكائنات والمجتمعات والانظمة والفنون والعلوم بل والعقائد انما كانت لغاية املاها القضاء المحتوم كما يملي على نمو الفرد من الكائنات في تشكيل جسمه الى ان يصير تام الشكل

والتكرين . وأثبت بأدلة جلية أن هذا القضاء هو الذي فصل فجأة وظائرة لا تطوراً وتدرجاً بين الجماد والحياة وبين النبات والحيوان وبين كل نوع والآخر وأن القضاء هو الذي حدّد حياة كل فرد وكل نوع وكل حضارة . وفسّر بذلك عجز علم الحفريات عن الاهتداء الى هيا كل بشرية تثبت التدرج بين الانواع السفلى للانسان وبين ظهور الانسان فجأة . وعجز علم طبقات الارض عن الاهتداء الى السر في وجود تلك الطبقات المحدودة من التكوينات الارضية وكان أولها بناءً على النظرية القديمة التدرجية ان تكون الطبقات المذكورة ذات تدرج غير محسوس عكس الواقع (١)

وإن ما حصل له في كيفية وضعه مؤلفه التاريخي لدليل على صدق ما أتى به من ان الناس والمجتمعات مسوقة بدورة محتمة لا تدبير فيها للارادة الذاتية والاجتماعية اذ انهُ لم يكن يرمي الى ذلك الفتح الذي أتى بهِ والذي يُقر شبنجلر نفسه بأنهُ فلت منهُ عن غير قصد او تدبير . اذ كان في عام ١٩١١ يُفكر في وضع بحث عن الموقف السياسي واحتمالاته وكان يُحسُّ دنوَّ الحرب العظمى بناءً على التقديرات . ولكن أفق البحث أخذ من تلقاء نفسه وبعصا ساحر يتسع امامه حتى خرج بهِ البحث من ميدان العوامل المحيطة الى العوامل المشابهة في العصور الاخرى ثم يذهب (حتى اتصل بحضارات اخرى) واذ ذاك (تكشفت له علاقات بين الحضارات) ومشابهات في دوراتها لم يحلم بها البشر من قبل . فأخذ يدرس العصور والحضارات بفنونها وآدابها وانقلاباتها السياسية والاجتماعية مهتدياً بضوء جديد أرسلتهُ العناية الالهية ، حتى نما شيئاً فشيئاً ذلك الصرح السحري الذي شيده شبنجلر والبناء الجديد الذي بنتهُ فلسفتهُ وابحاثه للكون بعد أن قضى على البناء القديم والاسلوب القديم الذي بنتهُ بهِ الفلسفة المألوفة

وكي نفهم شبنجلر لابد من معرفة مدلول الفاظ ابتدعها لمعنى خاص يغلب عليها المقابلة والتضاد — اي أزواجاً متضادة منها الكينونة وبالألمانية Sein والصيرورة وبالألمانية Werden . ويرى في الحالة الاولى رمزاً للجمود والتصلب والموت وفي الثانية رمز الحركة والالهام والحياة . والفراغ في نظره عنوان الجمود والزمن عكسه — فهناك منطق الفراغ الصامت الجامد وهو المنطق المألوف ومنطق الزمن الحي النامي وهو منطق شبنجلر الذي يتصل بالقضاء والتعاقب الزمني . وفي تدليل عجيب واستعراض لحوادث التقدم العلمي والفني يُريك الادلة الناصعة على ذلك . فالقدر في نظره يتغلغل في الديانات الميثولوجية والالهام الفني بعكس المنطق المألوف الذي تحجّر في اللغة الرياضية

وجوهر بحثهِ يدور على محور الحضارات لا الشعوب ولا الامم ولا اللغات كما بحث هربرت سبنسر من قبل وضلَّ في بحثهِ . اذ اثبت شبنجلر بالادلة القاطعة عدم وجود الفوارق الرئيسية التي ينص عليها علم الشعوب الحديث . ويرى ان (وحدة التاريخ انما هي الحضارات) ودلّل على ان لها حياة محدودة

(١) اكتشف النباتي De Vries الهولندي في تجاربه النباتية ظهور نباتات بصفات جديدة لا مناسبة لها (فجأة) في حقل تجاربه . وكان ذلك دافعاً له الى تسجيل النظرية الغريبة التطورية التي سماها The Mutation Theory

وادوار معينة من ميلاد الى شباب ثم شيخوخة وموت محتم. وقد حدد حياة كل حضارة بالف سنة، مثبتاً ذلك بأدلة قاطعة مطبقاً نظريته على سائر الحضارات المطروقة وغير المطروقة كالمصرية القديمة والهندية والصينية والعربية واليونانية والغربية (الحالية) حتى الامريكية القديمة (الازتيكية). فقد رأى شبنجلر ان المؤرخين درجوا على سنة تقسيم التاريخ الى قديم ومتوسط وحديث متأثرين بالزمن الحاضر والمكان القريب واللغة والقومية، قاذفين بالماضي البعيد الى نصيب ضئيل من العناية. فكان مؤرخو العرب مثلاً يرون في حاضر بلادهم من خطر الشأن ما دفعهم الى تقدير تاريخ البلاد الاخرى والماضي البعيد للبلاد العربية نفسها تقديراً ثانويًّا. وكذلك مؤرخو الفرنجة في العصر الحديث. فانهم يجمعون تاريخ الامم القديمة جميعها في حيز ضئيل تحت عنوان العصر القديم ثم يبحثون تاريخ الامم الوسطى ناظرين اليه نظرتهم الى المجتمعات غير الناضجة، ثم يتناولون التاريخ الحديث كأنه الكل في الكل. وقد تأثرت بهذه الوجهة النظرية جميع الابحاث والمناهج الموضوعة للتدريس. كما حصل في مصر من تخصيص دروس السنة الاولى الثانوية لتاريخ الامم القديمة جميعها

***

لم يكتف شبنجلر بهدم هذا الاساس بالنسبة للماضي والحاضر بل تخطى ذلك الى معجزة التنبؤ بالمستقبل قياساً على الماضي، لا كنتيجة لاسباب حاضرة فعالة، بل كمراحل محتمة شأن الكائنات الحية تماماً اذ تستطيع ان تقدر ما يصيبها من تغيرات في تكوينها في اوقات معينة بحسب نوعها

ويطلق شبنجلر كلمة اوقليدسي على التقسيم التاريخي المألوف نسبة الى اوقليدس Euclid الرياضي الشهير حالة انه اطلق كلمة كوبرنيكي على نظامه نسبة الى كوبرنيكوس Copernicus واضع النظام الفلكي الحديث الذي فيه الكرة الارضية ذات شأن ضئيل في المجموعة الشمسية والنظام الفلكي عامة. وكذلك ابان شبنجلر ان العالم الانساني يصوره في تطوره حضارات متسلطة على كل العناصر الاجتماعية وان هذه الحضارات تخضع لناموس عام من النمو لا يفرق بين حضارة واخرى الا في الطابع الخاص الذي يميز كل حضارة عن الاخرى كما تتميز انواع الكائنات وافرادها بعضها عن بعض. فقضى بذلك على مكانة الحاضر والتأثر بالتاريخ القومي، تلك المكانة التي سيطرت على الابحاث التاريخية في كل العصور. وعلى هذا الاساس او قل على هذا البناء الجديد الذي شيده شبنجلر للتاريخ استطاع ان يقوم بمعجزة وضع الوان العمران بانواعها المختلفة في مكانها الطبيعي، فكشف لنا عن سر تقدم الفنون الجميلة في عصور معينة وانحطاطها في عصور اخرى، كما اراناً سر التطورات السياسية والاجتماعية والعلمية غير تارك ظاهرة دون ان يزيل عنها ذلك الغموض والخلط اللذين تسلطا على الابحاث الى عصرنا هذا وهي مما لا يطمئن اليه الحكم والتدليل. وبذلك تكشف لنا التاريخ عن مظهر جديد، فاذا بتاريخ الامم المنفصلة والفنون والعلوم المستقلة بعضها عن بعض اوهاماً، وأصبح هناك فن وعلم ورياضة « Mathematics » وفلسفة خاصة بكل حضارة. وأصبح القول بتاريخ فن النحت او التصوير او

الموسيقى او البناء خرافة من الخرافات اذ لكل منها في كل حضارة روح خاصة غير متصلة بروح الحضارة الاخرى

وقد نشأ من اكتشاف رائع اساسه تحديد جنى للقطبين لا يزالان مختلطين في ميادين البحوث وهما Culture و Civilization ودعنا نسمي الاول حضارة والاخير مدنية . فالحضارة « Culture » هي الاصل . وهي التي يطلقها على الدورة جميعها . وهي التي تُينْع وتبلغ عز ازدهارها في شباب الدورة كالمصرية القديمة في عهد الاهرام والحضارة الغربية في القرون الوسطى . اما ذلك التقدم المادي الخالي الذي يخدع المؤرخ فيتصوره اوج الحضارة ، ألا وهو العمران العظيم والتقدم الاقتصادي والاستعماري والآلي فقد دلل شبنجلر على انهُ رمز الموت والفناء وهو الذي اطلق عليهِ شبنجلر كلمة مدنية « Civilization » وهي المرحلة الاخيرة للحضارة كالحالة التي بدأت تسيطر على الحضارة الغربية من القرن التاسع عشر وستفنيها حتماً . فالحضارة الشاب، والمدنية الكهولة والشيخوخة

وفي الحضارة تزدهر الروح الفنية وتكون على اشد خصوبتها . فتظهر روح الفن الاصيلة وتتحلى طابع الحضارة وتتخذ رموزها شكلها الخالد الذي يختلف بين كل حضارة واخرى . ويكون مجتمع محوره المدن الريفية الصغيرة التي تسيطر عليها حياة الاشراف ورجال الدين مثل الرها وانطاكية في المدنية العربية وبروج ونورنبرج في الغربية . وفيها تنشأ الفنون لا لكسب شأن المدنية بل ينطق بها الفنانون المهمون . أما المدنية ففيها يجدب الفن ويصبح عقيماً منحصراً في افتراض الرموز والاساليب والزخارف التي انحدرت من عصر الحضارة بعد ان فقدت روحها واصبحت هياكل ميتة . وفي الوقت نفسه تتقوى الناحية العقلية Intellectual وتسيطر على المدنية . فتنشأ الوان المذاهب الاجتماعية المبنية على تنظيم جديد لمجتمع اساسه المصالح المادية كالاشتراكية والدولية والشيوعية . وهنا يأتيك شبنجلر من تاريخ مصر القديمة وبلاد الصين والهند بما يثبت وجود ذلك كما هو واقع الآن في المدنية الغربية . وفي هذه المرحلة تنشأ المدن الكبيرة الهائلة « Megalopolis » وتصبح الأخلاق مادية ويضعف الايمان وتضمحل سلطة الاديان ويقضي على الميزات القومية في الفن والحياة

ويخضع شبنجلر تاريخ الامم العبرانية والعربية والفارسية والبزنطية وسائر امم الشرق في القرون الاولى قبل الاسلام وبعده الى حضارة واحدة اطلق عليها الحضارة العربية . كما وضع تاريخ روما في مكانه الطبيعي كمرحلة المدنية Civilization المتحدة للحضارة الاغريقية التي بدأت في المدة الواقعة بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ قبل الميلاد . وفيها نشأت الالياذة . ورأى في تاريخ روما الاخير وبزنطة روحاً عربية . وبان كيف كان الامبراطرة الرومان والبابوات في القرون المسيحية الاولى يأتون بصناع وفنانين من الشام وبخاصة بيروت ليبنوا الكنائس في روما والقسطنطينية وبعض المدن الاخرى في ايطاليا وجنوب فرنسا وهي كنائس متأثرة بروح المساجد ذات القباب اي خاضعة للفن

العربي . وكذلك عند تحول كنيسة او صرفية الى مسجد لم يحصل اي تغيير واذا وجدت المدنية العربية انها المفقود !

ويرى شبنجلر ان الحضارة الغربية قد اجدبت وافرغت جعبتها الفنية كما تمخضت الحضارة المصرية عن الطريق المرسوم والموميا وغيرها من رموز الاستمرار والخلود. كذلك تمخضت الحضارة اليونانية عن التمثال العاري. والحضارة العربية عن الكيمياء والجبر والقباب . والحضارة الصينية عن البستان والجمال في الطبيعة كرموز لروحها . ولم تكن هذه الرموز مجرد اتفاق وانما هي تعبير جلي للروح التي تغلغلت في الحضارة ونطقت عن لسانها . فهو يرى ان الحضارة المصرية حضارة بناء تسيطر عليها روح شاعرة بالزمن متجهة في خط مستقيم الى غاية معينة متشبثة بالخلود ورمزها التحنيط والهياكل الخالدة . وعلى الضد من ذلك الحضارة اليونانية والهندية التي تجاهلت الزمن فقضت بأعدام الاجسام حرقاً بالنار في طقوسها الدينية عند الموت ، ولم تكترث للعناية بالتنقيب عن الآثار المدفونة في بقايا المدن عقب احراق الفرس لها ولم يعن باستخراجها الا ممثلو الحضارة الغربية في العصر الحديث . اذ ان الحضارة الغربية الحالية كالمصرية من حيث استيعاب الزمن واحترامه. ويرى شبنجلر في حضارة الغرب الاولى المتجلية في كاتدرائياتها المحدقة في الفضاء واللانهاية موسيقى متحولة الى البناء بتأثير بقايا المدنية الكلاسيكية « اليونانية القديمة » المحيطة بوطنها . وعلى ذلك يرى في الموسيقى طابع هذه المدنية الحالية وانها لم تتمكن من الانطلاق الطبيعي « اي الى الموسيقى » الا في أخريات حضارتها على يد الفنانين العظماء كموزار وبيتهوفن وآخرهم فاجنر . ولا يتصور احد مقدار الروعة لهذه الموسيقى لو تمكنت من الانطلاق في شبابها بدل الاختناق في ذلك الرسم البنائي Architectural

أما الفنون في عصر المدنية فانما هي حِرَف ، ان كان لها جمال فهو جمال مصنوع او مركب اقرباذيني عديم الروح والسحر شأن البناء والموسيقى والادب في العصر الحالي . فلا نجد طابعاً خاصًّا يميز انتاج الفنان وانما هو تشكيل من سائر الاساليب التي انتجتها الحضارات الاولى بما فيها الحضارة الحالية . خذ بناء من الابنية الشهيرة التي تشيد او قطعة موسيقية حديثة فانها تثبت ذلك وهي لن تبقى وتخلد . ومن ذا الذي يطمئن الى هذه الفلسفة التي فسرت ذلك الانتاج المتحول الذي طغى علينا في هذا الاوان وهو انتاج عقيم لا روح ولا خلود ولا قيمة فيه ، شأن الاحياء الخاليين الذين تمروا الاسواق مسوقين بدوافع الكسب والدعاية وتمروا من متون الالهام والعبقرية

وتتأثر الحضارات في ميلادها واثناء دورها بالحضارات المحيطة تأثراً ماديًّا لا روحانيًّا . وكثيراً ما تدثرت بزي غريب مأخوذ من المدنيات القائمة كما تأثرت الحضارة العربية بالمدنية الرومانية « التي هي المرحلة المتممة للحضارة اليونانية كما سبق الذكر »

ولذلك كشف شبنجلر عن سر قد خفي الى الآن . هو ذلك التناقض الذي وقع فيه فلاسفة الحضارة الغربية بعد دراستهم الفلسفة اليونانية . ذلك أن روح المدنية العربية القائلة بالازدواج

والخفاء والروحانية لم تكن تتصور الفلسفة اليونانية الفردية المجسمة تصوراً تاماً . ولذلك كان عبثاً من الفارابي وابن رشد وغيرهم التوفيق بين آراء افلاطون وارسطو من ناحية والفلسفة العربية المحضة من ناحية اخرى لانهما لتناقض غير قابلتين للترجمة . وكذلك المدنية الغربية منذ عصر النهضة الى الآن فانها لا تدرس المدنية اليونانية وانما تدرس روحاً غربية في شكل كلاسيكي

وكما تتدثر الحضارة بزي حضارة اخرى في احدى مراحلها كذلك قد تقتل قتلاً او تبقى بحالة جامدة لا حياة فيها . فالحضارة الازتيكية كانت في عنفوان شبابها ابان اكتشاف اميركا وغزوة الاسبان لها ، ولكن جاءت تلك الغزوة فسحقت تلك الحضارة ولم تبق لها على اثر . اما تحجر الحضارات اي بقاؤها جامدة لا حياة فيها بعد عمرها المحدود فهو يصيبها في اواخر ايامها على هيئة النظام الامبراطوري اي عقب انتهاء المدنية كما اصاب المدنية الهندية والصينية والعربية التي ظلت مئات السنين في مواطنها

يرى شبنجلر ان لكل حضارة رياضة خاصة « Mathematics » . وان الرياضة — وهنا العجب والغرابة — انما هي تحجر للصور التي تمخضت عنها الحضارة وانها لا تتكون وتستقر في صورتها الثابتة الا في اول عهد المدنية . فالرياضة من رموز الموت ويرى في العدد رمز الحضارة اليونانية والهندية ، وفي الجبر — اي العدد غير المحدود — رمز الرياضة العربية ، وفي حساب التفاضل والتكامل « Calculus » اي الوظيفة العددية رمز الرياضة الغربية بروحها اللانهائية

وعلى اساس هذه الابحاث اصبح شبنجلر يطلق « المعاصرة » على معنى جديد يتخطى الازمان والاحقاب وينصب على مكان المعاصر في مرحلة تطور الحضارة . فهو يرى ان بوذا في الحضارة الهندية يقابل سقراط في اليونانية والكندي في العربية وروسو في الحضارة الغربية . ويحذرك من التشابه السطحي كما بين الاسكندر واغسطس قيصر اللذين يختلفان اختلافاً كبيراً . كما انه يجعل افلاطون معاصراً للفارابي في المدنية العربية وجيته Goethe في الغربية

وليس من الممكن التعرض لكل ما اتى به شبنجلر من آراء فذة في مقال بسيط كهذا . ولكن ما يمكن استخلاصه من قراءته هو انه رجل هادم لأمتن العقائد والمذاهب الفلسفية . لم يُبق على علم أو فن الا اتصل بأعمق اغوازه ثم اخذ بمعوله الجبار وانقضّ تهشيماً وتحطيماً فلم يترك فلسفة ولا عقيدة ولا علماً الا وعراها . ونزع عن المنطق سلطانه على الابحاث بعد ان اكتشف في القدر لغز الوجود ، وابان كيف يلعب القدر بالعقل والاحكام ، وكيف ان النظريات التي اتت بها الفلسفة متقيدة بالمكان والزمن ان هي الا اوهام . كما بين ان القوانين العلمية والاخلاقية والرياضية ايضاً اوهام تبرز في عصر المدنية . اذ ان لكل شيء بداية ونهاية يمليهما القضاء والقوة الخفية التي تحرك الكون . وكذلك بعد ان فرغ شبنجلر من تحطيم كل شيء استطاع ان ينتحي ناحية من هذا الكون المحطم وان يستضيء بالهامه فيبني كوناً آخراً على ذوق لم تألفهُ العقول البشرية

تاريخ الديموقراطية

في الصحة والعلاج

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك[1]

اريد في مستهل الكلام ان ازيل لبساً قد تعلق بمعنى الديموقراطية عند استعمالها مقرونة بتاريخ الطب والصحة العامة . فقد وضعت كلمة الديموقراطية في الاصل للتعبير عن « حكم الجمهور » . ثم تغير المقصود منها على تعاقب العصور وبحكم الاحوال حتى صار يقصد به « المساواة » في العرف الشائع . فاذا استعملنا هذا الاصطلاح في بحثنا هذا فانما نقصد به « حق التمتع بالصحة والعلاج »

ولا ينكر ان المساواة المطلقة في الصحة والعلاج تكاد تحسب في جملة المستحيلات . اذ اننا نرى على درجات مختلفة من الاستعداد الصحي ومتانة التركيب . وعلى ذلك يكون المقصود من معنى الديموقراطية هو توفير الوسائل الضرورية للعلاج وصون الصحة لمختلف افراد الشعب . وبالطبع لا يتعارض هذا مع قدرة البعض على استشارة اكفإ الاطباء والمجربهم خبرة وعلماً ، ودفع نفقات العلاج بأحدث الآلات وأنجع الوسائل في التطبيب وانسكنى في اصح الجهات مناخاً وفي افخم المنازل بناء مما لا يتيسر لعامة الناس

ان حق التمتع بالصحة هو في الواقع جزء لا يتجزأ من الحرية الشخصية التي تعتبر في عصرنا هذا من الحقوق المطلقة لكل انسان . لم يتمتع الانسان الاول في فجر التاريخ بالصحة ، ولم ينعم بحق المعالجة من غير مقابل ، كما ينعم بالهواء ونور الشمس ، بل كان هذا مقصوراً على من يحوم رئيس القبيلة بعطفه ويحميهم برعايته وايثاره ، فقد كان هو الطبيب المعالج كما كان المتصرف في الادوية . ولا يزال هذا شأن رؤساء القبائل في مجاهل افريقيا . ثم انتقل الطب من دائرة اختصاص زعيم القبيلة الى طبقات رجال الدين ، فكان هؤلاء يضمون الى معالجة الارواح معالجة الابدان والعناية بصحتها . وكانوا يبذلون خدماتهم الطبية والصحية لقاء ما يقدم اليهم من قربان وهدايا . وعلى هذا لم تكن فرص العلاج تتاح الا للاغنياء واصحاب السلطة والنفوذ بقدر ما كانت بعيدة عن متناول الجمهور .

وفي هذا العهد كان الطب ضرباً من الشعوذة والتعاليم الدينية الساذجة وخليطاً من الصلوات والتعاويذ والتبرك بالآلهة والاصنام وتقديم القربان وما هو على سبيل ذلك

وما زلنا في وقتنا هذا نرى في الشعوب الهمجية ان التطبيب يدخل في اختصاص رجال السحر

---

(١) استاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير معهد الابحاث ومنشئ الامراض المتوطنة بمصلحة الصحة . وما نشرناه هنا هو الجانب الاكبر من احدى المحاضرات التي القيت في ردهة بورت بجامعة القاهرة الاميركية

والشعوذة ... وما زال آثار هذا العهد معروفة في اعرق الامم مدنية ؛ ففي برلين وباريس ولندن افراد يعالجون اليوم بالتهاتم والتنجيم ويقصدهم افراد من ارقى الطبقات كما هو الحال في قرى مصر وفي القاهرة ، وتلك بقية من عهد بائد كان المرض فيه منظوراً اليه على اعتبار انهُ روح شريرة استولت على الجسم . ولا يخرج هذه الروح الخبيثة غير السحر ، وبعد ذلك اتيح للطب في مصر الفرعونية ان يخرج من الظلام الى النور وينتقل من ايدي الكهنة الى رجال يحترفون مهنته ، ووضعت لهم اسس علمية ما زال الكثير منها قائماً الى اليوم . ومن عصر الفرعونية القديمة انتقل الطب الى اليونان فالرومان . وفي القرن الخامس قبل الميلاد كان نفر من الاطباء المتجولين يجوسون خلال القرى في اليونان ويعالجون من يشاء . ولعلَّ هذا اشبه بالحركة الجديدة التي فشت في السنوات الاخيرة في كثير من الممالك على صور مستشفيات متنقلة وسيارات مجهزة كأنها عيادات متحركة

وحدث ان الجماعات الممتازة الغنية في اليونان القديمة كانت تحتكر طبيباً يقيم بينها ويختص بها دون سواها . لكن الى ذلك العهد كان التطبيب مقصوراً على الاغنياء القادرين على دفع الثمن . اما الفقراء فكانوا يعالجون بعلب الركة او الوصفات البلدية التي هي مزيج من التمائم الطبية والشعوذة

واهتم الرومان بصحة عبيدهم لانهم كانوا مصدر ثروتهم . فحرصاً على دخلهم اقاموا مستشفيات خاصة بالعبيد . وقد كان سيدنا موسى عليه السلام واضع الاساس في الطب الوقائي عندما شرَّع بأن الراحة والطعام والماء والامراض المعدية هي من أهم واجبات المملكة . ثم بزغ نجم السيد المسيح عليه السلام ، ومن تعاليمه التي بثها « ان المرض علامة على رضى الله على عبيده » ومن اجل ذلك تبارى الاتقياء من المسيحيين في ايواء المرضى والانفاق عليهم بسخاء في معاهد خيرية

وعلمت البوذية معتنقيها ان العطف على المرضى من صفات البررة واهل الورع . واوصى الاسلام وحثَّ على العناية بالمرضى وبذل المعونة لهم وايوائهم ومؤاساتهم . فكان من اثر هذه التعاليم المباركة من جانب جميع الاديان ان كثرت المعاهد الخيرية كما نرى في الاوقاف المحبوسة على صنوف البر والاحسان والتكايا والمستشفيات المجانية . وسار الحال على هذا المنوال متروكاً لاريحية الاتقياء البررة من اهل الديانات المختلفة الى سنة ١٨١٨ . ففي هذا العام بدأت حركة لتعميم الانتفاع بخدمات الاطباء لكافة السكان بلا تمييز . وشرح ذلك ان دوقية (ناسّو) في المانيا سنت قانوناً يقضي على الاطباء ان يرتدوا ملابس خاصة تميزهم عن بقية السكان حتى تسهل الاستعانة بهم ويتيسر الانتفاع بطبهم . ثم بدأ العلامة الباثولوجي رودلف ڤيرشو في سنة ١٨٤٨ حركة واسعة النطاق لاصلاح الطب . وبلغ من حماسته لفكرته ان أصدر مجلة باسم « اصلاح الطب » واساس هذه الحركة هو الديمقراطية في الطب ، أي حصول كل فرد على نصيبه في العلاج كحق وليس كاحسان ، وللاسف كان الاخفاق نصيب هذه الحركة

وفي سنة ١٨٧٨ حدثت مؤامرة في المانيا على حياة غليوم الاول ادَّت الى حل الحزب الاجتماعي

الديمقراطي . لكن بسمارك رأى بحسبيف رأيه ان تيار الاصلاح الاجتماعي لا تكفي الشدة وحدها لصده . فاصدر قانون التأمين الصحي الاجباري في سنة ١٨٨٣ ، فلم يصادف ما يستحقه من حسن القبول لصدوره من الهيئة الحاكمة . اذ ظن الجميع ان هذا القانون اريد به مقاومة تقابات العمال . لكن سرعان ما حذت الدول الاخرى حذو المانيا

وهذا القانون يضمن للعامل المعالجة وان يتقاضى مرتباً يومياً اثناء المرض او عندما يتعذر عليه ايجاد عمل . على ان هذا القانون لم يجعل تنفيذه الزامياً الا في سنة ١٨٨٩ . وفي سنة ١٨٨٨ سنت النمسا قانوناً يشبهه ، والمجر في سنة ١٨٩١ ، وبريطانيا العظمى في سنة ١٩١١

والقانون البريطاني يطبق على العمال بين سن ١٦ وسن ٦٥ سنة ممن يقل دخلهم عن ٢٥٠ جنيهاً في العام، على ان يكونوا غير موظفين في الحكومة او في هيئات تدبر لهم معاشاً للتقاعد وعلاجاً اثناء المرض . ويدفع العامل ٣٦ مليماً في الاسبوع ، وتدفع المرأة العاملة ٣٤ مليماً في الاسبوع ، وصاحب العمل ١٨ مليماً في الاسبوع ، وتدفع الحكومة تسعة مليمات عن كل عامل وعشرة مليمات عن كل عاملة في الاسبوع ، ويقتضي هذا النظام يتمتع العامل بالفحص والعلاج مجاناً ، ويتقاضى ٧٥ قرشاً في الاسبوع اثناء مرضه في حدود مقررة ، وتأخذ المرأة ٥٢ قرشاً في الاسبوع

ويتقاضى الطبيب ٤٥ قرشاً عن كل شخص مؤمن عليه ، ومعدل ايراد الطبيب من هذا المشروع في انجلترا يبلغ ٢٥ جنيهاً في الشهر ، اذ ان عدد هؤلاء الاطباء بلغ ١٥٧٦٤ طبيباً في سنة ١٩٣٢ ، وبلغ عدد الاشخاص المؤمن عليهم ١٥٨٠٣٠٠٠ شخص

واذا درسنا الحال في اكثر البلاد ديمقراطية من الوجهة الطبية — مثل امريكا والمانيا وانجلترا — وجدنا ان هناك عناية شديدة بأفراد الجمهور على مختلف طبقاتهم ، وكان ذلك نتيجة التطور الاجتماعي الحديث وشعور الطبقات العاملة بمكانتها في المملكة . اما في الممالك الاخرى — كالتي لم تبلغ حركات العمال وطبقات الشعب الفقيرة فيها شأواً بعيداً في المطالبة بالاصلاح الاجتماعي — فنجد ان هذه الممالك نفسها حذت حذو البلاد السابقة ، فوفرت للعامل والفقير الكثير من وسائل العلاج والمحافظة على الصحة ، ويرجع هذا الى الامور الآتية : —

اولاً — ان العناية بصحة الافراد الفقيرة من الشعب لها اكبر التأثير في كثرة السكان ، وبالتالي في قوتها الدفاعية في الحروب وغيرها ، وهذا موضع عناية القائمين بالحكم في اكثر الممالك

ثانياً — ان الامراض التي تتفشى بين الطبقات الفقيرة لا يمكن حصرها بينهم ، ولذلك فالطبقات « الحاكمة والغنية » تقاوم الامراض خوفاً من انتشارها واصابتهم بها ، ومن ذلك المحافظة الصحية على حدود المملكة حتى لا تتسرب اليها الامراض المعدية الوبائية

ثالثاً — توفير سبل العلاج للطبقات الفقيرة قبل ان تطالب به عمل حكيم لتهدئة الحركات الاشتراكية والثورية قبل ان تستفحل وتؤدي الى ثورة على النظم تخرج بها عن الحدود المعقولة

فالعناية بالصحة في جميع الممالك المتمدينة صارت شوطاً بعيداً في طريق الديموقراطية الحقة ، وذلك ما يتميز به القرن الماضي والقرن الحاضر في تاريخ المدنية . ويتبين ذلك على الخصوص في توفير الماء الصالح للشرب ، والتخلص من الفضلات ، وتحسين المساكن ، ومراقبة الاغذية ، ومقاومة الأمراض المعدية

فالماء الذي نشربه من أهم مصادر العدوى اذا لم يكن نقياً جداً . فمياه النيل في مصر وكذلك مياه الترع ملوثة جداً ببراز الانسان والحيوان من آلاف الفلاحين الذين يشتغلون في المراكب فهم يتبولون ويتبرزون فيه عدا ما يغسل على الشواطىء من الأواني والملابس القذرة الملوثة ببول وبراز الانسان المريض والسليم ، ومن يتبولون ويتبرزون على الشاطىء ويستحمون فيه ، فاذا شُربت هذه المياه على حالها كانت مصدراً كبيراً للعدوى بالأمراض خصوصاً الحمى التيفودية والزحار (الديسنطاريا) والكوليرا . الخ فاذا ما تفشى أحد هذه الامراض في منطقة انتقل بسرعة الى جميع من يشربون هذه المياه الملوثة .

ففي المدن الكبرى في القطر المصري وفي جميع المدن والقرى في اكثر الممالك الأوربية ينقى الماء تنقية ميكانيكية وكيمائية بحيث يكون خالياً من شوائب الامراض ويوزع على جميع افراد الجمهور من دون تمييز بينهم بأجر قليل أو بالمجان ، ومن الخطأ ان يكون الماء احتكاراً للشركات التي تستغله للكسب بل يجب أن يكون من الاعمال التي تقوم بها الحكومة من الضرائب العامة

ولعل الرجل العادي في مدينة القاهرة لا يدرك ان الماء الذي نشربه الآن لم يتمتع بمثله الملوك والامراء في العصور السابقة ولا يتمتع به الفلاح في القرى المصرية بعد . ولعلكم تعرفون ان هناك بعض الجهال في مدينة القاهرة يذهبون الى النيل لاحضار مياه الشرب مفضلينها على مياه الحنفيات ويقولون انها (مياه بحيرها) ولا يدركون ما بها من المرض ، وهذا يشاهد كثيراً في شهر رمضان حيث تباع اوانٍ الملأى بمياه النيل على العربات في الاحياء الوطنية ، وهذا مثل من فرض الديموقراطية على الجمهور الذي لا يقدّر فوائد هذه الاعمال

والقانون في البلاد الانكليزية يحرّم السكنى في منزل لا توجد به المياه الجارية من الحنفيات فيسمّى في عرف القانون « بيت لا يمكن سكناه » وأما في القاهرة فهناك منازل كثيرة محرومة من المياه الجارية وذلك لان قيمة اشتراك المياه اكثر مما يسع الفقير دفعه

وأما القرى المصرية فلا تزال محرومة من المياه الصالحة للشرب التي يقي السكان غائلة كثير من الأمراض

والتخلص من الفضلات له المقام الثاني في المحافظة على صحة السكان بدون تمييز بينهم ، وهذا أيضاً من الاعمال التي تقوم بها الحكومات أو البلديات لصالح جميع أفراد الجمهور ، وخير تلك الطرق اما بنقل المواد البرازية في الحال من المساكن الى حيث تعالج حتى تستحيل الى مواد غير ضارة

أو نافعة في الزراعة أو الصناعة ، وهذا ما يشاهد في عملية التجاري

أما فضلات الأكل وما يتخلف عن كنس المنازل والطرقات فيزال بجمعه ونقله بسرعة ، وما زالت القرى المصرية محرومة من كل هذا ، فالفلاح يعيش بين فضلاته وفضلات المواشي في جوّ لا يطاق ، عدا خطره على الصحة ، ومن الديموقراطية الحقة ان لا يترك على هذه الحال

واما تحسين المساكن فقد جرى شوطاً بعيداً في الامم الحديثة ، فقامت الحكومات ببناء آلاف من المنازل الصحية وآوت اليها الفقراء باجر قليل فوفتهم ووقت باقي افراد الامة شر الامراض العديدة والضعف الصحي الذي ينتج عن المساكن الغير الصحية

وقد عملت تجربة من هذا القبيل في القاهرة ، فبنيت مساكن للعمال في مكان ثل معمل الدارود بالقرب من كلية الطب ، ولكن تبين فيما بعد ان العمال لا يمكنهم اداء ايجارها المرتفع ، فسكنها الآن بعض الموظفين ، وذلك لان العامل في البلاد الاوربية يمكنهُ أن يسكن في منزل صحي وان يدفع ايجاره باعتبار الفوائد المعقولة بالنسبة لرأس المال الذي تقتضيهِ ، ولكن العامل في مصر لا يمكنهُ في الوقت الحاضر ان يقيم في منزل صحي ويدفع فوائد رأس المال الذي يتكلفهُ ، فهو لا يكسب في المتوسط اكثر من خمسة قروش في اليوم ، اما في القرى فالعامل يشتغل في الوقت الحاضر بقرشين ونصف القرش ينفق منها على جميع ضروريات الحياة له ولزوجته واولاده الصغار فلا يمكنهُ ان ينفق على المسكن اكثر من نصف القرش في اليوم اي ١٥ قرشاً في الشهر او ١٨٠ قرشاً في العام ، وهذا المبلغ يعتبر فائدة لرأس مال قدره ٦٠ جنيهاً باعتبار ٣ في المائة اذا ضربنا صفحاً عن القدر اللازم لاصلاح المنزل والمحافظة عليهِ ، ولا يمكن في الوقت الحاضر اقامة مسكن صحي بهذا المبلغ ، ولذلك لا يرجى اصلاح في مصر ما لم تُزد اجور العمال ، ومن الخطأ اعتبار هذه المساكن منحة لساكنيها بل هي مساعدة لهم ودفعاً للاستغلال الغير المشروع عنهم

واما مراقبة الاغذية واعدام غير الصالح منها فهو عمل اساسه منع الضرر عن جميع الافراد من دون تمييز بينهم ، ومن الاسف ان تنفيذ القوانين الخاصة بذلك لا يلقى للآن العناية الواجبة في مصر وذلك لان الافراد انفسهم لا يقدرون قيمة هذا العمل بل يقبلون على شراء الاشياء التالفة من المواد الغذائية طمعاً في قلة ثمنها ولكن فاتهم مقدار الفائدة العظيمة التي تعود عليهم اذا كانت المواد جيدة خصوصاً في المواد السهلة التعفن مثل اللبن وهو قوام حياة الاطفال والمرضى والناقهين

ومقاومة الامراض المعدية والاوبئة من اجل الخدمات الديموقراطية التي تؤدى في الوقت الحاضر ، فقد اصبح الجدري مرضاً نادراً ، وقد كان الى عهد قريب لا تغيب ذكراه عنا لكثرة الافراد الذين تظهر على وجوههم آثاره والتي لا تزول حتى الممات ، وكذلك الكوليرا التي كانت تودي بحياة الالوف من السكان ، فكثيرون من الحاضرين لم يروا اهوالها ، وكل ذلك بفضل الاحتياطات الصحية ومقاومة الاوبئة في مبدئها بدون تفريق بين افراد الامة ، فالمرض بطبيعته لا يفرق

بين الافراد . فهناك المحافظة الصحية على الحدود التي للموانئ وفي المطارات وفي مدريات القصر وهي على استعداد دائم للعمل حالما تظهر حالة مرض وبائي . فيتغلبون على الداء قبل استفحاله . وهناك عدد وافر من المحالات الصحية ومستشفيات الحميات والكورذونات لعزل مثل هذه الحالات والعناية بها والمحافظة على سائر الافراد من انتشار العدوى بينهم . وعلى هذا نرى ان تعاليم سيدنا موسى القيمة من الوجهة الصحية قد صار تنفيذها على شكل ديموقراطي واسع النطاق في عصرنا الحالي وقد تكللت باكبر قسط من النجاح . فكان من تأثير الاعمال الصحية الكبرى في الامم المتحضرة ان طال متوسط عمر الافراد جميعاً سنوات عديدة بدون تمييز بينهم وقلّت نسبة الوفيات بين الاطفال جميعاً لا فرق كبير بين مختلف الطبقات في ذلك ، وهذا اكبر دليل على ديمقراطية الصحة في العصر الحالي

وآخر ما وصلت اليه الحال في أرقى البلدان الأوربية من هذه الوجهة ان العناية بصحة أفراد الشعب تبدأ عند التفكير في الزواج ، فلا يصرح به الا اذا كان الزوجان خاليين من الأمراض التي يمكن أن تنتقل الى الذرية، بل قد شرعت المانيا اخيراً في تعقيم افراد الشعب المصابين بأمراض تؤثر في نسلهم تخييراً وقاية للمجموع من انتاج نسل شرعي أو غير شرعي مصاب بآفات تهبط حالة أو مصدر خطر على باقي أفراد الشعب . فاذا حملت المرأة فقد أعدت لها مستوصفات للعناية بها ودرء ما يحدث للحامل من المضاعفات أو الحوادث . فاذا جاءها المخاض تولى أمرها قابلات أو اطباء على حساب المملكة حتى يتم الوضع وتنهض الام . أما الطفل فيتولى أمره مركز رعاية الطفل حتى يبلغ الخامسة من عمره . فيجبر على الانتظام في مدرسة، وهناك يكون تحت رعاية اطباء المدرسة وهم عديدون على حسب اختصاصهم في مختلف فروع الطب خصوصاً الأمراض الباطنية المعدية وامراض الأنف والأذن والحنجرة والاسنان . ويستمر هناك الى أن يبلغ السادسة عشرة من عمره فيندمج في سلك العمال وهناك يكون ملزماً بالاشتراك في التأمين الصحي . الا اذا كان ممن يزيد ايرادهم على ٢٥٠ جنيهاً ، فهولاء بطبيعة الحال يمكنهم الحصول على العناية الطبية والصحية ببذل الاجور المقررة لذلك

وعلى ذلك نجد أن الديمقراطية الطبية والصحية متوفرة تماماً في هذه الممالك . فهي تفكر في افراد الشعب قبل ان يكونوا أجنة في ارحام امهاتهم ولا تزال ترعاهم حتى يتوارون في المقابر ، ولكن الوسائل المتبعة في هذه المنشآت الطبية والصحية من الوسائل الضرورية فقط ، ولا يمكن مقابلة طرق العلاج المتبعة بما يمكن ان يحمل عليه الاغنياء ، وليس معنى هذا ان هناك نقصاً من الوجهة الفنية . بل الذي ينقص هو وسائل الراحة والترف والتنعم ، ويمكن ادراك هذا من حالة مريضين بالتهاب الزائدة الدودية أحدهما في عنابر مستشفى قصر العيني والآخر في الدرجة الاولى في مستشفى خصوصي . فالعملية في كلا الحالين تعمل بالطرق العلمية الصحيحة ، ولكن الحجرة والغذاء والخدم و . و . الخ تختلف تمام الاختلاف في الحالتين[1]

(١) وقد وقف المحاضر الجانب الاخير من محاضرته على مشروع الالتزام العلاجي الفروي وقد نشرنا فصلاً وافياً عنه في مقتطف مايو ١٩٣٤ . فليراجع هناك

الفاظ التصنيف

في حيوانات الدنيا

للاستاذ مصطفى الشهابي

— ١ —

نشرتُ في عدد شباط (فبراير) ١٩٣٤ من المقتطف اصلح الطرائق الواجب اتباعها في نقل المصطلحات العلمية الى لغتنا العربية. ومن جملة ما ذكرتهُ في ذلك المقال ان الالفاظ التي تدلُّ معانيها على صفات بارزة في النبات او الحيوان تترجم الى العربية بمدلولات تلك المعاني. فالفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا كلها او معظمها لها معان. فينبغي اذن الرجوع الى اصلها اليوناني او اللاتيني وبعدئذٍ توضع لها ألفاظ عربية تفيد المعاني المذكورة إما تماماً او على وجه التقريب عند الحاجة الى الإختصار. وهذا ما قمت بهِ في هذا المقال الموجز. وقد سبقني الى بعض الالفاظ الواردة فيهِ اصحاب مؤلفات الحيوان والمعاجم (أو المعجمات) العلمية. ولكن نصف تلك الالفاظ على الأقل هي من وضعي او مما لي فيهِ نظر يختلف عن نظر المؤلفين المشار اليهم. ومن البديهي ان هذا البحث انما كتب لمن يشتغلون باللغة العربية والفاظها ولاساتذة الحيوان في مدارس التجهيز والجامعات. اما غيرهم فربما ملُّوا قراءته

***

يقسمون دوحة الحيوان (مملكة الحيوان) بادىء بدءٍ قسمين كبيرين كل منهما ردف دوحة (ردف مملكة) وهما أولاً الحيوانات التي يكون فردها خلية واحدة. ثانياً الحيوانات التي يتركب فردها من خلايا عدة

فالاولى تسمى Protozoaires واصلح لفظة تقابلها « حُيَيْوِينات » وسماها بعضهم دُوَيبات وأوَّليات. والثانية تسمى Métazoaires ومعناها العديدة الخلايا وقد يفيد التعبير عنها بلفظة واحدة هي « الخَلَوِيَّات »

الحيويات

تقسم الحيويات ثلاث شعب (قبائل، قُبَيل برأي من درسوا بالانكليزية خاصةً) ففي الاولى يوجد حيويات مجهرية خليتها خالية من غشاء يحيط بها. ويكون لها نواقض تسعى بها او تلتقط بها. ويسمونها Rhizopodes اي جذرية الاقدام. فاذا لزم ان نطلق عليها لفظة واحدة قلنا

« الجذريات » . وفي الشعبة الثانية تكون الجملة الاولى من خلية الحيوين عارية بغشاء كما يكون تلك الخلية أهداب تتحرك بها في الماء . وهي تسمى Infusoires اي « النقيعيات » . اما الثالثة فهي شعبة الطفيليات المتماة Sporozoaires اي « البُغَيْرِيات » سميت كذلك لانها تتكاثر بواسطة بُغَيْرات Spores (ولا تقل بزوراً) . وتكون خلايا بعض الحيوانات بغشاء وبعضها لا غشاء لها . وجميعها خالية من اهداب تتحرك بها

***

﴿ الجذريات ﴾ تقسم شعبة الجذريات قسمين . ردف شعبة « الجذريات الفصية » Rhizopodes lobés وردف شعبة « الجذريات الشبكية » R. réticulés وفي الردف الاول صفان (طائفتان) وهما اولاً صفّ « النفّاضات » او « المتحوّلات » Amiboïdes ونبدأ ابسط الحيوانات المسماة Amibes ومعناها النفّاضة او المتحوّلة او المتبدلة . ثانياً صف « الشمسيات » Héliozoaires وجميعها حيوانات مائية لها نواغض دقاق تشع حول الخلية ولذا سميت الشمسيات

اما الردف الثاني فهو ايضاً صفان اولهما « الثقبيّات او « المثقبات » Foraminifères وثانيهما « الشعاعيات » Radiolaires ولكل منهما صفات ليس ذكرها من متناول هذا المقال

***

﴿ النقيعيات ﴾ في شعبة النقيعيات Infusoires صفان الاول تتحرك حيواناته بأهداب طوال غلاظ قليلة العدد يندر ان يتجاوز عددها ست هدبات في الحيوين الواحد . ويسمون هذه الاهداب اسواطاً ولذا اطلقوا على هذا الصف اسم « النقيعيات السوطية » او « السوطيّات » Flagellés . اما الصف الثاني فله اهداب مهتزة صغار دقاق كثيرة العدد ربما بلغت ٢٥٠٠٠ هدبة في حيوين واحد . واسم هذا الصف « النقيعيات الهدبية » او الهُدْبيات » I. ciliés

وفي كلٍّ من صفي السوطيات والهدبيات أربع رتب . فرتب السوطيات هي أولاً « السوطيات الجذرية » Rhizoflagellés وهي ببساطتها تقرب من الجذريات . ثانياً « السوطيات الأصلية » Euflagellés وفيها أهم خصائص السوطيات . ثالثاً « السوطيات المُطَوَّقة » Choanoflagellés ويكون سوطها محاطاً بطوق . رابعاً « السوطيات المثانية » Cystoflagellés وفيها حيوانات تشتمل أجسامها على فصفور مشع

أما صف الهدبيات فتقسيمه رتباً يقوم على شكل الاهداب في تلك الحيوانات . ورتبه الاربع هي : اولاً « كاملة الهُدْب » Holotriches سميت كذلك لان أهداب الحيوين تكسو كل جسمه . ثانياً « مختلفة الهدب » Hétérotriches ويكون في أهدابها ضرب يختلف عن الاهداب الاصلية . ثالثاً « قرصية الهدب » Discotriches ولها أهداب تقوم على صفيحة كالقرص . رابعاً « تحتية الهدب » Hypotriches وأهدابها قد زالت اجمالاً الا حوالي الفم

ويقسمون السوطيات والهدبيات الى فصائل عدة يطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نستقصيها

***

﴿ النَّغَيريات ﴾ جميع النغيريات طفيليات تعيش في أجسام غيرها من الكائنات . واسمها مشتق من النغيرات لانها تتكاثر بها . وفي هذه الشعبة صفان مهمان . اولاً « الحَبَيْبَات » Coccidiens وجسمها كروية الشكل صغيرة القد تعيش واحدتها في خلية من خلايا مضيفها من الفقاريات والرخوة خاصة . وفيها أشكال كالنغيريات الدموية Hémosporidies و« النغيريات اللحمية » Sarcosporidies و « النغيريات المخاطية » Myxosporidies و « النغيريات الدقاق » Microsporidies

أما الصف الثاني فهو يسمى بلفظة Grégariniens لم اهتد الى أصلها فيما حوته خزانة كتبي من المراجع

الخلويات

اختلف علماء الحيوان في كيفية تقسيم الخلويات الى شعب ، وقد اتبعت أحد هذه التصنيفات فسكان على الصورة الآتية : يقسمون الخلويات بادئ بدء قسمين كبيرين كل منهما فوق شعبة وهما « الحيوانات النباتية » Phytozoaires و « الحيوانات المتناظرة أو المتناظرات » Actinozoaires في القسم الاول ثلاث شعب معروفة وهي « الإسْفَنْجِيَّات » Spongiaires و « المُجَوَّفات أو مجوفات البطون » Coelentérés و « الشَّوْكِيَّات أو شوكيات الجلد » Echinodermes . أما القسم الثاني ففيه شعب « الديدان » Vers و « أشباه الديدان أو وحيدة الشعيات » Vermidiens ou monomérides و « الرَّخْوة أو المُلَامِيَّات » Mollusques و « المَفْصِلِيَّات » Arthropodes و « الحبليات » Cordés

***

﴿ الاسفنجيات ﴾ تعيش معظم الاسفنجيات في البحر لاصقة بالصخور شأن كثير من الحيوانات النباتية . وفي أسقالها شبكة من ألياف متشابكة يسمونها « سُنَيْبِلات » Spicules . وتختلف مادة هذه السنيبلات . وعلى اختلافها يبنون تصنيف الاسفنجيات فيجعلونها على صفين : « الاسفنج الكلسي » Eponge calcaire و « الاسفنج الرملي » E. siliceuses كما أنهم يبنون على شكل تلك السنيبلات تصنيف الاسفنج الرملي وتقسيمه الى رتب مثل « سداسية الفروع » Hexactinellidés و « رباعية الفروع » Tétractinellidés و« وحيدة الفروع » Monactinellidés . وهنالك رتبة « الاسفنج القرني » Cératospongiés لها اسقال مؤلفة من الياف قرنية متشابكة واليها ينسب الاسفنج التائع

﴿ المجوّفات ﴾ المجوفات أو مجوفات البطون من أكثر الحيوانات عدداً وانتشاراً في الماء. ومعظمها بحرية. ويسمونها زهر البحر لما لها من الاشكال الجميلة والالوان الزاهية، وإليها ينسب العُدَّار Hydre (عن معجم الحيوان) ودرقة البحر أو فرج البحر Méduse وغيرها

وتقسم هذه الشعبة الى أربعة صفوف وهي اولاً « العُدارات الرئوية » Hydrozoaires ثانياً « المرجانيات » Coralliaires ثالثاً القُرَّاصيات Acalèphes رابعاً « المشطيات » Cténophores

فصف العُدارات الرئوية يحتوي على ثلاثة روادف وهي ردف صف « العُدَّاريات » Hydroïdes وردف صف « الرئويات الخشنة او رئويات البحر الخشنة » Trachyméduses ثم ردف صف « المِسَنصيات » Siphonophores (من السيفون وهو المِسَنّ)

وفي العُداريات ثلاث رتب: « العُدارات » Hydraires و« الجُرَيسيات او الجُلْجُليات » Campanulaires والعدارات المرجانية » Hydrocoralliaires

وفي صف المرجانيات بعض من الرتب وتحت الرتب مثل المُشيمّات Actiniaires وغيرها

***

﴿ الشوكيات ﴾ تشتمل شعبة الشوكيات على حيوانات متجانسة كبيرة العدد تعيش في البحار وتتركب من جسم له شكل نجمة ذات خمس شعب إجمالاً. تقسم الشوكيات خمسة صفوف وهي اولاً « النَّجْميات » Stellérides وفيها نجم البحر المعروف وغيره من الحيوانات تتجلى فيها خصائص الشوكيات المهمة. ثانياً « تَسْفُذيات البحر » Echinides واليها تنسب قنافذ البحر التي لا تكون فيها الشعب الخمس جلية كما هي في نجوم البحر. ثالثاً « الصِلِّيّات او أذناب الحية » Ophiurides سميت بالاسم الأخير لأن شعبها الخمس تشبه الحيات في حركاتها حول مركز الجسم. رابعاً « قِثّائيات البحر » Holothurides وفيها خيار البحر او قثاء البحر وغيره من الشوكيات التي تشبه النبات المسمى بهذا الاسم. خامساً « الزُّريّات » Crinoïdes وشكلها ابعد الشوكيات عن شكل نجم البحر او قنفذ البحر فهي تشبه ازهاراً قائمة على اعناقها ولذلك سميت بما ذكر

***

﴿ الديدان ﴾ الدود او الديدان حيوانات لافقار لها ولا مفاصل حتى عندما يكون جسمها مركباً من اجزاء متصلة. وثمة اختلاف بين العلماء في تصنيفها شأنهم في تصنيف كثير من الحيوانات السائرة. ونحن نذكر احد هذه التصنيفات وقد لا يكون اصلحها لان غايتنا من هذا المقال وضع الالفاظ العربية لاقسام المصنفات ليس غير. تقسم شعبة الديدان ثلاثة اقسام كل منها ردف شعبة وهي « المُفَلْطحات » Plathelminthes و« الحَلَقيات » Annelés و« الخيطيات » Némathelminthes

فالدود المفلطحات سميت كذلك لاشكال معظمها المفلطحة وان كان بعضها غير مفلطح. وليس لجهازها الهضمي مخرج او فتحة. وليس لها جهاز للتنفس ولا جهاز لدوران الدم. ومعظمها خناث

طفيليات . وفيها ثلاثة صفوف « المهدّبات » Turbellaries وهذا اهداب مهدّبة تكسو جسمها وهي تعيش في الماء الحلو او الملح . و« المثقّبات » Trematodes وتشتمل على دود مفلطحة قصار لا أهداب لها بل لها افواه كالمحاجم . و« الشريطيّات » Cestodes وهي طفيليات مركبة من قطع متتابعة منها الدودة الوحيدة (تينيا) المعروفة التي تعيش في جوف الانسان . وهنالك جماعة من الدود مفرطحة في طولها ويبلغ طول واحدتها ثلاثين متراً بعرض خمسة ملليمترات فهي اذن اطول الحيوانات على الاطلاق ولذا سميّت « السلكيّات » ويسمونها بالفرنسية Nemertiens وقد يلحقونها بالمفلطحات وبعضهم يلحقها بالمهدّبات مع ان لجهازها الهضمي مخرجاً ومع ان لها جهازاً لدورة الدم ومع ان فيها ذكوراً واناثاً

اما الدود الحلقيات فلها اجسام طوال مجزءات قطعاً تفصل بينها حواجز . وهذه القطع او الحلقات تشتمل على زوائد يتحرك الحيوان بها وأظهرها زغب شائك . وللحلقيات صفوف ورتب منها « الهلبيات » Polychètes وهي دود بحرية في الغالب يكثر فيها الزغب ولذا سميت الهلبيات . ومنها « المشريات » Oligochètes وهي على العكس من الاولى تقطن اليابسة او المياه الحلوة . زغبها قليل واليها تنسب دود الارض أي الخراطين Terricoles ودود المناقع Limicoles . ومن الحلقيات ايضاً « العلقيات » Hirudinées نسبة الى العلق المعروف وفي هذا الصف رتبتان « الخرطوميات » Rhynchobdellidés و« الخكيات » Gnathobdellidés

واما الخيطيات فلها اجسام مستطيلات او اسطوانيات او مغزليات . وهنّ خاليات من الاهداب المهدّبة . ولهنّ رداء او جلد شفاف قاس شبيه بالذي يكون في الحشرات . ولهذا يفصلها بعض علماء الحيوان من شعبة الديدان ويجعلونها شعبة مستقلة هي اقرب الى المفصليات منها الى الديدان . وفي الخيطيات صفان مهمان وهما اولاً « الاسطوانيات » Nématodes واكثرها تعيش طفيلية في اعضاء الانسان كالصفر او الصفار Ascaride والصفار والمعقوفة Ankylostome والدودة Filaire (سماها الدكتور حبيب صادر عرقة في كتابه « الامراض المعدية في البلاد العربية » ولم اجد في جملة معاني العرقة معنى لصفات الدودة المذكورة) . ثانياً « شائكات الرأس » Acanthocéphales وفيها دود تعيش في جوف الخنزير وبعض الطيور

***

﴿ اشباه الديدان ﴾ يسمونها ايضاً وحيدة الشعبات . وهي حيوانات لها اشكال مختلفة وصفات بعضها قريب من صفات الديدان ومنها حيوانات صغيرة هي اصغر المخلوقات . وصفوفها ثلاثة . « الدوّارات او الدولابيات » Rotifères و« الطحلبيات » Bryozoaires و« عضديات الاقدام » Brachiopodes

﴿ الطلاميات ﴾ يسمونها ايضاً الرخوة . ومن ابرز صفاتها وجود المحارات او الصدفات الكلسية فيها . واجسامها رخوة بلا اعضاء قاسية ولا اجزاء مفصولة . وليس لجلودها شعر ولا شوك . وهي منتشرة في اعماق الارض في البحار والانهار والاحواض والمناقع . وعدد انواعها عظيم لكن صفوفها المهمة ثلاثة وهي اولاً « مزدوجات الصدف او ذوات الصدفتين » Bivalves ou Pélécypode ثانياً « المعديات او معديات البطون » Gastéropodes ثالثاً « الرأسيات أو رأسيات الارجل » Céphalopodes

فذوات الصدفتين تشتمل على رتب منها « مختلفة العضل » Anisomyaires و« متساوية العضلتين » Dimyaires . والى صف ذوات الصدفتين تنسب الميدية والاستريدية وعمار اللؤلؤ وغيرها كثير

أما صف المعديات ففيه ردف صف « قُدّامية الخياشيم » Prosobranches ومنها رتبة « وحيدات الأُذُن » Monotocardes ورتبة « مزدوجات الأُذُن » Diotocardes ورتبة « مختلفات الأذن » Hétérocardes

وفي صف المعديات ايضاً ردف صف « خلفية الخياشيم » Opisthobranches وفيها الرتب الآتية:

مستورة الخياشيم أو مغطاة الخياشيم Tectibranches

جُرابية اللسان أو زقية اللسان Ascoglosse

عريانة الخياشيم Nudibranches

جناحية الارجل Ptéropodes

وثمة ردف صف ثالث للمعديات وهو « الرئويات أو المعديات الرئوية » Gastéropodes pulmonés وفيه رتبة « ريشية الاعين » Stylommatophores ومنها البزاق المعروف . ورتبة « دُعامية الاعين » Basommatophores وفيها أنواع كثار تشبه البزاق

واعلى صفوف الهلاميات في التصنيف صف الرأسيات المار الذكر . وأعضاء هذه الحيوانات متكاملة تشبه أعضاء الفقاريات في بعضها . وجميعها بحرية . وكثير منها يصاد ويؤكل . وفيها رتبتان « رباعية الخياشيم » Tétrabranches ومزدوجة الخياشيم Dibranches . والرتبة الثانية تشتمل على « الأُخطَبُوطيات » Octopodes وهي ثمانية الاقدام وعلى « عُشَارية الأقدام » Décapodes ومنها الحَبّار أو السِبِيدَج وهو باللسان العلمي Sepia وبالفرنسية Sèche

هذا ما رأيت درجه في هذا المقال من أهم الالفاظ المستعملة في تصنيف الحيوانات الدنيا . ولا أدعي العصمة فيما وضعته ولا فيما عدلته من الالفاظ العربية . وانما هي محاولة حاولت فيها القاء دلوي بين الدلاء فيكون امام المسئولين عن وضع معجم المصطلحات العلمية المرتقب مادة جديدة ينظرون فيها اذا شاءوا وشاء لهم مبلغ علمهم بهذه الامور . وبقي لاتمام هذا البحث الصغير ان اذكر الالفاظ المختصة بالمفصليات وأخص منها الحشرات . ولما كان عدد هذه الالفاظ كبيراً وكان يوجد منها لدي شيء كثير مما خلت منه المعجمات الانجيلية العربية المعروفة ارجأت ذكرها للعدد القادم

اذا استشفيت من داء بداء

حمى تشبه من الشلل الجنوني

بطلُ هذه القصّة ، رجلٌ يُدعى فاجنر يورج . اذا نظرتَ اليهِ حسبتَهُ أُستاذاً مسالماً ، لا ثائراً في نفسهِ روح الحرب والنضال ، التي مكنتهُ بعد كفاح ثلاثين سنة من ان يضع في ايدي الناس ، وسيلة ، تقهر شلل المجانين الناشيء عن الاصابة باكره الامراض وأشدّها فتكاً نعني الجلق (١)

ان الميكروب الجنوني الخفيف الذي يسبّب هذا الداء من افتك الميكروبات بالانسان ، ومن ابرعها في ابتداع الوسائل للاختفاء عن النظر ، والابتعاد عن وسائل الاطباء في مطاردته . والداء الذي يحدثهُ هو والسرطان من اعظم اللعنات التي اصيبت بها الانسانية . ولكن طائفة من الرجال ، الشجعان ، وقفوا حياتهم على هذا الكفاح ، وفي مقدمتهم شجاعةً وصبراً وابتكاراً صاحبنا فاجنر يورج

كان عملهُ مقتصراً على التطبيب النفساني ، وهو من جميع فروع الطبّ ، اقلّها فائدة في دفع الموت . ولكن هذا الرجل المسالم ، البعيد عن عمل الطب الحقيقي ، قلّب ناحيةً من تعاليمهِ رأساً على عقب ، فأثبت ان الحمّى ، وقد كانت تحسب اعدى عداة الانسان ، ليست الاّ ناراً يشوي في اثرها ، هذا الميكروب الخفيف ، باعث الشلل الجنونيّ في الانسان

ان عملهُ يبعث على الدهش والاعجاب ؟ فلقد استعمل داءً حياً لمعالجة داءٍ حيالٍ . بل انهُ مهّد السبيل لرجل لا صلة لهُ بالطبّ ، فاستنبط وسيلةً لهذا النوع من العلاج ، لا تنطوي على المخاطر التي تنطوي عليها معالجة داءٍ بداءٍ

***

انقضت عليهِ ثلاثون سنة وهو يتقلّب بين الامل واليأس ، بين النجاح والاخفاق ، الى ان كان يومهُ العظيم في ١٤ من يونيو سنة ١٩١٧ . في ذلك اليوم التاريخيّ ، جمع فاجنر يورج شجاعتهُ ، وحقن في وريد ممثل مصاب بشلل الجلق ، قطيرات من الدم تعجُّ فيها جراثيم البرداء (الملاريا) . كان في الستين من عمرهِ ، حينئذٍ ، وكان عملهُ اقرب الى الخيبة منهُ الى النجاح ، وكان قد انقضى عليهِ ثلاثون سنة ، منذ ألهمهُ ، ان نار الحمّى ، تطرد من ادمغة المصابين بهذا النوع من الشلل ، غيوم الجنون

(١) الجلق استعمله امرؤ القيس ويقول الباحثون ان القرائن تدل على أنه عنى به ما يدعى في عصرنا بالسفلس

ارتدّ بنظرك اليه ، وهو واقف في منتصف القرن التاسع من القرن الماضي ، امام سرير امرأة لا تزال في السابعة والعشرين من العمر ، وقد تحوّل فيها اضطراب الاعصاب ، عقب ولادتها ، الى جنون لا يشفى . كان يعز ان جميع الاساليب في جعبة طبه النفساني ، لا تجديها نفعاً

وكان قد قضى ست سنوات يدرس علوم الطب ، حتى فاز بشهادة ولقب . ولكن التنافس في الخفاء ، حرمهُ من منصب وُعد به . فتألم ولكنهُ انطوى على ألمهِ . وقرّر ان يهجر بلاده ويجيء مصر . بيد ان ضميره ألقى اليهِ بهمسة ، مؤداها ان استزيد علماً قبل ذهابك الى مصر . فلم يجد امامهُ الاّ عيادة للمجانين يقوم عليها طبيب شيخ يدعى ليدسدورف . فانبرى له ان يقف الى جانب سرير هذه المرأة

هنيئاً لها انها مقبلة على الموت ! كانت قد اتت العيادة ، وهي تقول ان الشياطين تزعجها . ثم اشتدّ بها الجنون الطائح تلتهُ فترة من الخمود والانكماش عن الناس . وها هي الآن وقد انقضت عليها خمسة اشهر وهي لم تكلّم احداً . ان وجهها صفحة لا يرتسم عليها اي اثر من آثار العقل والذكاء ، فهي والحيوان سواء ، بل هي دون الحيوان في ذلك

ثم اتفق ان اصيبت المرأة بالحمى التيفودية . وكانت اصابتها حادة ، فصارت تتشنج تشنجاً عنيفاً ، وفاجأ يورج ، ملازم سريرها ، منتظراً وفاتها . ثم وقف تشنجها ، وتراخت اعضاؤها في غيبوبة ، وهو يجأر الى الله ، ان ينقذها من الألم قبل ان تفيق . ولكن المرأة افاقت ، فشفيت من الحمى ، وشفيت كذلك من الجنون

فعدل فاجنر يورج عن السفر الى مصر ! أليس يتسرّع في اتخاذ هذا القرار ؟ ألم تكن عجيبة شفاء المرأة من الحمى والجنون اشبه بالقشة الطافية على سطح البحر ، يتعلق بها المشرف على الغرق ؟ ألم يكن رجلاً قد تلقى أساليب العلم ، فدلهُ علمهُ على أن شفاء المرأة من اصابتيها جاء اتفاقاً ؟ حتى اذا كان شفاء الشلل الجنوني مصاحباً للاصابة بالحمى التيفودية ، فمن يأذن لهُ في اقامة الدليل على ذلك ؟ من يسمح له بتعريضه عمداً للموت بالتيفودية ، على أمل شفائه من الشلل والتيفودية معاً ؟

ولكن حادثة المرأة التي تقدم ذكرها ، تركت اثراً في نفسهِ لا يمحى . فاكبّ على كتب المتقدمين من الحكماء . بل رجع الى ابقراط المعروف بأبي الطب . فوجد في بعض ما يعزى اليهِ من الكتب انهُ رأى مصروعين يشفون من صرعهم بعد اصابتهم بالبرداء ثم قرأ في مجلد آخر قديم ان الكوليرا في فرنسا اكتسحت احد البيمارستانات فنتكت بمعظم قاطنيهِ ، ولكن الذين نجوا منها ، استعادوا نعمتي العقل والاتزان

قصص اذا ألقيتَ عليها ضوء العلم ، حكمت بأنها الى الاساطير والخرافات اقرب . ولكن فاجنر يورج ، كان يقضي نهاره يجول في اجنحة المجانين في المشافي ، وليله مكبّاً على هذه الكتب القديمة يحاول ان يتبين بين سطورها طريقاً هادياً

واذ كان يجول في احد الايام ، رأى امرأة ، كانت أمّاً لها تسعة اولاد ، ولكنها جنّت ،

فأتي بها الى المستشفى وهي حاملٌ . واصيبت بعد الولادة بالحمرة ، وما انقضت عليها اربعة أشهر حتى كانت في دارها ، سليمة الجسم والعقل معاً

فعاد الى كتب الطب الحديثة ، لعله يستشف في صفحاتها شعاعاً يهديه او يفسر له ما يرى بأم عينه . فوجد حوادث متفرقة فعلت فيها الاصابة بالتيفوس او بالنزلة السدوية ، فعل الحمى التيفودية أو الملاريا او الحمرة . بل انهُ عثر على تجربة لرجل يدعى لودوج مايَر . فقرأ ان هذا الرجل اخذ مرهم الانتيمون ، وجعل يفرك به شواة (جلد الرأس) المصابين بشلل الجانبين فتقرحت واصيبوا بحمى فشفي بعضهم من الحمى ومن الجنون . فضحك العلماء من لودوج مايَر وتجربته ، ونسجت عناكب النسيان ستاراً كثيفاً حولها

وكتب فاجنر يورج مذكرة بما رأى وقرأ ، واقترح ان يحقن المصابون الذين لا يرجى لهم شفاء بالحمرة والملاريا فلم يصغ اليهِ احد في اوربا . اما في اميركا فيقول الدكتور دوكروف انهُ ذهب في سنة ١٩٣٠ الى اكاديمية الطب في نيويورك لمطالعة هذه المذكرة فوجد ان صفحاتها لم تُقصّ ؟

***

ولكن الرجل اذا اندفع بشعلةٍ من الايمان لم يُصدَّ حائلٌ ما . بل قد تكون المعارضة والمقاومة ، مما يذكي في الرجل الحماسة ، فيندفع في سبيل غرضه ، لاحتقار المعارضين وكبت اصوات المقاومين . ولكن فاجنر يورج لم يلق من يعارضهُ ، ولا من يقاومهُ . وكان الاهمال نصيب ما يقول ، والاهمال على كل حال ليس من بواعث النشاط والحماسة في الغالب

ولكنهُ حاول ان يحقن بعض المصابين المُشتَفين بمكروب الحمرة فلم يصابوا بالحمى ولا شفوا من الجنون . ورغب في تجربة الملاريا فلم يرَ احدٌ من الحكمة انشاء عيادة في قلب فينا ، تكون بؤرة تنتشر منها الملاريا . كان ذلك قبل ايام رُسّ وفرامي اللذين كشفا كيف تنتقل الملاريا وكيف تعالج

وكذلك مضت عليهِ ثلاث سنوات ، وهو عاجز عن التقدم ، حتى وجد طريقة تمكنهُ من احداث الحمى في اجسام المصابين من دون ان تكون سبباً لتفشي الاوبئة في العاصمة . ذلك ان اوربا كانت معنية سنة ١٨٩٠ كل العناية ، بمادة التوبركولين ، التي استخرجها روبرت كوخ ، اعظم غزاة الميكروب ، من باشاس الدرن . وكان الامل الذي بعثتهُ هذه المادة في النفوس قد تحوّل الى خوف من المخاطر التي يتعرّض لها من يحقن بها ، لان مئات من الوفيات حدثت على اثر ذلك واصبح استعمالها يُنظر اليهِ بعين الريب

ولكن فاجنر يورج اقبل عليها . فقضى عشر سنوات يجرب التجارب بها ، حتى بعد ان رُقّي الى منصب استاذ في معهد فينا الطبي . جرّب مئات التجارب ولكنهُ لما اهلّ القرن العشرون ، راجع نتائج هذه التجارب ، فحكم بأنها الى الاخفاق اقرب . فعم كان قد شفى بعض الذين حقنوا بهذه المادة ، من جنونهم . ولكن تجاربهُ لم تكن قائمة على اساس علميّ . ذلك انهُ حاول ان يعالج بها

جميع ضروب الجنون ، على اختلافها ، وهو لا يدري ، ان نوعاً خاصاً منها فقط يعتور طلقة الحمى

وكان فاجنر يورج رجلاً لا يخدع نفسه . كان في وسعه ان يذيع النجاح العظيم الذي اصابه في بعض الاصابات فلم يفعل . بل اعترف فيما بينهُ وبين نفسه ، انهُ اخفق . فجلس يتأمل في ضروب الجنون واسبابها فتبين ان اسباب معظمها مجهولة ، الاّ ضرب واحد اتفق الثقات على تعريفه وهو الشلل العام الجنوني ، وهو مرض لا يشفى بل يدوم سنوات ثم ينتهي الى العُشّه والموت

فقرر في تلك الليلة التاريخية ، انهُ لن يحاول بعد الآن ، ان يعالج بالحمى ، الاّ المصابين بهذا النوع من الجنون — أي الجنون الناشيء عن الشلل العام الذي سببهُ الحلدق (السيفلِس) . وكذلك استعان في سنة ١٩٠١ بطبيب يدعى « بلكز » Pilcz فجعلا يحقنان بالتوبركولين جماعة من المجانين في بيمارستان شتينوف . كان بعضهم مصاباً بالعته وآخرون بالمالنخوليا فكانوا على وشك الانتحار ، وغيرهم بجنون العظمة والعبقرية او اضطهاد الناس لهم . لم يعرف من قبلُ ان مجنوناً دخل هذا البيمارستان وخرج حيًّا لان الموت كان محتوماً على جميع المصابين مالت حياتهم او قصرت

***

ومضت بضع سنوات كشف في خلالها عن سبب الشلل الجنوني العام . كان العلماء قد ظنّوا قبل ذلك ان هذا النوع من الشلل سببهُ « مكروب الحَلَق الحلزوني . ولكن في سنة ١٩٠٦ طبق اوغست فون ڤاسرمن الكاشف الذي استنبطه بورديه البلجيكي ، لا كتشاف مكروبات الحلق في ثنايا الجسم . وهو كاشف ڤاسرمن المشهور . وفي السنة نفسها طبق ڤاسرمن هذا الكاشف على سائل الحبل الشوكي في المشلولين (الكلام في المقال خاص بالمصابين بهذا النوع الخاص من الشلل ولذلك تكتفي بذكر المشلولين) فتبين له ان مكروبات الحلق مختفية في الدماغ . وفي سنة ١٩٠٨ تأكد فاجنر يورج ان ٩٩ في المائة من هؤلاء المشلولين ، يخفون في ثنايا دماغهم هذه المكروبات

وفي سنة ١٩٠٩ عقد مؤتمر طبي دولي في بودابست فقرأ فاجنر يورج رسالة امامهُ ، بسط فيها نتائج معالجة المشلولين بالتوبركلين . كان قد اخذ تسعة وستين مصاباً وحقنهم حقناً متوالية بالتوبركلين . وترك تسعة وستين آخرين من دون حقن . فكانت النتيجة ان ثمانية من الفريق الاول وخمسة من الفريق الثاني ، ظلوا على قيد الحياة . وهي نتيجة ضئيلة لا يمكن ان يبنى عليها حكم عام

ولكنهُ لم يقنط . فمضى في تجاربه ، كأنه يجري وراء سراب . والانكى في كل هذا ان بعض المصابين كانوا يشفون بهذا العلاج ، فينتبط فاجنر يورج ، ثم تمضي شهور ، واذا هم يعودون اليه ، فيتبين فيهم انهم على طريق القبر . فيأسف اشدّ الاسف ، من دون ان يسمح للقنوط والوهن ان يتطرقا الى نفسه

فلما كانت سنة ١٩١١ تبيّن شعاعة من الامل . ذلك ان ارلخ كان قد صنع حقنته المشهورة المعروفة برقم ٦٠٦ وبعد التجربة ثبت انها تفتك بمكروبات الحَلَق في ادواره الاولى ثم ظهر انهُ اذا

طال الزمن على هذه المكروبات وهي معششة في جدران الاوعية الدموية ، اصبحت سيمة حتى على حقنة ارلخ الفعّالة . فاذا هيجت استفاقت وهي افتك ما تكون ، فيكون في استفاقتها موت المصاب

فلما خاب امل فاجنر يورج في حقنة ارلخ مضى يستعمل التوبركلين . ولكنهُ حاول الآن ان يستعمله في المراتب الاولى من الشلل الجنوني . وفي سنة ١٩١٤ تتبع ٨٦ مشلولاً كان قد عالجهم في سنة ١٩٠٧-١٩٠٩ فوجد ان واحداً وعشرين منهم كانوا لا يزالون على قيد الحياة وان سبعة من هؤلاء يقومون بأعمالهم على اوفى وجه

ومن غرائب البَلَه الانساني ، ان نتيجة كهذه لم تحدث أي اثر في دوائر الطب العالمية ، مع ان جميع الاطباء كانوا يعلمون ان اقصى مدة يعيشها مصاب بالشلل الجنوني العام قد لا تعدو سنتين!

***

واخيراً جاء يومه المشهود . كان يوم ١٤ يونيو سنة ١٩١٧ لما جاءه احد معاونيه واسرّ في أذنه ان في المستشفى جندياً مصاباً بصدمة القنابل وبالملاريا ، وسأله هل يعالجون الملاريا بالكينا . فتوقف فاجنر يورج قليلاً . كان قد اشرف على الستين وهو يعلم ان علاج التوبركلين اشبه بالسراب ، جرى وراءه ثلاثين سنة ، حتى اكتشف انهُ سراب

ها هي اساريرهُ تنقبض وتنفرج . لقد وصل الى قرار حاسم . ولكن هل يجرؤ على تنفيذه ؟ انهُ يعلم انّ الملاريا انواع منها ما هو جيد ومنها ما هو خبيث . وهو على كل حال ليس خبيراً بالملاريا . على ان الفرصة اثمن من ان تفوّت ، فأمرّ شيئاً في اذن مساعده ، فانطلق هو واخوان لهُ يستخرجون من اذينة الجندي قطيرات من الدم ، حافلة بجراثيم الملاريا

ولكن ما العمل اذا اخذت الملاريا تنتشر في ثينا وأحوال المعيشة فيها في السنة الثالثة من الحرب الكبرى اعسر من ان يضاف اليها وباء مخيف ؟ ألا تلتقي التبعة على كاهله ؟ ألا تسلقه الصحف بألسنة حداد ؟ ألا يحسب قاتلا عمومياً ؟ ولكن فاجنر يورج لم يفكر في تلك الساعة في شخصه . بل رأى بعين الذاكرة ، مواكب المشلولين المجانين ، يمرّون امامهُ موكباً اثر موكب ، خلال ثلاثين سنة من الممارسة الطبية وهو يعالجهم بالتوبركلين ، فلا يقضي لبانة . اين هم الآن ؟ معظمهم قد لقي حتفه واقلهم قد شفي . أما كيف شفوا فلا يعلم الاّ الله

لذلك صمم فاجنر يورج في ١٤ يونيو سنة ١٩١٧ ان لا يعالج الجندي المصاب بالملاريا بالكينا . ولكنهُ مبالغةً في الحيطة ، بعث بطائفة من معاونيه يبحثون في جوار المستشفى عن البعوض الناقل للملاريا فلم يجدوه . عند ذلك اخذ الدم المستخرج من عروق الجندي ، ووضع قطيرات منهُ في خدش ممثل مصاب بالشلل الجنوني ، وقطيرات اخرى في خدش احد موظفي البريد . وأعيدت التجربة سبع مرات في خلال الشهرين التاليين . وانقضت عشر سنوات فاذا احدث في خلالها ؟

في سنة ١٩٢٧ كان ثلاثة من المصابين التسعة الذين حقنوا بجراثيم الملاريا ، يزاولون اعمالهم ،

ويكسبون رزقهم بعرق جباههم وهم اوفر ما يكونوا صحة عقلية وجسمية . كانت جراثيم الملاريا قد رفعت حرارتهم الى ما فوق الاربعين بالميزان المئوي ، وكانت التشمريرة التي اصيبوا بها تجعلهم يتقلصون في السرير انتفاضاً ، حتى لتحسب ان جنونهم قد ثار واشتدّ ، وكانت صيحاتهم تتعالى فترنّ اصداؤها مزعجة مخيفة . ولكن ثلاثة من تسعة خرجوا من هذا الامتحان وقد ظهروا فيه الادراك التي جعلتهم الى الحيوانات اقرب منهم الى الانسان العاقل . ولكن ماذا حدث للباقين ؟ مات احدهم — موظف البريد — في خلال تشنج عنيف اصيب به عند حلول دور التشمريرة الملاريّة. واما الاربعة الآخرون ، فكانوا قد حقنوا على ما يظهر بجراثيم نوع خبيث من الملاريا ، فمات ثلاثة منهم وانقذ الرابع باعطائه جرعات كبيرة من الكينا . وكذلك تعلم فاجنر يورج انهُ اذا حُقن المصابون بالشلل الجنوني ، بجراثيم الملاريا الحميدة ، شفتهم حمّاها من اصابتهم الاولى ، ثم تشفيهم الكينا من اصابتهم الثانية . وهذه حقيقة جديدة في كفاح الانسان ضد المرض والموت

***

بيد ان الشيء الوحيد الذي عكّر على فاجنر يورج صفو انتصاره ، كان انّ ثلث الذين عولجوا بالملاريا شفوا واما الثلثان الباقيان فنقيا حتفهما . ولكن لا غرابة في ذلك لان نسيج الدماغ اذا هرئَ مكروب الحمّى لا يستطيع ان يُرمّم نفسهُ كما يفعل العظم اذا كسر او كما يفعل نسيج العضل او الكبد او غيرها من نُسُج الجسم . فكأن الثلثين من المصابين الذين عولجوا بالملاريا ، جاءهم العلاج بعد فوات الاوان

هنا شرع هذا المكافح الشديد الشكيمة ، يفعل ما يقضي به المنطق . شرع يعالج المصابين بالشلل الجنوني العام ، عند ما تبدأ الاعراض بالظهور عليهم ، اي عندما تبدو عليهم اعراض الاعياء ، وتثبت الكواشف ان مكروب الحمّى مختفٍ في ثنايا ادمغتهم ولكن قبل ان يفتك بنسيجها . فكانت نتيجة هذه التجربة ، وقد وضحت له معالم الطريق ، ان ثلاثة وثمانين من مائة مقضيّ عليهم بالموت المحتوم ، شفوا وعادوا يزاولون اعمالهم وهم على احسن ما يكون صحة ونشاطاً

ولكنهُ لم يكتفِ بهذا . والطبيب اذا اكتشف اسلوباً من العلاج ، ينقذ به ٨٣ في المائة من الموت المحتوم ، ميّال في الغالب الى التحكّم والقول بان طريقتهُ خير الطرائق . الا ان فاجنر يورج لم يفعل ذلك بل مضى في تجاربهِ وامتحاناته . وبعد قليل صرّح في رسالة علمية ، انهُ اذا ثبت المعالجة بالملاريا ، حقن كبيرة من مركب ارلخ (٦٠٦) كانت النتائج اوفى ما يمكن ان تكون . وجعل شعارهُ في رسالتهِ هذه ما معناهُ : ليست المسألة مسألة تفضيل طريقة من العلاج على اخرى بل الوصول الى اوفى طرائق العلاج والشفاء

اما كيف تحوّل الملاريا ، حقنة ارلخ ، في هذا الدور من العلاج ، من شيء لا يفيد الى شيء يفيد ، فلا يزال من الاسرار . يقال ان حمّى الملاريا لا تشوي جميع المكروبات كل الشيّ . فهل

لضعف ما لا تشوبه ، فتعدُّ تفعل مقذوفات الحنة ؟ او هل تنشوه الحمى في جسم الانسان ، مكاناً جديداً لميكروب فيجهز عليه ؟ او هل هي تحوّل النسيج الخائل degenerate في دماغ المصاب الى نسيج سليم ، فتعدُّ الطريق لمقذوفات ارلخ الورنيخية لتكتسح الميكروبات الحنية في ثنايا ؟

وفي سنة ١٩٢٧ كان هذا الرجل المحسن الى الانسانية ، قد بلغ السبعين . وكان على وشك ان يعتزل منصب الاستاذ في معهد فينا الطبي . فاجتمعت طائفة من تلاميذه واعوانه وغيرهم ممن كان مديناً لهُ بالحياة والعقل للاحتفال به . وكان العالم قد اعترف بيده على الانسانية لما منحتهُ لجنة نوبل جائزة نوبل الطبية . ولكنهُ كان شارد الفكر في ذلك الاحتفال ، لانهُ وحده كان يدري ، ما يزال امامهُ من الكفاح مع انهُ في السبعين !

وهل تحول السبعون دون الكفاح ؟ ان في هذا الرجل نفحة من بيتوفن ، الذي مات في التسعين من العمر ، متحدياً العاصفة الثائرة خارج داره ، وهو يلفظ نَفَسهُ الاخير

ان الملاريا تشفي من الشلل الجنوني العام ، اذا كان المرض لم يبلغ من فتكه بنسج الدماغ مرتبةً بعيدة . ولكن الطبيب الجندي ، يبغي ان يمنع الشلل العام . وفي هذا الميدان يرى الفائدة الصحيحة لطريقة العلاج بالملاريا . لماذا لا يعالج بها ، الذين يثبت وجود مكروب الحَلَق في اجسامهم ، قبل ان يصابوا باعراض الشلل الجنوني الاولى ؟ لماذا لا يحال بينهم وبين الشلل الجنوني على الاطلاق ؟

وكان كيرل Kyrle ، احد كبار الاطباء في قسم الحَلَق بعيادة الدكتور فنجر بفينا من الذين اصغوا اليهِ ، وهو يتحدث بهذا ، ولكنهُ لم يأنس من نفسهِ اندفاعاً الى تجربة ما يقول . بيد انهُ في احد الايام في سنة ١٩٢٢ ، كان يتنزهُ مع فاجنر يورج فقال له انهُ قد بدأ التجربة ...

استعمل كيرل جميع وسائل الاغراء والاقناع ، ليحمل هؤلاء المصابين ، وهم لا يزالون في الظاهر في عنفوان صحتهم ، ان يقاموا هذه المقامرة ، بالرضوخ لهذا العلاج . فحقنهم اولاً بحقنة ارلخ الجديدة — ٩١٤ بدلاً من ٦٠٦ وهي تدعى نيوسلفرسان — ثم ادخل جراثيم الملاريا في اجسامهم وتركهم يتقلبون في نار حمّاها وارتجاف قشعريرتها ، ثم شفاهم من الملاريا بالكينا ثم حقنهم بالنيوسلفرسان ثانية . والنتيجة ... ! كانت النتيجة ان واحداً من المئات الذين عولجوا بهذه الطريقة لم يصب بالشلل الجنوني العام ، وقد انقضت نحو تسع سنوات على ذلك . بل هناك ما هو اغرب من الحيلولة بينهم وبين الشلل الجنوني . فقد اثبتت هذه التجارب ، ان هذه المعالجة . تعدُّ الجسم ، لمساعدة حقنة ارلخ الورنيخية على قتل الميكروبات . وبذلك تفسّر عجزها السابق الذي حيّر العلماء

فلما حصل كيرل على نتائجهِ الاولى ، اندفع من غير ان يحثهُ صديقهُ الشيخ ، ووجد كما وجد فاجنر يورج قبلاً ، ان التبكير في اشعال نار الملاريا في اجسام الملوّثين بهذا المكروب الخاتل ، اهدى الى النجاح . كان كيرل قد عالج ٢٥٠ مصاباً بهذه الطريقة ، وهاهم قد خرجوا جميعاً ، واستحنت دماؤهم فثبت ان دماءهم جميعاً — الاّ ثلاثة — خالية من ميكروب الحَلَق ، على قدر ما يستطيع

العلم الحديث ان يثبتهُ بأدق الكواشف . ومات كيرز في سنة ١٩٣٦ ولكن المشعل الذي سلّمهُ اياهُ فاجار يورج ، انتقل الى يد مهندس كهربائي في اميركا يدعى هوتني

***

القي نظرة على احد معامل البحث في الشركة الكهربائية العامة تر فيه انابيب الراديو تحص وتنظم . ولكنك لا تسمع محادثة دائرة بين قارئين ، بل تشهد طائفة من الاطباء ومساعديهم وقد ارتدوا ملابسهم البيض ، وهم يحاولون ان يتخصوا آلة جديدة الغرض منها استعمالها في علاج بعض الامراض . ذلك ان الامواج اللاسلكية القصيرة التي تنقل الاصوات بين البلدان النائية ، تؤثر كذلك تأثيراً غريباً في جسم الانسان والحيوان اذا جمعت ووجّهت اليه ، فترتفع حرارته عند اختراقها له ويصاب بحمى مالية

افلا يمكن ان تستعمل هذه الطريقة الطريفة في معالجة الشلل الجنوني بدلاً من الملاريا ؟ فالطبيب ليس معصوماً عن الخطإ . والملاريا اصناف منها الخبيث ومنها الخبيث . فالخبيث منها يميت في الغالب . بل ان الحميد منها قد يستعصي احياناً ، يظهر آناً ويكمن آخر . والاصابات الملارية المتعاقبة تنهك الجسم وتفتر الدم . أفلا يستطيع الاطباء ان يستعملوا هذه الحمى التي تحدثها الامواج اللاسلكية ، اذا استعصت له حمى الملاريا ، وتكون في الوقت نفسه خاضعة لسيطرتهم كل الخضوع ؟

جاءت الاشارة الاولى ، ان امكن استعمال الاشعة القصيرة في هذا السبيل من الدكتور ولس هوتني ، مدير قسم البحث في الشركة الكهربائية العامة في سكنكتدي نيويورك . ذلك انه وجد ان العمال المشتغلين بآلات الاذاعة اللاسلكية التي تستعمل امواجاً قصيرة ، يصابون بحمى لم يعرف لها سبب طبي . فوجّه طائفة من الباحثين الى البحث عن وسيلة تمكنهم من ضبط هذه الامواج ، وتحقيق اثرها في الجسم ، ومعرفة تفصيلات فعلها في احداث الحمى ، لعلّ الاطباء يمهدون السبيل الى استعمالها في معالجة بعض الامراض

فبنيت الادوات الكهربائية اللازمة في معامل الشركة المذكورة وعهد الى الدكتورة هلن هُسمَر من كلية ألبني الطبية في امتحانها . فوجّهت اشعتها في احد امتحاناتها الى ضفدع صغيرة فارتفعت حرارتها ١٢ درجة . ثم جربتها في حيوانات مختلفة فارتفعت حرارة اجسامها . ثم وجهتها الى محلولات ملحية مختلفة فارتفعت حرارتها أيضاً . وللحال اصدرت تحذيراً يقضي بمنع توجيه الاشعة اللاسلكية القصيرة الى اجسام الناس قبل ان يزداد الباحثون معرفة بخصائصها وأثرها

وقد عني الدكتوران تشارلز كارينتر والبرت بايج بصنع آلة متقنة لهذا الغرض واقلحا بواسطتها في رفع حرارة الجسم الانساني الى درجة تفيد في معالجة بعض الامراض من دون ان يصاب المعالج بضيق ما . وبعد تجارب كثيرة جرّباها آلتهما وراقبا الخطر العظيم في معالجة بعض المصابين فوجدا ان بقاء حرارة المصاب مدة طويلة لا يعقبها أي ضرر

والآلة أشبه شيء بآلة لاسلكية عادية ولكن بدلاً من ان يكون لها سلك هوائي تنبعث منه الاشعة القصيرة في الفضاء لها لوحان من معدن الالومنيوم يدعيان « لوحا المكثف » Condenser Plates فتجمع بهما القوة الكهربائية داخل الآلة وتستعمل لرفع حرارة الجسم . وللآلة صندوق تحفظ فيه طوله ست اقدام وعرضه ثلاث اقدام وهو قائم على عجلات ليسهل نقله من مكان الى آخر في حجرة الامتحان

يُلقى المريض على ظهره على رباطات قطنية متشابكة معلقة من هيكل خشبي جدرانه من نوع من السلولويد فكأن الصندوق تحت المريض غرفة محلوقة هواء . ويغطى المريض بلوح من السلولويد هو غطاء الصندوق فيحكم اقفاله فلا يظهر الا رأس المريض من احد طرفيه وكأن المريض فيه معلق في غرفة محكمة السد . ويوضع لوحا التكثيف على جداري الصندوق كل منهما على جدار حتى تخترق جسم المريض الامواج التي تنبعث منهما ، وسرعة التذبذب في هذه الامواج تتباين من عشرة ملايين موجة الى اربعة عشر مليوناً في الثانية . والمسافة بين اللوحين تتغير ولكنها تكون نحو ثلاثين بوصة عادة . ويغشى اللوحان بالمطاط منعاً لتطاير الشرر منهما . وللآلة اجزاء اخرى ولكنها ثانوية لا محل للتبسط فيها هنا . وقد تمكن الدكتور كاربنتر والدكتور بايج من رفع حرارة الجسم ٥ درجات او ست بميزان فارنهيت فوق درجة الحرارة الطبيعية وذلك في مدى ساعة الى ساعة وثلث . وبلغت درجة الحرارة في احدى الحالات ٥و١٠٦ بميزان فارنهيت ويستطاع رفعها الى اعلى من ذلك . ولكن الباحثين ظنّا صواباً ان الحذر يجب ان يكون رائدهما في بدء مباحثهما هذه خوفاً من تعريض الارواح لهذه الاشعة الفتاكة

ومتى بلغت حرارة الجسم الدرجة المطلوبة احتفظ بها اما بتخفيض قوة التيار او بإبعاد لوحي التكثيف او باستعمال منفاخ يحرك الهواء الذي يحيط بالجسم ثم تأخذ الحرارة في العودة الى درجتها الطبيعية تدريجاً اذا ترك المعالج في الصندوق ملتحفاً بملايات من الصوف

***

فرنز شودن الالماني وبورديه البلجيكي وناسر من الالماني كشفوا عن ميكروب الحاق القطيع واعدوا الكواشف لتبينه في ثنايا الجسم . ثم جاء ارلخ فأخرج قنابله الدقيقة في محلوليه ٦٠٦ و٩١٤ لاطلاقها على ميكروباته ، فأفادت بعض الفائدة ، وتلاه فاجنر يورج ، فامدّ الميكروبات بفعل الحمى العالية في الجسم فصارت اتمّ فتكاً . وها هوذا هوتني وصحبه يجربون التجارب ، لوقاية الجسم من حمى الامراض ، مستعينين على ذلك بالامواج اللاسلكية العجيبة

ان واحداً من كل تسعة يموتون بين الاربعين والستين من العمر في نيويورك يموتون بالشلل الجنوني العام . فهل يدري مكافحو المرض والموت ، ان هؤلاء الرواد قد وضعوا في ايدينا الوسيلة الفعّالة للقضاء على هذا العدوّ الخاتل

الزمكان

أو اندماج الزمان بالمكان والبعد الرابع

بقلم نقولا الحداد

لكي نفهم البعد الرابع الذي كشفت عنهُ المباحث العلمية الجديدة وأخصها مباحث «النسبية» يجب أن نفهم معنى اندماج الزمان بالمكان كما يعبّر عنهُ علماء اليوم بلفظ واحد Space-time ونحن نترجمه بلفظ عربي واحد «الزمكان» مختصر «زمان — مكان» ولكي نفهم هذا الاندماج الذي يستهجنه المتهاجأون به ويتعذر عليهم تصوُّره يجب أن نفهم ما هو المكان وما هو الزمان أو ما هو المعنى المراد منهما ؟

ما هو المكان

حتى أوائل هذا القرن كان المعنى المراد بلفظ « المكان » الحيز الذي تشغله المادة المحسوسة أو يمكن أن تشغله . مثال ذلك هذا الكتاب الذي في يدك هو مجسم طوله ٢٥ سنتيمتراً وعرضه ١٥ وسمكه سنتيمتر واحد فقط . فالفراغ الذي يملأه هذا الكتاب بهذا المقياس يعتبر مكاناً له . فاذا أخذت الكتاب من موضعه وأبعدتهُ الى مكان آخر فهل يبقى ذلك الحيز الذي اشغله معتبراً مكاناً ؟

لا بدَّ أن تقول : طبعاً . يعتبر مكاناً ، اولاً لأنهُ يحتمل أن يشغله ذلك الكتاب كما كان يشغله قبل أن نقله منه أو يشغله جسم آخر مجسم . وثانياً لاني أستطيع أن أتصوره مشغولاً بذلك الكتاب أو بأي جسم آخر مثله . وبناء على هذا القول جميع رحاب الفضاء التي نحسبها خالية تُعتبر أمكنة ، لأن اجرام المادة تنتقل فيها من حيز الى حيز على التوالي ، ويمكننا تصوُّرها مشغولة بالاجرام والأجسام المادية جنباً الى جنب وان كان حدوث هذا بالفعل مستحيلاً — يمكننا تصور الاجرام السابحة الفضاء هكذا بالرغم من أنها منثورة في الفضاء ومتفرقة فيه تاركة فيما بينها رحاباً سحيقة المسافات

ولما كنا نستعين بالتصور — حتى تصور المستبعد أو تصور بعض المستحيلات — في تفهُّم المكان نوغل في التصور لكي نفهم كيف يمكن أن نتصور المكان . فلنتصور اذن أن المادة اضمحلت تمام الاضمحلال من الوجود ولم يبق لها أي أثر ، ولم يبق في الوجود الاَّ عقلنا فقط يتصور ، فأي صورة تكون فيه المكان ؟

قد تقول : بالرغم من تصوري اضمحلال المادة لا أزال أتصور الفضاء الخالي مكاناً يحتمل أن تشغله مادة اذا عادت المادة المضمحلة الى الوجود — أجل تتصوره كذلك لان صورة المادة ، قبل اضمحلالها ، مطبوعة في ذهنك . فيتعذر عليك أن تمحو من ذهنك صورة مطبوعة فيه كما فرسمتها من الفضاء . ولكن اذا طلبنا اليك أن تتعمق في تصور الفضاء خالياً من المادة خلوًّا

مطلقاً فهل تستطيع أن تتصوره فراغاً مطلقاً ؟ وان قلت : أستطيع أن أتصوره هكذا ، فهل تستطيع أن تتصوره بلا حدود مهما كان رحيباً ؟

هنا أراك وجماً . أراك في حيرة . لانك ان كنت تتصوره ذا حدود فالحدود هي مادة أو شبه مادة . فأنت إذن لم تفرغه في تصورك ، من المادة افراغاً تاماً كما فرضنا . بل لا تزال تتصوره محاطاً بمادة . وحينئذ يمكنك أن تقيسه بين حدوده ولو كما يقيس الفلكيون الابعاد والرحاب السحيقة بواسطة سرعة النور . وحينئذ يمكنك أن تتصور هذه الحدود متنقلة فيه كتنقل الاجرام والاجسام . وان كنت تزعم أنك تستطيع أن تتصوره خالياً من كل شيء حتى من الحدود فأنت تتصور العدم . وتصور العدم عدم . فاذاً أنت لا تتصور شيئاً . بل أنت غير متصور . أنت ساكن الذهن . والا فما هو العدم ؟ أو ما هو الفرق بين الفضاء الخالي والعدم

اذن ، لا تستطيع أن تتصور الفضاء خالياً من المادة . أزل المادة من الوجود — أعدم الاجرام بتاتاً . ينعدم الفضاء أيضاً . ينعدم المكان . واذن لا معنى للمكان بلا مادة تشغله . لا معنى للفضاء بلا أجرام تحد رحابه — واذن ، منطقياً ، لا وجود للمكان بتاتاً لولا وجود المادة . وجود المادة قرّر وجود المكان . المادة خلقت الحيز الذي أشغلته . فاذا قلنا « المكان » أو « الحيز » أو « الفضاء » (Space) كنا نعني مادة تشغل حيزاً وتتنقل من حيز الى حيز . فذكر المكان يستلزم وجود المادة . وذكر المادة يستلزم معنى المكان . أعني أن معنى المكان مستمدٌ من وجود المادة . وتفسير الفضاء بالحيز الخالي خلواً مطلقاً خطاء محض

لذلك ما لنسبيه فضاء هو فضاء محدود بالمادة . متناهٍ . لأن المادة متناهية أي أن لها قدراً معيناً . والفضاء محدود بها . له أول وله آخر . ولا تسل عما قبل الاول وعما وراء الآخر . فهذا مستحيل على العقل البشري تصوُّره . دعه لعقل الالوهية . ولذلك أيضاً ، يكتسب الفضاء أو المكان أو الحيز طبيعته من طبيعة المادة نفسها . فاذا قال العلم الحديث أن الفضاء متحدب Curved فلأن المادة التي تشغله متحدبة . وهذا بحث دقيق لا متسع له هنا . فنرجئه

فيما تقدَّم فرضنا الرحاب بين الاجرام خالية . والحقيقة إنها ليست خالية الا من المحسوس . بل هي مملوءة من أنواع مندثرات الاجرام المشعَّة الثلاثة : ١ : امواج ألفا وهي بروتونات ايجابية الشحنة الكهربائية : ٢ : امواج بيتا وهي الكترونات (كهارب) سلبية الشحنة : ٣ : امواج جما وهي في عرفهم فوتونات بلا شحنة . — (وفي رأي هذا الضعيف ليست الامواج نفس البروتونات والالكترونات والفوتونات ، بل هي امواج أثيرية صادرة من اندفاع هذه الوحدات المادية المتدفقة في بحر الاثير المالىء رحاب الفضاء) فالرحاب ليست خالية كما تتراءى لنا بل هي مملوءة تشععات مادية . وامتلاؤها بها جعل لها قيمة المكان أو جعل للمكان قيمة بها ، أو جعل له طبيعته . هذا اذا ضربنا صفحاً عن الاثير ، (أوقيانوس المكان) الذي ، وان كان لا يزال فرضاً بلا برهان امتحاني

معملي ، بعد أن فصل فرض لتعليل الظاهرات الطبيعية ، ولا سيما ظاهرات التشعع المرجي . ولا محال هنا للاسترسال في هذا الموضوع . نعود الآن الى « الزمان »

ما قدر الزمان ؟

خرجنا من البحث الآنف بنتيجة صعبة التصور . ولكنها نتيجة منطقية لا مناص منها . وهي ان المكان لا وجود حقيقي له . هو العدم . وانما المادة اوجدته . فما قولك بالزمان ؟

اذا كان المكان — مستقلاً عن المادة — عدماً ، فالزمان بالاحرى عدم ايضاً . او بابلغ عبارة هو أشد عدمية . المادة اوجدت المكان . وحركة المادة اوجدت الزمان . ان انتفت الحركة انتفاء مطلقاً — ان سكن كل متحرك في الكون — انتفى الزمن معها

قد يتراءى لك هذا القول مستهجناً . ولكن اغرب منهُ القول بان الزمن (او الزمان بمعنى واحد) منتحلٌ من المكان الذي هو منتحل من وجود المادة كما سترى فيما يلي : —

كيف تفهم الزمن ، او الوقت الذي هو في اصطلاحنا جزءٌ من الزمن ؟ — مضيت صباحاً الى عملك . ثم هدت عند الظهر الى منزلك . فكيف عرفت ان الوقت صار ظهراً ؟ — قد تقول : رأيت الشمس تكبدت كبد السماء . صارت في السمت . تقلص ظلي حتى صار تحت قدمي . وقد كانت حين مجيئي الى عملي في الافق وظلي اطول مني . فكان الوقت صباحاً ، ثم صار ظهراً

فما معنى الصباح والظهر عندك ؟ أليس معناها ان الشمس سارت من الافق الى كبد السماء — وبعبارة فلكية ان الارض اتمت ربع دورتها على محورها . فاذاً . انت قست الوقت بحركة الارض على محورها ، او بانتقال الشمس المجازي من الافق الى السمت

قد تقول : ليس ضرورياً ان ارقب الشمس لكي اعلم مواقيت النهار . ارقب ساعتي فاعلم مواقيت النهار والليل جميعاً . حسنٌ . استغنيت عن حركة الارض او مسير الشمس . ولكنك استعضت عن حركتها بحركة عقرب ساعتك . فانت تقيس الزمن بحركة عقرب الساعة . ابدلت حركة بحركة . وهو امر يثبت لك ان الزمن ليس الاَّ قياس حركة المادة فقط . وقد تقول : اني استغني عن مراقبة الشمس وعن مراقبة عقرب الساعة فاعرف ميعاد الظهر من احساسي بمجرى عملي العمومي . اعرف اني قضيت من الاشغال ما يستغرق ٦ ساعات . فاقول بنفسي : صار الوقت ظهراً

اذن . في مقايسة الوقت او المدة لجأت الى حركتك في عملك الذي اعتدت ان تنجزه في برهة ٦ ساعات (علمتها من حركة الارض) طالما قستها بحركة عقربي ساعتك . فاذاً لا مناص لك من قياس الوقت بالحركة

قد تقول متعنتاً : يمكنني ان انقطع عن كل عمل وألجأ الى غرفتي بعد ان اقفل جميع نوافذها وتصبح ظلاماً وابقى مدة في هذه الحالة . ومع ذلك احس بمرور الوقت . وقد استطيع ان اخمّن المدة التي مرّت عليَّ في هذه الحالة

اقول ان فكرك في هذه المدة كان متنقلاً من موضوع الى آخر . وبهذا التنقل قست الوقت

قياساً تقريبيًّا . فتشتُّت فكرك هو نوع من الحركة . اذن الزمن الذي احسست به هو هذه الحركة . ولنفرض اننا خدرناك بالكلوروفورم او بأي مخدّر آخر بحيث لا تعود تشعر بشيء وبحيث تقف كل حركة فكرية لك . وبعد مدة منحنا عنك فعل المخدّر فصحوت . فاذا سألناك : منذ متى غفوت؟ لا ريب ان تجيب : اشعر اني كنت صاحياً منذ بضع دقائق ثم غفلت هنيهة قصيرة ثم صحوت . واذا قلنا لك انهُ مرت ساعة على نومك تندهش لانك تعتقد ان وقت غفلتك كان قصيراً جدًّا ولانك لم تعد تشعر بحركة خارجية ولا داخلية ولا فكرية . فهل يبقى عندك شك بعد هذه الفروض بان الزمن لا وجود حقيقي له ، وان ما نسميه زمناً ليس الاَّ توالي الحوادث بعضها اثر بعض ؟ فلو توقفت كل حركة في الكون لم يعد للزمن معنىً بتاتاً . فكما ان وجود المكان مكتسب من وجود المادة ، كذلك وجود الزمن مكتسب من حركة المادة . وحركة المادة هي انتقال الجسم المتحرك من حيز الى حيز آخر في المكان . اذن فترات الزمان منتحلة من فسحات المكان . ولذلك نقيس الزمن والمكان بمقياس واحد

نقيس المسافة المكانية بمقياس اصطلحنا عليهِ كالمتر مثلاً وكسوره السنتي والملّي متر ، ومضاعفه الكيلو متر الخ . والمتر هو طول رقاص Pendulum يخطر ٨٦٤٠٠ خطرة كلما دارت الارض على محورها دورة كاملة . وهذا العدد هو عدد ثواني اليوم . ولذلك خطرة الرقاص المتري تساوي ثانية . فقياس المكان وقياس الزمان منتحلان معاً من حركة الرقاص

والغريب اننا نستجيز القول ان الزمن لا وجود له البتة وانهُ ليس الاَّ مقداراً معيناً من الحركة ، في حين اننا في اعمالنا اليومية نقيس الزمن تارة بالمسافة المكانية واخرى نقيس المسافة المكانية بالمدة الزمنية . فنقول مثلا : ان القرية تبعد عنَّا مدة نصف ساعة بالسكة الحديدية ، وان المسافة بين القاهرة والاسكندرية ٣ ساعات بالسكة الحديدية . واغرب من ذلك ان بعض الناس في الولايات المتحدة يقيسون المسافة بالعملة فيقولون ان فيلادلفيا تبعد عن نيويورك ريالين ونصف ريال ، يعنون ان اجرة السكة الحديدية بينهما هذه القيمة النقدية

وحاصل القول ان الزمن او الوقت هو تعبير مجازي عن انتقال جسم من حيز الى حيز آخر بالنسبة الى انتقال جسم آخر من حيز الى حيز . جعلنا انتقال الشمس من افق الشرق الى افق الغرب ثم عودتها الى الافق الاول مقياساً للوقت سميناه يوماً . ثم قسمنا اليوم الى ٢٤ قسماً سميناها ساعات . ثم قسمنا الساعة الى ٦٠ جزءاً سميناها دقائق وقسمنا الدقيقة الى ٦٠ جزءاً سميناها ثواني . وجعلنا الثانية القياس الادنى لكل حركة اخرى . وما الثانية الاَّ جزء من ٨٦٤٠٠ من دورة الارض على محورها . اي ما يقطعه هذا الجزء من محيط الارض في الفضاء . وبعبارة اخرى هو انتقال اي نقطة من خط الاستواء الارضي في الفضاء ٤٣٠ متراً تقريباً (وهو الخارج من قسمة ٤٠٠٠٠ كيلو متر محيط الارض على ٨٦٤٠٠ ثانية) . فانتقال هذه النقطة الارضية الاستوائية في الفضاء ٤٣٠ متراً بواقع انتقال الارض في فلكها حول الشمس ٣٠ كيلو متراً . وانتقال المريخ في فلكه ٢٤ كيلو متراً

وانتقال المشتري ١٣ وزحل ١٩ وكسور وبتون ٥ تقريباً . ويوافق انتقال النور في الفضاء ٣٠٠ الف كيلومتر ، وانتقال النظام الشمسي كلهُ في قرص المجرّة ٢٠٠ كيلو متر وهلمَّ جرًّا — كل هذه الانتقالات تتم معاً في هنيهة واحدة نسميها ثانية

اذن الحقيقة انما نقيس الزمن او الوقت بمسافة مكانية كما نقيس المكان نفسه بمسافة مقرَّرة سلفاً . فالقياس للاثنين واحد مقياس مكاني[1] . اذا تصورت الكون ساكناً سكوناً مطلقاً لا حركة فيه البتة فلا تعود تستطيع ان تتصور مجرى الزمن . لا يبقى ماض ولا مستقبل . واذا قلنا ان الارض ولدت من الشمس منذ مليون مليون سنة عنينا ان الارض دارت حول الشمس مليون مليون مرة

كيف يقيس الزمن بالمكان

مجمل ، ما عرفت مما تقدم ان المكان هو الحيز الذي تشغله المادة ، وان الزمن هو تعبير عن قياس حركة المادة في المكان ، وان هذا القياس هو مسافة مكانية ، ومقياسه الاصطلاحي انتقال اي نقطة في خط الاستواء الارضي مسافة ٤٣٠ متراً في اثناء دورة الارض على محورها ، او هو خطوة رقاص طوله متر . وقد سمي ثانية — اما وقد عرفت ذلك فصار سهلاً عليك ان تفهم كيف ان الزمن مندمج في المكان بسبب تحرك المادة

هل تستطيع ان تنتقل في المكان من غير ان تنتقل في الزمان ؟ مستحيل . لماذا ؟ لان انتقالك هو خطوات متتابعة الواحدة بعد الاخرى ، وكل خطوة هي عبور مسافة مكانية . فعدد الخطوات هو تعبير عن الامتار التي عبرتها وتعبير عن الثواني التي امضيتها ، لانه يوافق خطوات الرقاص المتري او انتقال نقطة استوائية مسافة ٤٣٠ متراً في الفضاء — اعني اذا فرضنا كل خطوة هي متر في ثانية فالمتر هو خطوة والثانية هي خطوة ايضاً . وكلاهما تعبير عن حركة الانتقال

قد تقول : اذن يمكننا ان نستغني عن القياس الزمني للحركة ونقتصر على المقياس المكاني فنقول مثلاً ان اليوم هو ٨٦٤٠٠ خطوة (او متر) لان دورة الارض على محورها مرة واحدة توافق هذا العدد من الخطوات وبتقسيم اليوم لجعل الساعة ٣٦٠٠ خطوة والدقيقة ٦٠ خطوة والثانية خطوة واحدة . نتكلم بالخطوات ومجرمات الخطوات بدل الثواني والدقائق والساعات

اقول : نعم ونحن فاعلون مثل هذا . وما تعيبنا ما يوافق الخطوة ثانية والستين ثانية دقيقة الخ الا اصطلاحاً . ولابد من هذا الاصطلاح لتحديد المقاس الزمني لاختلاف سرعات الاجسام . فاذا قلنا ان

---

(١) يؤيد هذا القول الحساب الرياضي : م المسافة = ت الوقت مضروباً بالسرعة س هكذا م = س ت ومنه ت = $\frac{م}{س}$ اي ان الوقت يساوي المسافة مقسومة على السرعة : مثال ذلك : المسافة بين القاهرة والاسكندرية ٢١٥ كيلو متر او سرعة الاكسبرس ٧٥ كيلو بالساعة اذاً $\frac{٢١٥}{٧٥}$ = ٣ ساعات و ٣ × ٧٥ = ٢١٥ كيلو متراً . أترى كيف دخل الوقت مع المسافة بالحساب فهما من طبيعة واحدة

النور يستغرق منذ صدوره من الشمس الى ان يصل الينا (٨ دقائق) ٤٨٠ خطوة عنينا انه كل خطوت انت خطوة (متراً) خطا النور ٣٠٠ الف كيلومتر أي ان خطوة النور تساوي ٣٠٠ مليون خطوة لخطوتك. فترى اننا نستطيع ان نعرف النظر عن اصطلاح الثواني والدقائق الذي تعودناه كرمز زماني ونعبر عن حركة الانتقال بالامتار لان الثانية والدقيقة الخ رمز مسافة مكانية كما تقدم . فلا يمكن ان نعزل الزمن عن المكان عزلاً يجعله مستقلاً . ولذلك اكرر القول ان الزمن هو مسافة مكانية كالمكان تماماً

ولكن لان سرعات الاجسام والاجرام مختلفة عظيم الاختلاف نحن مضطرون ان نجعل اصطلاحاً خاصاً للتعبير عن هذه السرعات لكي نميزه عن الاصطلاح الخاص بالمسافات . فجعلنا الثواني والدقائق الخ لنعبر بها عن سرعة الانتقال (الحركة) وجعلنا الامتار والأميال الخ لنعبر بها عن مسافة الانتقال. ولكننا في حين تعبيرنا عن السرعات بالثواني والدقائق لا نستغني عن ذكر المسافة الكافية فنقول مثلاً ان سرعة القطار بالثانية ١٥ متراً وسرعة الارض بالثانية في فلكها ٣٠ كيلومتراً وسرعة النور بالثانية ٣٠٠ الف كيلو متر وهلم جرًّا . استنبطنا هذا الاصطلاح لقياس السرعات .

رأيت مما تقدم كيف ان ما نسميه زماناً يندمج تمام الاندماج بالمكان لانه يعبر عن تحرك المادة في الحيز. كما أن المكان يعبر عن وجودها في الحيز. وبعبارة اخرى ليس الزمن الا وسيلة للتفرقة بين وجود المادة وتحركها . وكلاهما في المكان

معنى البعد الرابع

بعد هذا البيان الواضح يسهل عليك ان تفهم المراد من قولهم « بالبعد الرابع » فأنت تعلم ان أي جسم او ذرة في الكون يتحدد موقعها في الفضاء بثلاثة ابعاد متعامدة فيها — ابعاد عن اجسام او ذرات اخرى . أي لا يكفي لتحديد موقعها بعدها عن جهة واحدة فقط ، ولا بعدها عن جهتين متعامدتين عندها فقط ، بل لا بد من اتجاه ثالث معامد للاتجاهين الآخرين وهي في نقط تعامدها جميعاً . هناك ينحصر موضعها . فاذا فرضنا انها سائرة (في خط مستقيم او خط منحن) فالمسافة التي تعبرها هي البعد الرابع. لانه لما كنا نعبر عن عبورها هذا بالاصطلاح الزماني (الذي ينوب عن الاصطلاح المكاني للتمييز بين وجود الجسم في المكان وسرعته فيه) كما علمت صح القول بأن الزمن بعد رابع مكاني ايضاً[1] وختام الكلام : الوجود هو مادة متحركة ، من خواصها الزمكان»

وفي مقتطف ابريل ١٩٣٣ مقال ضاف شرحت فيه قضية الابعاد الاربعة شرحاً وافياً فليراجع

---

(١) يؤيد هذا القول المعادلة الرياضية . هكذا : —

اذا رمزنا عن الابعاد الثلاثة بالاحرف ط (طول) ض (عرض) ع (علو أو عمق) م (المسافة) التي يعبرها الجسم متنقلا بابعاده (الثلاثة معه) كان لنا بحسب قضية فيثاغورس م٢ = ط٢ + ض٢ + ع٢ باعتبار ان المسافة هي وتر الجسم في الابعاد الثلاثة . والجسم هنا هو الحيز الذي يسير به الجسم المتحرك. وقد علمت في الحاشية السابقة ان م = ث س اذاً ث٢ س٢ = ط٢ + ض٢ + ع٢ فترى ان الوقت دخل في حساب المكان كضلع فيه (ث س) ولذلك عد بعداً رابعاً

لا انكر ان هذه العملية الرياضية الصغيرة تحتاج الى شرح مسهب لكي يفهم القارىء العامي المراد منها . ولكن يكل اسف ان خطة المقتطف لا تسمح بهذا الشرح الذي قد لا يلذ الا لنفر معدود من القراء

الفصل الرابع

نشيد من ملحمة له عنوانها غلواء

مضت أشهرٌ تُذرِّت للعطرْ وأظلم فيها الضحا والسحرْ
وأقبل نوارُ — عرسُ الطبيعة — يضحك في ورقات الشجرْ
يدغدغُ بالظل عشبَ الحقول ويطبع ألوانهُ في الزهرْ
ويبني على الهضبات ستاحفَ تسخر من هذيان البشرْ
كأنَّ عباقرةَ الجن فيها سكنَّ وعلَّقن تلك الصورْ
تخفُّ الشبابُ ندىَّ الحياة يستقبل الحُلُمَ المنتظرْ
على ثغره بسماتُ الربيع وفي قلبه بسماتٌ أُخرْ

***

وفي يوم عيدٍ نقيِّ السماء كأنَّ السما صفحةٌ من سُوَرْ
أطلَّ شفيقٌ على الهضبات فراءَ الشبابَ عليها انتشرْ
وأبصرَ غلواءَ بين الزهور كحوراءِ بين شهيِّ الثمرْ
تسرحُ في عدنها نظراتٍ عرفن أزاهير خيرٍ وشرْ
وقد لبست ثوبها الزنبقيَّ عليهِ نسيج بلون الخضرْ
وألقت على العشب جسماً هزيلاً كغصنٍ من الياسمين انكسرْ
خفَّ اليها وفيه عذابٌ بدا منهُ في مقلتيه أثرْ
وأثبتَ فيها عيوناً سكارى تجمَّد فيها رحيق الخدرْ
وقال: « لقد خلعَ الحقلُ عنهُ رداءَ الشتاء وغطى الحجرْ
وألقى عليه الربيعُ وشاحاً جمالُ الطبيعة فيهِ انحصرْ
فهلاَّ خلعتِ رداءَ الليالي والبستِ روحكِ ثوبَ البُكَرْ
وهلاَّ تشبهتِ بالياسمين فما كاد يحجبُ حتى ظهرْ
لقد غسلت بسماتُ الزهور ذنوبَ الشتاء الكثيف البصرْ
وعاد العفافُ الى الهضباتِ ففي كلِّ غرسٍ «فؤادٌ غفرْ»

فقالت : « أُطاول أن أُقاسي زماناً مضى وخيالاً عَبَرْ ... »

فقال : « وماذا يمثّل هذا الخيالُ ؟ »

فقالت : « غراماً عَثَرْ ! »

فقال لها : « أوضحي ، بالسماء ! ... وهذا الغرامُ ؟ »

فقالت : « دَعَرْ ! »

فقال ، وقد جحظت مقلتاه : « وهذا ؟ »

فقالت : « حبيباً هَجَرْ ! »

— وهذا الحبيبُ ؟ !

— غفرتُ له ... ويعفو إلهك عمّا بَدَرْ

غفرتُ كما غفرتْ في الربيع زهورُ الربى لشتاءٍ كَفَرْ
ولكنّ بي ندماً كالنهيب يريني الحياةَ خلالَ الشررْ !

. . . . . .

وكان النسيمُ يهزّ الغصونَ فينثر في الجوّ عطرَ الزهورِ
كأنّ العطورَ خطايا عذارى حلمْن بأثمارها في الخدورْ
ولمّا أفقْنَ اعترفنَ بها وقد هزّهنّ الضميرُ الطهورْ
وكان المساءُ على الهضباتِ يَنفضُ أشباحهُ في فتورْ
وشمس المغيب تعيرُ الظلالَ ألوانها في مطاوي الصخورْ
فقال شفيقٌ ، وفي قلبهِ رجاءٌ يموتُ وحبٌّ يثورْ
« عشقتكِ ، يا غلوَ ، عشقاً نما شقيَّ الرؤى في شواطىء صُورْ
وكنتِ من الداءِ في نشوةٍ تريكِ الحياةَ ظلاماً ونورْ
ظلاماً تلمّستِ فيهِ القناةَ ونوراً تنشّقتِ فيهِ العُرورْ
وما ذاكِ إلاّ لأنّ فؤادكِ ما ذاقَ في الحبِّ صدقَ الشعورْ
جهلتِ حقيقةَ وجهِ الهوى نخاتِ الهوى وجهَ مينٍ وزورْ
ولما سكرتِ بكذبِ الأغاني وعوّدتِ قلبكِ تلكَ الخمورْ
أفقتِ فلم تجدي في الكؤوس إلاّ قذارةَ خمرِ الثغورْ

جعلت لطوى ذكرت الربيع ... وقد تكرين غير البكور
ومن لم يقدّر له أن يشمّ ... يكر حتى أريح العطور ! »
فقالت : « صدقت ولكني ... أحسّ بقلبي خفاق الجذور
فأنت ترى في الربيع الجمال ... وأبصر أزهاره كالبدور
وتبصر في الزهر لون الحياة ... وأبصر في الزهر لون القبور ! »
فقال : « ترين بعين القنوط ... الجمال الذي أيّدته الدهور
فهذا الربيع سيبقى ربيعاً ... وهذي الزهور ستبقى زهور
ولكنّ في أعين اليائسين ... زجاجاً يريها نواحي الشرور
لئن كنت دنّست تلك العيون ... وذاك الفؤاد بماء النجور
ولم تسمعي نغمات الخفاف ... ولم تنشقي في العفاف البخور
فقد كفّر الدمع عمّا جنيت ... وصادفت يا غلّ قلباً غفور ! »

***

وأهوى على صدرها باكياً ... وأهوت على رأسه باكية
وما هي إلاّ دقائق حتى ... تلاشت رؤى نفسها الدامية
فأدنت الى ثغره ثغرها ... على مشهد من تقى الراهبة
على مشهد من نقاء الزهور ... العذارى ومن عفّة الساقية
فأحرق ثغرٌ شقيق على ... مراشفها القُبَلَ الماضية !

***

وإذ صعد البدر خلف الجبال ... وذاب على الربوة العالية
وهوّمت الطير بين الغصون ... لتحلم أحلامها الصافية
ولم يبق يُسمع في الحقل إلاّ ... تنهّد شبّابة الراهبة
أفاق الحبيبان من سكرة ... الدموع الى سكرة ثانية
وظلاّ من السكر في نزوات ... تطهّرها عفّة باقية
الى أن دنا موعد الافتراق ... واصفرّت الانجم الساهية
كأنّ النجوم الذليلة في الأفْـ ... ـق رشح خمور على خابية
كأن النجوم زفير خطايا ... تصعّده ليلة زانية !

المحاضرة الثانية — الفن الصيني

بنيون الفنان

بين التصوير والشعر

للدكتور احمد زكي الوشادي

(١)

بلغت حماسةُ بنيون الغايةَ من الاندماج الأدبي في محاضرته الثانية واسترعى اعجابَ المستمعين الى درجةٍ جعلت أحدَ أدباء الانجليز يقول لي مداعباً « إنّ بنيون يتحمّس للفنّ الشرقي وللفنّ الصيني خاصةً تحمّسَ صفوةِ ابنائهِ المتقدّمين حتى كاد تفوّقهُ له يحيله صينيًّا في سماته ! »

استهلّ بنيون هذه المحاضرة بأسلوب درامي فقال: في سنة ١٢٩٥ بلغ وطنَه (البندقية) سائحٌ من الشرق ، وكان قد تغيّب في صميم آسيا مدّى ستّ وعشرين سنة قضى معظمها في الصين في خدمة الفاتح المغولي كوبلا خان . وكان هذا السائح ماركو بولو ، وقد استُقبل في وطنه بارتياب اولاً ثم بتهليل العجب والدهشة . وقد تزعّم بعد ذلك بقليل إحدى السفن في معركة بين البندقيين والجنويين انتهت بأسره ، فلما كان في السجن أملى بياناً عن رحلاته وهو المشهور الآن باسم (كتاب ماركو بولو — The Book of Marco Polo) وكان هذا الكتاب الذي اثار احلام كولومبوس ليلاً ونهاراً وألهبهُ بخواطر الوصول الى الجُزر الهندية عن طريق المحيط الغربي — كان هذا الكتاب اول كشفٍ عن الصين والصينيين لاوربا

كان الرومانيون في عهد الامبراطورية يستوردون الحرير الصيني ، ولكنهم لم يعرفوا عن أهل الصين الاّ ما نقلتهُ الروايةُ عن انهم شعبٌ ظريفٌ عجيبٌ في الجانب الاقصى من آسيا . ولكن ماركو بولو كان مبعوث سيده الى جميع انحاء الامبراطورية الصينية ، وهو بفضل ذلك يضمّن كتابه أدقّ التفاصيل عن كلّ ما شاهد وقد كان مشاهداً اريباً

وكانت مدينة هانج شو عاصمة الصين حينئذٍ في مبدإ انحطاطها لمّا رآها ماركو بولو ، ولكنها مع ذلك خطفت بصره وأذهلتهُ ! وهو الذي عرف البندقية والقسطنطينية يصف هانج شو بأنها أجل وأنظم مدينة على الارض بمحيطها الفسيح وبجسورها الصخرية التي بلغت الألفين فوق قنواتها العديدة ، وبحماماتها العامة ذات الماء الساخن وقد بلغت الثلثمائة ، وبرجال شرطتها البارعين ، وبأسواقها الكثيرة الحافلة بشتى المحصولات من كلّ مقاطعة ، وبأمرائها التجار الذين كانوا يعيشون فاخمين كالملوك ،

وتلك الكائنات الانيقة الملائكية : روجاسم ! وكانت شواطئ البحيرة التي قامت عليها العاصمة مزدحمة بالقصور والمعابد والاديرة . وقد احتشدت في الماء القوارب والصنادل كما ازدحمت الطرقات بمواكب لا آخر لها من العربات

وما هو حال السكان في هذه المدينة العجيبة ؟ يحدثنا ماركو بولو انهم ما كانوا يحملون الأسلحة ولا يحتفظون بها في بيوتهم — وهذا هو المظهر الخارجي لحالة من المدنية الصادقة — وقد لاحظ بعثة خاصة أديهم محو الاجانب ورغبتهم في معاونتهم . فهذه هي جميع الامارات لا لحضارة عالية فقط بل لما نسميه عهداً «عصرياً» ، وفي الواقع وصف حديثاً أحد كتاب الفرنسيس ذلك العهد بأنهُ من فترات الانسانية الكاملة

(٢)

كان ذلك العهدُ الذي اقترض اثناء إقامة ماركو بولو في الصين عهدَ الدولة السُّنجيَّة . وسأتكلم بصفة خاصة عن الفن في ذلك العهد لان العبقرية الصينية عُبِّر عنها فيه كما يلوح لي أوثق التعبير . فأولاً يجب عليَّ ان اقول كلمةً عن النسبة الفنية للتصوير الصيني : فاعداد التصاوير الحائطية التي اندثرت جميعها تقريباً (وإن كان عددٌ منها نُقِلَ اخيراً الى اوربا واميركا ، ويوجد نموذجٌ فاخرٌ منها في المتحف البريطاني) نجد ان التصاوير الصينية منقوشةٌ عادة على الحرير أو بعضر اقلّ على الورق ، وتُستعمل لها الصبغات المائية أو الحبر . ولم يُستعمل التصوير الزيتي الاَّ بتأثير اليسوعيين ولكنهُ لم ينل حظوة لدى الصينيين

وقد أخذ المستر بنيون بعد هذا التمهيد يعرض ألواحه المختارة بالفانوس السحري تمثيلاً لخصائص الفن الصيني وتطوُّره . فوجَّه الانظار الى ان التصوير كان معدوداً فرعاً من الكتابة ، وكانت الحروف الصينية تكتب بالفرشاة ، وإجادة كتابتها كانت تستدعي مرانةً فائقةً و «استاذيةً» لم يظفر بمثلها الاَّ القليلون من المصورين الاوربيين

وكانت الصورةُ الاولى عبارة عن رسم خيزران نامٍ على صخرة وقد نُقشت في القرن الثالث عشر للميلاد . فوجَّه المحاضرُ الانظار الى الجمال في ضربات الفرشاة ، والى درجات التعبير والتظليل من أغمق السواد المصقول الى الاشهب الباهت الى السنجابي القبضي . وقد ذكر المحاضرُ انهُ كان يُطلب كثيراً الى النقَّاش الشاب على سبيل التمرُّن في استعمال الفرشاة ان يقلِّد بنقشه ظلَّ الخيزران في ضوء القمر على ستار ، وكان على النقاش ان يرسم ذلك من مخيلته

وكانت الصورة الثانية عبارة عن رسم تقليدي الموضوع وهو مشهدُ القمر فوق الأمواج الصاخبة ، وقد ذكر المحاضر انهُ عرضها ليظهر وجهاً آخر من اوجه الفن الصيني ، خلافاً للمصورين الغربيين الذين قد يحاولون نقل المنظر الواقعي نجد ان المصوِّر الصيني عُني بالخصائص الجوهرية اكثر من عنايته بالمظاهر الخارجية للاشياء . ففي رسمه البحر ، كانت محاولتهُ موجَّهةً الى نقل حركة

الذهن الى المشاهد المصورة اي التفعيل النظمي (الرِّدْم) الذي خُلِقَتْ منهُ الأموج . وهذا ما يطابق النظرية الصينية في الفن ، فمنذ القرن السادس الميلادي عُرِفَتْ في الصين المقاييس الستة للحكم على اي عمل فني كما وضعها احد رواده ، فكانت نهاية البراعة الفنية تلك التي يهبُ وحيُها الحياة . وكان من المعترف به ان حركة الحياة إذا لم تعرقلها الظروف — رتيبةٌ ودمية (منتظمة التفعيل او التوقيع) ، وانَّ الواجب في العمل الفني الحقيقي ان يشمل الرِّدْمَ او التوقيع المثالي للحياة

وعرض المستر بنيون بعد ذلك عدداً من الصور المنسوبة الى الفنان كُوكاي تشي الذي عاش في القرن الرابع ، وكانت هذه الصور بمثابة رسوم شرحت بها رسالة وجيزة أُلِّفَتْ في القرن الثالث بعنوان (تنبيهات قهرمانة القصر) ، والدفتر الحاوي هذه الصور محفوظ بالمتحف البريطاني . ونحن نلحظ في صورة هذه القهرمانة او المربية ذلك الثبات المنسجم الذي ينتسب الى المدنية الصينية والذي يُعبِّر عنهُ كونفشيوس بقوله : « اعتمد في الحكم على التعليم والآداب الرضية اكثر من الاعتماد على القوانين والعقوبات . واذا وجدت كلمة يمكن ان تهدينا عمليًّا أثناء حياتنا فلعلها (الاحسان) » . كان كونفشيوس يبشر بدين الفرد في كل شيء الى المجتمع والدولة . وقد خلت تعاليم لاوتزو Lao-tzu في ذلك القرن الرابع نفوساً كثيرة . ومعروف في السياسة العصرية تياران فكريان متعارضان : فلسفة الفكر الذي يعتبر النظام اثمن شيء في الدنيا ، وثمة الفكر الآخر الذي يعتبر الحرية أغلى شيء ، ولكن أتباع لاوتزو كانوا يطبقون نوعاً من المقاومة السلبية ، فلم يكونوا في كفاح مع الدنيا وانما انسحبوا منها . كان لاوتزو يقول . « لا تفعل شيئاً . وكلُّ شيء يُفعل ! إن (لاشيء) أنعم واضعف من الماء ، ولكن لمهاجمة الاشياء الصلبة القوية لا يوجد شيءٌ في قوته مثل الماء . . . » وعمل هذه الخواطر الذهنية ثار كثيرون من الرجال البارزين على نمط الحياة الرسمية ، وحتى على فكرة الخدمة العامة ، وانتحوا أماكن بعيدة منعزلة في الجبال لغرس الاقحوان ، ولشراب النبيذ في ظلِّ الأشجار ولعزف الموسيقى !

هكذا أظهر لنا المستر بنيون ذلك التجرُّد الرمزي وذلك البحث عن المطلق ، وهو ما كان يعدُّ على ما يظهر لبَّ الطاوية taoism أو كان قريباً من عقيدة استمدَّها من الهند طائفةٌ من البوذيين وهي طائفة زِنْ Zen — طائفة التأمليين — وامتزاج هذين التيارين الفكريين صبَغ بلون خاص كثيراً من الفن في العهد الشنجي . وعرض المحاضر بعد ذلك صورة تمثل بوذا في سمات أبولو . وهذا الطراز ماثلٌ في متحف لاهور . وقد تعرَّض لهُ كبلنج في قصته كِمْ — Kim

(٣)

انتقل المحاضر بعد ذلك الى الحديث عن انتشار البوذية انتشار المظفر الغلاب من الهند الى الصحراء الاسيوية الوسطى ، الى الصين ، الى كوريا ، الى اليابان ، والى شواطىء المحيط الهادىء . وكانت تمتدُّ خلال آسيا جميعها الطرق العظمى للتجارة حيث كانت البضائع الصينية الحريرية تنقل

الى البحر الأبيض المتوسط ، وكان التجّار من كل صنف يغدون ويروحون بين اوربا والشرق الاقصى والهند . ولكن نظراً لخذلان الجوّ والسُّقيا افترضت حول القرن الثامن تلك الواحات التي كانت كعقد منظوم في ذلك الطريق التجاري العظيم ، وقد جاءت الحفريات الحديثة بكثير من المكتشفات الرائعة منها ، فمثلاً في مدينة تُسمّى هُوَ انج — وهي مدينة مسوَّرة في احدى الواحات واقعة في نهاية الحدود الغربية للصين — وجدت سلسلة من الكهوف المحفورة في الصخر وقد ملئت بالتماثيل البوذية وبنظائرها من التصاوير الحائطية . وفي احدى هذه الخزائن المقدسة اكتشف السير أورال استين في سنة ١٩٠٨ قبواً مخبوءاً كدّست فيه مخطوطات وتصاوير حريرية بعدّ الآلاف . وقد كومت بعضها فوق بعض كوماً ضمّتها عشر اقدام ، معرّضة للتحطيم ، ويظهر انها خبئت هكذا في وقت ذُعر عند احدى الغارات البربرية منذ ألف سنة مضت . وكثير من هذه الصور مودع الآن في المتحف البريطاني حيث استدعت سنين من الجهد العظيم لتنظيفها وتنسيق أجزائها ثم لصقها على نظامها الاول بعد ان كانت في حالة من التمزّق والتناثر تبعث على اليأس

***

وأردف الحاضر هذا البيان بعرض طائفة من هذه الصور وكلها ذات مناظر بوذية : فظهرت في احداها صورة بوذا راكباً عربة يصحبها الجنُّ من الكواكب السيّارة ، وفيها يلوح بوذا هندي الطراز بينما يلوح الجنُّ صينيين . وفي صورة اخرى منقولة عن عَلَم صغير نرى مشهداً من الاسطورة البوذية اذ نرى بوذا يلتقي لأول مرة برجل مريض ، وفي هذه الصورة نجد كلّ شيء مترجماً الى الصينية — النماذج ، والملابس والتركيب الهندمي

(٤)

بدأ عهد الدولة التنجيّة العظيم في القرن السابع وهو أول العهود الفنية التي تعنينا . أما العهد الثاني فالعهد السُّنجي ، وأما الثالث فالعهد المنجي . وقد بقيت كلٌّ من هذه الدول حول ثلثمائة سنة ، فكأن الحياة الفنية الخطيرة في الصين شغلت تسعة قرون تقريباً ، اذ كان العهد التنجي من القرن السابع الى القرن العاشر ، ومكث العهد السُّنجي من القرن العاشر الى الثالث عشر ، وامتدّ العهد المنجي من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر . وبين الدولة السنجية والدولة المنجية قامت دولة قصيرة العهد هي دولة اليوانيين أو المنغول وهي عهد كوبلا خان

ومن نماذج التصوير النادرة للدولة التنجية عرض المستر بنيون صورة « القديس » وهي نموذج صادق النسبة الى ذلك العهد الذي ضاعت معظم آثاره الفنية ، ولذلك يشق علينا أن نحكم حكماً جازماً عن حالة الفن في ذلك العهد اعتماداً على الآثار الفنية الضئيلة التي بين أيدينا . ولكننا اذا اعتمدنا على ما سجله المؤرخون فاننا نميل الى الاعتقاد بأنهُ كان أعظم عصور النهضة الصينية في

القوة والتردد ومن أعظم عصور الفن في تاريخ الدنيا بأسرها . كانت الصين حينئذ في أوج سلطانها وكان حكمها ممتداً غرباً حتى بحر قزوين ، وكان ذلك العصر أيضاً عصر أرق الشعر الصيني

أما عن اعظم آثار التصوير البوذي فيرى المستر بنيون أنها بلا شك آثار الفنان وو — تاو — تزو (Wu Tao—zu) اشهر الاساتذة الصينيين . وثمة قصة عجيبة متواترة عن مهابة هذا الفنان ، فقد رسم منظراً عاماً كبير الحجم على حائط في القصر الامبراطوري . وقد أرسل عليه ستاراً أعد لنزهة الفنان الى جانبه لكي يرى الامبراطور ذلك المنظر الجامع لمشهد الجبال والغابات العظيمة وسيول المياه المتعطفة والجماعة المرتادين للمار الصخرية والطيور السابحة في الفضاء . فدهش الامبراطور أيما دهشة لهذا المنظر الرائع . وشخص اليه مبهوتاً ! فقال الفنان : « ولكن داخل المنظر أجمل من خارجه ! » ثم صفق بيديه فانفتح باب كهف بين الصخور الأمامية ، وحينئذ خطا الفنان الى داخل عمله ، وغلق الباب خلفه . وبينما الامبراطور يحملق مشدوهاً كان هذا الرسم الفني العظيم يهيب ويغيب عن الحائط دون أن يبقى أي أثر منه . فلم يُرَ بعده وو — تاو — تزو مرة أخرى ! وهذه الاسطورة الرمزية البديعة السامية المغزى تحدثنا بأن الفنان يستحيل الى ما يخلقه ، وأن روحه تنتقل الى عمله

والمعروف أن جميع الثلاثة من التصاوير الحائطية التي نقشها وو — تاو — تزو قد فقدت ، ومع أن قليلا من التصاوير الحريرية تنسب اليه فمن المشكوك فيه كثيراً أن هذه التصاوير أصيلة . ولعلنا نقترب من حقيقة القوة الفنية والحيوية العظيمة المنسوبة الى وو — تاو — تزو عند ما نتأمل مجموعة من الرسوم الخطية المأثورة عنه ، وهذه موجودة بين احدى المجاميع الخاصة في اوربا ، وهي مصداق افتتان النقاد والمؤرخين بعبقريته العظيم . وليست هذه الصورة مع ذلك من ريشة ذلك الاستاذ العبقري ، وانما هي نُسخ من الصور الأصلية صنعها أحد الاساتذة البارعين في القرن الحادي عشر ، وربما كانت الصور الأصلية المفقودة صوراً حائطية . وهي تمثل بعض الأساطير الشعبية القديمة عن المردة التي تصارع الحيوانات ، ولم يعرف عن صور اخرى فاقتها في قوة الرسم الخطي وفي التعبير عن القوة في الحركة . في ذلك الوقت نشأت مدرسة عظيمة للتصوير العام للطبيعة ، وكان أحد زعماء هذه المدرسة الفنان وانج وي (Wang Wei) وقد كتب بحثاً في ذلك ، وسجلات هذا التصوير هي أشبه ما تكون بسجلات الموسيقى في اوربا الحديثة حيث تتناول موضوعات متقاربة ومتقابلة وتعرضها بعضها إثر بعض . وليس لهذا الطراز من الرسم مثيل في الفن التصويري

(٥)

انقضت الدولة التنجية العظيمة في سنة ٩٠٥ م ، وبعد نصف قرن من الحكم بواسطة دول

... العصر دخلت الامبراطورية في عصر جديد من المجد الدموي — ذلك هو العصر الشنبي ... كالعصر الاول الزاهر للمائة سنة

... روح التصوير في هذا العصر الجديد روح التمثيل القومي . مثال ذلك أن ترى الازهار تغطس ... خارج في داخل إطار الصورة ، وأن تجد حيال ... ارة عجوبة عن أعيلنا ماثلاً فوق الماء ، ... في هذا الخواطرنا دنيا من الاخيلة عشر ما نرى !

كان الجمال ينشد لذاته ، وكان يلحظ في اهون الاعمال وأحقر الحرف والصنائع كما نرى في صورة الفلاح الذي يقطع الخشب . وكان مشهد النور لشجرة البرقوق مثلاً ، او مشهد الطعمة وهي ترامس في مجرى الريح لا يقل في دلالته المعنوية والفنية لروح الفنان عن صورة احد المعبودات او احد الملائكة !

بلغ هذا العصر اذن في فن التصوير الطبيعي العام ، وفيه وجد العصر اسمى الادوات لتعبيره الفني . فكان الجبل والضباب والجدول للفن في العصر السنجي بمثابة ما كان الجسم الانساني العاري للفن في العصر الاثيني . وهذا ما يجعل للفن في ذلك العصر شأناً عديم النظير ، اذ لم يعرف في اي عصر آخر ولا في اي مكان آخر ان المناظر الطبيعية العامة اكتسبت مثل هذا الشأن بحيث تصير موضوعاً رئيسيًّا غلاّباً حتى كأنما ... وروبنز ورمبرانت قد وهبوا جميعاً اعمق طاقاتهم الفنية وأقوى جهودهم لا لتصوير النماذج الجسدية بل لتصوير هذه المناظر الطبيعية ! وكانت الواح الصور التي عرضها المستر بنيون اثر ذلك شاهداً صادقاً على ان هذا الشعور العميق بروعة الطبيعة وحبها مما ميز الشعب الصيني منذ اقدم العصور . كان المصور الصيني بغير تعمد يكشف في تلك الصور عن ذهنيته وعن اسلوبه في النظر الى الدنيا والى الحياة . فاذا اردنا ان نفهم عقلية الفنانين في العصر السنجي فمن الميسور ان نلج اليها عن طريق شعر وردزورث . وقد يدهش البعض لهذا القول ، ولكن في اشعار الطاويين taoists الصينيين واقوالهم نجد تطابقاً عجيباً حتى في دوران التعابير لشعر وردزورث ، فنقرأ لهم امثال هذه التعابير « ان الدنيا شغلتنا اكثر مما يجب » و« السلبية الحكيمة » و « الباصرة الداخلية التي هي نعيم الوحدة » و « اني اعتقد ان كل زهرة تتنسم بالهواء الذي تستنشقه » و « ان نفحة من غابة الربيع قد تعلمك عن الرجال وعن الشر والخير الادبي اكثر مما تتعلمه من جميع الحكماء »!

أليس غريباً حقًّا ان يتفق هكذا في التفكير رجلٌ من وهاد كمبرلاند منذ مائة سنة ، واولئك الناس في الطرف الآخر من الدنيا منذ مائة والف سنة ! ؟ أليس هذا بمثابة شهادة مدهشة على تماسك الانسانية ؟ !

وقد عرض المحاضر بعد ذلك صوراً توضيحية لهذه العناية الفائقة برسم الطبيعة ، ووجه الانظار بصفة خاصة الى احداها حيث يبدو الاهتمام بالمنظر العام فوق الاهتمام برسم الاشخاص .

وفي الواقع كان الصينيون في العهد السنجي يعتبرون الخلوات الجبلية والسيول المتدفقة رفقاء الروح ، وهذا ما نلمحه مثلاً في صورة الجبل الذي يشمخ حتى يغيب في الضباب ثم بعد قليل كأنها الأوج بعد الاوج من مقاطيع ملحمة شعرية عظيمة ، حتى لنحس بأن الطبيعة صارت مرآة للنفس الانساني ! ومثل آخر صورة «عودة الصياد» فكلنا حين نتأملها نتأمل كورو الرسام الفرنسي الشهير للطبيعة : ١٧٩٦ — ١٨٧٥) وقد وصفت صوره بأنها عبارة عن قصائد شعرية منقوشة الوانا ، كما عدّت من اسمى النماذج في تآلف الاصباغ وانسجامها وفي روحانيتها الفنية

ولعل الروح الصادق للفن الصيني هو ما رمز اليه احد كتاب الصين في القرن الثامن حين لخص نفسه بأنه « صائد السمك المسن في الضباب والمياه » ! لقد اتفق وقته في صيد السمك ، ولكن هذا نوع من الاتفاق الرمزي ؛ اذ انه لم يستعمل طعماً ولم يصطد سمكاً ! وقد سأله بعضهم : لماذا يتجول هكذا شريداً ، وعرض عليه سكناً مريحاً بدل الزورق الحقير الذي يسكن فيه . ولكنه اجابه قائلا : «ماذا تعني بجولاني وتشردي حينما السماء العلى بيتي ، والبدر الساطع رفيقي ، والبحور الاربعة اصدقائي الذين لا ينفصلون عني ! اني لأؤثر ان اتبع زمّج الماء الى وطن السحب على ان ادفن نفسي السرمدية تحت تراب الدنيا ! »

ومن افضل الصور التي عرضها المستر بنيون صورة من ريشة — ما يوان Ma Yuan — ولعله اشهر مصوري الطبيعة عند الصينيين — وهي شبيهة من بعض الوجوه بصورة رمبرانت المشهورة « الطاحونة » ، ففي كلتيهما يبرز من الجانب شكل قائم هو اظهر ما في تركيب الصورة ، ولكن بينما وضع رمبرانت طاحونته القديمة تجاه الافق عند الغروب الباهت ، نرى ما — يوان الى شجر الصنوبر تلفحه الريح وقد شمخت فوقه بروج الصخور لمستر نهر . وصورة اخرى استرعت الانتباه لانها — كما قال المحاضر — شبيهة في موضوعها بصورة «جرس التبشير (Angelus) للرسام الفرنسي الشهير ميليه [1] ، وهي واحدة من ثماني صور طبيعية في روحها ومراميها مما كان يرسم مثيله كل فنان صيني على ما يظهر في وقت ما من اوقات حياته الفنية . وموضوع هذا الرسم الصيني هو « جرس المساء من الهيكل البعيد » . وهو عبارة عن رسم تقريبي بالمداد يمثل الساعة حينما يخطو السائح نحو التلال التي تمثل آخر غاية رحلته فيسمع عن بعد جرس المساء ، ويتطلع الى اعلى فيرى النهار قد انتهى ورؤوس التلال آخذة تتمّم في الغسق . ولكن الفنان الصيني لا يلجأ الى رسم الاشخاص لبيان قصته ، وحتى الجرس لا يبدو في الرسم ، وانما يكتفي بالرمز اليه باظهار قبة الهيكل بعض الشيء من بين اشجار الغابة فوق التل ، مكتفياً بهذه الاشارة

ولما تقدم الفن الصيني واستكمل نضوجه ابتدع طريقة في تقسيم فراغ الصورة لم يكن لها مثيل

(١) هو غير سيه المولود في اتورب (١٦٤٢ — ١٦٧٩) وان كان كلاهما فرنسي اللسم . ورسامنا الشهير مولود في جروش بفرنسا في سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٧٥م ، فبينهما فصل قرن ونصف القرن

في عالم التصوير ، تلك هي طريقة « الموازنة » وهذا النوع من « التفريغ » الذي يبدو غريباً لعين الاوربية كان يبدو لاول وهلة هوائياً ، ولكنه في الواقع ناجم عن نظام فكري للطاوية (واشهر ائمة هذه الديانة الصينية كان لاو — تسي ٦٠٤ ق.م في القرن السادس قبل الميلاد ومن تعاليمه ان التأمل والتفكير المنطقي واجتناب العنف وانفعال الشعائر المجردة هي وسائط التجدد) ، وهكذا اصبح الفراغ لا الامتلاء وحده ذا قيمة في التعبير الفني

وعرض المخطوطة جملة صور لتمثل كيف احب الخيال الصيني الرمزين الرائعين للتنين والببر ، وهي في تأليفها مثال للاستاذية البارعة . وكانت الصور المختارة جميعها ممثلة لمشاهد الطبيعة . قال بليون : « ان خلف جميع هذا الفن الصامت تكمن العقيدة الثابتة بأن الفن في جوهره اتصال ما بين ذهن وذهن ، واتصال خواطر وعواطف صهرت في مزاج واحد ومجال التعبير عنها لغة . وفي طاقة المشاهد ان يبلغ الى صميم ذهنية الفنان بواسطة الاثر الفني الصادق ، ثم عن طريق هذا ايضاً الى العمق والفراغ ، الى الافق غير المحدود للحياة العالمية ، وما لم تكمل هذه السلسلة من الارتباطات فان الصورة تعد كأنها غير موجودة او غير مستكملة الوجود . وهي لا تكتسب حياتها الكاملة الا في اذهان من يتأملونها منا ، ولن يزهر تفكير الفنان الا فينا ، ولا يولد عمله الجليل الا في نفوسنا . ومن هذا تظهر قيمة التوكيد النقدية التي توجه دائماً عن اهمية استعداد الناظر وتهيئة نفسه للتأمل في العمل الفني ، وذلك باخلاء ذاته ليملأها كل الاثر الفني ، طارحاً من ذهنه جميع الفروق المتخيلة ، بحيث يدخل فكر الفنان دخول ضيف في غرفة هيئت للترحيب به »

ازاء هذه الخواطر الفياضة يمكننا ان نفهم كيف ان هذا الفن استحال شيئاً فشيئاً الى جهد لقمع المادة واذابتها في فكرة ، وللتعبير بالاشارة عن المعنى الزواغ وعما لا يمكن وصفه . والشيء الوحيد الذي عدّ ضرورياً للعمل الفني هو ان يجاب معه بذرة التفاح بحيث يزهر في ذهن من يتأمله

(٦)

يتضح مما تقدم ان اطار التصوير في العهد السنجي يتنقل ما بين سر لم يبح به كاملاً ، وعواطف وخواطر لا نعرف مصادرها وانما تأتي الينا في حالات خاصة واماكن خاصة ، وذلك الامتلاء الخبري الوقتي الذي يبدو كالاسترداد لانسجام مفقود بين الانسان والطبيعة

وحول اواخر الدولة السنجية اخذ التصوير يتحول تحولاً مدرسياً . والتقليد المدرسي في التصوير الغربي يعنى بالاشخاص وبموضوعات البطولة (كما توصف) وهي موضوعات معرّضة لان تصير جد متعبة ، وأما الروح المدرسية في التصوير الصيني فقد لجأت الى تحويل الرسم التقريبي التأثري بالمداد الى طابع مألوف خاو وهكذا استحال الى مجرد تسطير واطراد

وفي الدولة اليوانية التي جاءت بعد ثم بالاكثر في الدولة المنجية (من القرن الرابع عشر

الى القرن السابع عشر) — بالرغم من وجود فنانين بارعين — أخذت النزعة الفنية العامة تتحول تحولاً بطيئاً غير محسوس الى التعلق بالمظاهر وبالزخرفة وبالصنعة بدل ان تكون عميقة وبسيطة. بيد اننا نجد في ادوار الفن الصيني الأخيرة — جنباً الى جنب مع التقليد المدرسي الذي تتكرر سمة الطرائق القديمة والأغراض القديمة — نزوعاً الى الثورة

وختم المستر بنيون محاضرته النفيسة بقوله : « ولكني اريد أن أختم بشرح مثالي للعبقرية الصينية في مظهرها المدرسي (الاكاديمي) ، فلنعد الى العهد السنجي » . وهنا عرض صورته الأخيرة التي تمثل طائفة من البلشون (مالك الحزين) تلجية البياض مستولية على شجرة صفصاف وفيها يتجلى جمال الفن الصيني في طلاقته وفصحته وحركته وانسجام فراغه ، قائلاً : « وكأننا نشارك حياة تلك الطيور وهي تخرج من الصورة وتدخل فيها ! ولو حاولت أن تقتطع بعض ذلك الرسم لشعرت فوراً بالتخلخل فيه كأنما شيء حي قد شُوِّهَ ! وكيفما كان قصور الفن الصيني — واني لم أتعرض الا لوجه او اثنين من وجوهه — فلا يستطيع أحد ان ينكر صفته الفنية كفن خالص . ولكن الفن الصيني لا يعيش لزخرفته الجميلة فقط فانه مثل دنيا لم يكشف بعد الا عن نصفها ، حيثما نظل دائماً نعجب بشارة خواطرها ومشاعرها التي تزهر منها ، هي الايحاء والالهام اللذان تمنحهما الا نفسنا اليوم » !

***

ولا نزاع في أن موضوع الفن الصيني موضوع مشوق جداً لانه مشبع بدراسات متنوعة متعددة ، وقد اقتصرت محاضرة المستر بنيون على ناحية التصوير في أسلوب عرضي قصصي مقارن ، ولا يجوز لعارف اللغة الانجليزية أن تفوته مقالة بنيون نفسه في الجزء الخامس من الطبعة الرابعة عشرة لدائرة المعارف البريطانية (ص ٥٧٥ — ٥٧٩) ولا كتابه المسمى (المصورون في الشرق الاقصى Painters in the Far East) فضلاً عن اهم المؤلفات المتعة في هذا الموضوع واخصها بالذكر كتاب جايلز Giles في التقديم لتاريخ الفن الصيني التصويري Introduction to the History of Chinese Pictorial Art وكتاب أمورا S. Omura عن المصورين الصينيين (Chinese Painters)

لقد كان بنيون بمثابة رسول يبشر لنا بجمال الفن الشرقي ، فما احرانا بالتطلع الى روعة الشرق وان كان للغرب سحره وجاذبيته [1] ، فان من ينشد متعة الجمال التي يتقصاه في الاقطار والاجيال على تباين اللغات والاديان كما ضرب لنا المثل الحي على ذلك شاعرنا المحاضر الفنان

(١) راجع ما تنشره مجلة (آسيا) Asia بين وقت وآخر من بحوث عن الفن الشرقي . انظر مثلاً عدد يونيه سنة ١٩٣٤ وما ذكر فيه عن مدرسة بالك الروسية وتأثرها بالفن الصيني وعدد ابريل ١٩٣٦ عن الفن الياباني

التحليق بمنطاد

الى علو ستين الف قدم

تنزل قصة غزو الانسان لطبقات الجوّ العليا من كتاب المغامرة في صفحة من اعجب الصفحات. فمن نحو ثلاثين سنة حلّق والدان المانيان بسلّم مدلّى من بلون الى علو ٣٥٤٢٠ قدماً فحسب تحليقهما من العجائب . ولكن الانسان لا يستطيع العيش طويلاً حيث مقدار الاكسجين في الهواء قليل ، وهذان الوالدان كادا ان يلقيا حتفهما فظلّ عملهما هذا لا نِدّ لهُ مدّة عشرين سنة

ولكن ارتقاء الطائرات ، واستنباط اسطوانة خاصة تُجهز الطيّار بالاكسجين عند ما يقلّ هذا العنصر الحيوي في الهواء ، مهّدا للانسان طريقاً جديدة لغزو طبقات الجوّ العليا . فحلّق الطيار الفرنسي لوكوانت Lecoiate سنة ١٩٢٣ بطيارة الى علو ٣٦٥٢٠ قدماً . ومن ثم مضت الامم تتبارى في هذا الميدان فاحرزت امم مختلفة قصب السبق فيه الى ان كانت سنة ١٩٣٤ اذ حلّق دوناتي Donati الايطالي الى علوّ لم يبلغهُ احدٌ قبلهُ ولا بعدهُ بالطيارة ، وهو ٤٧٣٥٠ قدماً. وكان غراي الاميركي قد حاول ان يفوق من تقدمهُ مرتين باستعمال المنطاد فاضطرّ في الاولى ان يقفز بمظلته بعد ان بلغ ارتفاع ٤٢٤٧٠ قدماً ووجد في الثانية ميتاً في سلّ المنطاد وقد تعطّل جهاز الاكسجين

فلما استنبط الاستاذ پيكار البلجيكي الكرة المعدنية المحكمة الاقفال، المدلاّة من البلون بامراس ، تغيّر وجه هذا الضرب من المغامرة او الرياضة . ذلك ان الطيار يستطيع ان يجلس الآن داخل الكرة ، بمنجى عن هبوط الحرارة وقلّة الاكسجين خارجها ، معتمداً على اجهزة في الداخل تجعل جوّ الكرة جوّاً طبيعيًّا ، فثمة مادة كيمائية تمتص ثاني اكسيد الكربون الذي يزفره واخرى لامتصاص الرطوبة واسطوانات خاصة لتجهيزه بالاكسجين. فاصبح الارتفاع الذي يبلغهُ غزاة الجوّ بعد استنباط پيكار لا يتوقف على جلد الطيار ، بل على حجم البلون الذي تُدلّى منهُ هذه الكرة العجيبة

بلغ پيكار في مغامرته الاولى (سنة ١٩٣١) ارتفاع ٥١٧٧٥ قدماً وفي رحلته الثانية (سنة ١٩٣٢) ارتفاع ٥٣١٥٠ قدماً وهما ارتفاعان لم تبلغهما اية طيارة بعد . وتلت محاولتي پيكار محاولتان في روسيا ومحاولة في بلجيكا وثلاث في الولايات المتحدة الاميركية . وقصب السبق في هذا الضرب من التحليق للكومندور ستل Settle والكابتن فوردني Fordney الاميركيين احرزاه في سنة ١٩٣٣ اذ حلّقا بمنطاد «قرن التقدم» الى ارتفاع ٦١٢٣٧ قدماً . ومما يؤسف له ان الطيارين الروس بلغوا في

تحليقهم الى علو ٧٢ الف قدم ولكنهم لم يعودوا احياء الى سطح الارض وعودة الطيارين احياء الى سطح الارض شرط اساسي في احراز قصب السبق

الا ان التحليق الى أقصى ارتفاع مستطاع لم يكن بحد ذاته الغرض الذي رمت اليه المحاولات المختلفة في بلجيكا وروسيا واميركا بل كان المنطاد في كل حالة قد جهز بأدوات علمية متباينة غرضها الكشف عن بعض الاسرار الطبيعية التي يمنعنا عن كشفها الستار الهوائي الكثيف المحيط بالارض

ولعل القارىء يدرك ما تقتضيه محاولة من هذا القبيل وما تتجه اليه من الاغراض من وصف رحلة قام بها المنطاد الاميركي (اكسبلورر Explorer) في صيف السنة الماضية

كان الغرض من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، الكشف العلمي . ولذلك كانت الادوات العلمية التي جهز بها — وبعضها صنع له خاصة — تزن اكثر من طن . فكرة المنطاد كانت في الواقع معملا علميًّا محلقاً في الجو . ولما كان الهواء في طبقات الجو العالية لطيفاً كل اللطف ، وضغطه هناك لا يزيد على جزء من ١٥ جزءا من ضغطه على سطح الارض ، كان لا بد من جعل كيس المنطاد كبيراً حتى يستطيع ان يحمل بعد انتفاخه ، كرة من المعدن فيها ثلاثة طيارين عدا الادوات العلمية

فالمنطاد الذي حلق به بيكار كانت سعته ٥٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة من الغاز . والمنطاد الذي حلق به « ستل » و « فوردني » كانت سعته ٦٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة . ومنطاد الروس كانت سعته ٩٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة . اما هذا المنطاد — الاكسبلورر — فكانت سعته ٣٠٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة

وكانت الجمعية الجغرافية القومية الاميركية بالاشتراك مع سلاح الطيران الاميركي ، قد عينت لجنة من العلماء لوضع برنامج علمي لرحلة المنطاد فحصرته في اربعة اغراض : —

(اولاً) دراسة الاشعة الكونية — (ثانياً) تحديد مكان طبقة الاوزون في الطبقة الطخرورية (Stratosphere) — (ثالثاً) تركيب الهواء على مرتفعات مختلفة من الطبقة الطخرورية — (رابعاً) المقابلة بين اقيسة الارتفاع المعيَّنة بطريقة التصوير الفوتوغرافي لسطح الارض من علو ، والاقيسة المعينة بالاعتماد على ضغط الهواء (البارومتر)

وقد اشتركت طائفة كبيرة من علماء اميركا في إعداد أفضل الأجهزة العلمية لتحقيق هذه الاغراض . بل أن هذه الرحلة من أولها الى آخرها آية من آيات التعاون في سبيل العلم . فالجمعية الجغرافية القومية تعهدت بتسديد نفقات الرحلة ، وسلاح الطيران الاميركي بانتداب ثلاثة من ابرع طياريه للقيام بها ، وقد اشتركت السلطات العامة والمحلية في اختيار ميدان لملء المنطاد بالغاز واعداده وتجهيزه بوسائل الاضاءة والحراسة والمخابرة السلكية واللاسلكية والمعالجة والوقاية من النار والإنباء بحالة الجو

ولما تمت المعدات في ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٤ ووردت الانباء من رصّاد الجو ان الحالة الجوية على خير ما يمكن ان تكون ، أخرج كيس المنطاد من مخبأه ، وبدأ ملؤه بغاز الايدروجين في الساعة

الثامنة مساء فلما كان منتصف الليل كان كيس المنطاد يحتوي على ٢٠٠ الف قدم مكعبة من الغاز مع أن سعته ثلاثة ملايين قدم مكعبة. وتفسير ذلك انهُ اذا أُخذ المنطاد في الارتفاع، تمدَّد الغاز. فاذا بلغ الغاز مدى سعة المنطاد من التمدُّد، اخذ يخرج من صمامات خاصة بذلك. وكان المقدَّر أن يرتفع هذا المنطاد الى ٦٥ الف قدم. وعند هذا العلو يكون الغاز الذي فيهِ قد بلغ في تمدُّدهِ سعة المنطاد الكاملة فيشرع في التسرُّب منهُ. لذلك اكتفي بملئهِ بما مقداره ٧ في المائة من سعته التامة. ويقول الذين رأوا المنطاد عند أول تحليقهِ أنهُ كان يشبه علامة كبيرة من علامات التعجُّب !

ولما تمَّ فحص معدّات المنطاد جميعها، صعد الماجور كيتر والكابتن ستيفنز والكابتن اندرسن الى الكرّة، وكان قرن الغزالة قد دوَّى، فأصدر الماجور كيتر أمره باطلاق المنطاد من القيود التي تقيده بالارض. فهتف عشرون الفاً من الاميركيين كانوا قد احتشدوا هناك لمشاهدتهِ

كانت الخطة ان يتريث الطيارون قليلاً في تحليقهم عند ما يبلغون ارتفاع ٤٠ الف قدم للقيام بالارصاد العلمية ثم يترقَّون ثانياً عند ما يبلغون ارتفاع ٦٠ الف قدم. ثم بعد ذلك يرتفعون الى أقصى ما يمكن ان يبلغه المنطاد وهو ٦٥ الف قدم. وقد تمت المرحلة الاولى بحسب البرنامج المتفق عليهِ. ثم مضوا في التحليق رويداً رويداً، حتى أتمّوا المرحلة الثانية، وكان كيس المنطاد قد انتفخ فاصبح كرة عظيمة وقد تدلت منها كرة صغيرة. فتطلع أحد الرجال من ثقب في أعلى الكرة المعدنية الى الكيس الكبير، فوجد فيهِ شقوقاً دلَّت على أن الخيطة تقتضي بالاستغناء عن التحليق الى علو ٦٥ قدماً لئلا يتسع الخرق بازدياد انتفاخ الكيس. ولذلك بعد أن قضوا نحو نصف ساعة على ارتفاع ٦٠ الف قدم، اخذوا يهبطون رويداً رويداً الى ان بلغوا ارتفاع ١٨ الف قدم فخرج الرجال من الكرة — لان التنفس على هذا العلو طبيعيٌّ للطيارين عجريّين — الى سطحها وقد لبس كلٌّ منهم مظلته الواقية، وراقبوا الشقوق في كيس المنطاد، فرأوها قد اتسعت. ثم ما لبث القسم الاسفل من نسيج الكيس ان سقط على الكرة واصبح في مستطاع الرجال أن ينظروا الى داخل المنطاد، فاذا هو أشبه ما يكون بمظلة (باراشوت) الكبيرة. ولكن وجه الخطر في ذلك ان ايدروجينهُ كان قد أخذ يختلط بالهواء، وخليط الايدروجين والهواء، خليط متفجر، فلما كان المنطاد على ثلاثة آلاف قدم فوق الارض حدث انفجار نصف الكيس، واخذت الكرة المعدنية تسقط كأنها جلمود صخر منقضّ. ولكن الرجال كانوا متأهبين للخطر، فقفزوا في الهواء معتمدين على مظلاتهم الواقية، وسقطت الكرة في حقول الخطة ووصل الرجال سالمين الى الارض

وكان الظن في البدء ان الادوات العلمية تحطَّمت جميعها، وان الشرائط السينمية التي دوَّنت عليها الارصاد تدوينات فوتوغرافيًّا قد تلفت لتعرضها للضوء بعد السقوط ولكن المجلة العلمية الشهرية تقول ان جانباً كبيراً من الارصاد قد حفظ، والمعدات تعدُّ الآن لرحلة اخرى في الصيف المقبل بمنطاد تكون سعتهُ ٣٧٠٠٠٠٠٠ قدم مكعبة ويملأ كيسه بالهليوم بدلاً من الايدروجين منعاً لخطر الانفجار

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمد مصطفى الدمياطي

[اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية ومررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لتوثيقها في معجم والآن حان لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز اذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة او الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياطي]

شجر الأراك

وهو شجيرة ملساء اوراقها متقابلة كاملة لحافات لحمية وطعمها ملس الجلد مستطيلة . واذا مضغت كان طعمها كالحردل فلا عجب اذا سماها الانجليز في لغتهم بشجرة الحردل. وزهرها صغير جدًّا ابيض مخضر يوجد في عناقيد باطراف الاغصان او في آباط الاوراق . وثمرتها اكبر من الحمصة قليلا [1]

اسمهُ العلمي (Salvadora persica, L) (سالفادورا پرسيقا) وفصيلتهُ الاراكية (Salvadoraceæ) (سالفادوراسية) وبالانجليزية (The mustard-tree) وبالفرنسية (Salvadore)

وهو بري نادر في الصحاري المصرية في الارض الكلسية ولكنهُ ذائع في السودان وفلسطين وبلاد العرب وغيرها

واهل السودان يستاكون بالفروع وهذا ما يعرف عند العرب وعندنا بالسواك . ويعتصرون من البزور زيتاً اخضر. ويستعملون خلاصة ما يغلى من قشرة الشجيرة طبيًّا لامراض الجلد. ويأكلون الثمار ويقال ان الشجيرة تلتج نوعاً من الراتنج او الصمغ نافع لصنع (الورنيش)

***

شجر الأثل

ويقال له (العبل) و (الحطب الأحمر) . في بلاد النوبة والسودان (الفارق) و (العبل) و (الطرفا)

(١) في تاج العروس لها عند العرب الجهاض او الجباد او البرير او المرد او الكباث

وهو شجر تتصل فروعه بعضها ببعض اتصالاً مفصليًّا وورقه صغير تبدو الطائفة من اغصانه الصغيرة كقبضة الريش المعروفة وزهره سنبل بلا نظام في سنابل رقيقة طويلة

اسمه العلمي (Tamarix articulata, Vahl) (تاماريقس ارتيكولاتا) وفصيلته الطرفائية (Tamaricaceae) (تاماريقاسية) وبالانجليزية (Tamarisk) وبالفرنسية (Tamaris)

والأثل موجود في مصر في الأراضي الرملية والملحية وفي السودان وفي جنوب المنطقة الاستوائية وشمال افريقية والشرق الادنى الى الهند

ينتفع بخشبه للوقود ويصنع منهُ فحم وخشبه أبيض متوسط الصلابة واذا احرق وهو أخضر تصاعدت من دخانه رائحة كريهة

وفي السودان يستعمل عفصه في الصباغة والدباغة ويسمونه (البجثم) وهو بالفارسية (كَزْمازك) [1] ونقل الى العربية (جَزْمَازِج) أو (حَدْ مازِج) أي ثمرة الأثل

وتوجد من الأثل أنواع أخرى أهمها نوعان بمصر والسودان وبلاد العرب وسوريا وهما (T. nilotica, Ehrb.) (تاماريقس نيلوتيقا) وهو شجرة توجد في الأراضي الرملية وعلى ضفاف الترع اوراقها كقشور السمك وفروعها دقيقة قاتمة وزهرها أبيض أو أبيض قرمزي مكتنف في عناقيد بأطراف الفروع . والثاني (T. mannifera, Ehrb.) (تاماريقس مانيفرا) شجرة تنمو على الشواطىء البحرية أوراقها كما في النوع السابق وزهرها في سنابل كثيفة

ويوجد في الهند (T. indica, Roxb. v. T gallica, L.) (تاماريقس انديقا أو تاماريقس غاليقا) وفي بلاد العرب وبلاد البحر الابيض المتوسط أيضاً وينتفع طبيًّا بما يفرزه من السكر المعروف (بالمن العربي) قيل إن افرازه ناتج عن وخز حشرة (Coccus manniparus) (قوقوس مانيپاروس) وهو غير (الترنجبين) أو (النوشادر) أو (الترانجبين) أو (المن الفارسي) الذي يفرزه نبات آخر اسمه (الحاج) المعروف في مصر (بالعاقول) أو (شوك الجمال) من الفصيلة البقلية وهو غير (الشيرخشت) أو (المن الخراساني) الذي قيل إنهُ من نوع شجر من الزيتون وغير (المن الصقلي) الذي يفرزه نوعان من شجر (لسان العصافير أو الدردار) من الفصيلة الزيتونية وغير (المن السمقي الاسترالي) الذي يفرزه نوع من شجر (الاوكالبيتوس) من الفصيلة الآسية وغير (المن الكردستاني) الذي يقال بأنهُ من نوع شجر من البلّوط من الفصيلة البلّوطية الى غير ذلك من انواع المن المختلفة. هذا وكثيراً ما تسمى جميع انواع المن (بالشيرخشت) وهي كلمة فارسية نقلت الى العربية

اما المنّ الذي انزل على بني اسرائيل فقد قيل فيه ان كلمة (manna) الافرنجية ويقابلها (منّ) بالعربية اصلها مشتقة من كلمة (man-hu) العبرية ومعناها بالعربية (ما هي ؟) للاستفهام او التعجب

(١) قال الرئيس بن سينا في القانون الكزمازك حب الاثل وهي كلمة فارسية اي عنصى الطرفاء ومازك بالفارسية هو الغص وكز تعريب كج وهو الاعوج وكأن تفسيره الغص الاعوج

فاذا صح ذلك فهي دلالة على ما كان عليه بنو اسرائيل من السذاجة والجهل بحقيقة سبب نازلة السماء وقوع المعجزة

وعليه فالقول بأن من بني اسرائيل كان من المن العربي افتراضي محض خصوصاً وقد قيل في وصفه في بعض المراجع انهُ (كان ابيض شبيهاً ببزور الكزبرة)

وتقول بعض المصادر العربية إنهُ طل كان ينزل من السماء على شجر او حجر ويحلو وينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ كالشيرخشت والترنجبين. وفي الصحاح المن كالترنجبين . وفي المحكم طل ينزل من السماء وقيل هو شبه العسل كان ينزل على بني اسرائيل. وقال الليث المنّ كان يسقط على بني اسرائيل من السماء اذ هم في التيه وكان كالعسل الخاثر (الشديد) حلاوة . والمعروف بالمن عند الاطباء ما وقع على شجر البلوط

وقال الآلوسي والمشهور ان المن الترنجبين وهو شيء يشبه الصمغ حلو مع شيء من الحموضة كان ينزل على بني اسرائيل كالطل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس في كل يوم الا يوم السبت وكان كل شخص مأموراً بأن يأخذ قدر صاع كل يوم او ما يكفيه يوماً وليلة ولا يدخر الا يوم الجمعة فان ادخار حصة السبت كان مباحاً فيه وقيل المراد به جميع ما منّ الله تعالى به عليهم في التيه وجاءهم عفواً بلا تعب واليه ذهب الزجاج ويؤيدهُ قوله صلى الله عليه وسلم الكمأة واسمها بالانكليزية (Truffle) من المن الذي منّ الله تعالى به على بني اسرائيل

***

نبات القوة

القوة عشب اخضر بزّاق له ساق زاحفة تكون قصيرة احياناً وله سوق هوائية منتشرة قد تتسلق بأشواك قصيرة توجد على حافات الاوراق وعروقها او على زوايا الساق الرباعية الضلوع وعروقه الجذرية قرمزية اللون تقريباً شحمية وامتدادها في الارض اطول من السوق . وأوراقه في دوائر بكل منها اربع او ست . وورقته بيضية مستطيلة طولها من ٢ — ٣ ½ سنتيمتر ولها ذنيب (عنق) قصير جداً او جالسة تقريباً . وزهراته صغيرة مصفرة تميل الى الاخضرار في عناقيد ابطية او طرفية غير مكتظة الطول بكثير من الاوراق . وثماره صغيرة سوداء . وهو من الاعشاب المعمرة

اسمه العلمي (Rubia tinctorium, L.) (روبيا تنقتوريوم) وفصيلته القوّية (Rubiaceae) (روبيانية) وبالانكليزية (Dyers' Madder) وبالفرنسية (La Garance)

والعرب يطلقون القوة على العروق (الجذور) وهي التي تستعمل في الصباغة للحصول على اللون الأحمر وذلك من قبيل اطلاق اسم الكل على الجزء فهم يسمون عروق النبات باسمه كما ورد في المعجمات

والفوة تزرع في بلاد البحر الابيض المتوسط وفي الهند وقد كانت تزرع في مصر ابتداء من سنة ١٨٣٣ من النباتات التي ادخلها محمد علي باشا ثم ابطلت زراعتها بعدئذ

والجذور تجفف وتسحق وتستعمل في الصباغة ويطلق عليها (فوة الصباغين) او (العروق الحمر) أو (عروق الصباغين) وتدخل في صناعة المداد المسمى (اليزارين) (Alizarin) وقد استعيض عنه بالاليزارين الصناعي المستخرج من قطران الفحم الحجري

وللفوة استعمالات في الطب ويوجد منها انواع مختلفة عديدة باوربا وآسيا وامريكة وافريقية

***

كوكب البر

عشب معمر اغصانه ترتفع ٢٠ سنتيمتراً وأوراقه بيضية الشكل مستطيلة تكون دوائر على الساق في كل منها ٨ اوراق وزهراته ذكية الرائحة جدًّا بيضاء اللون مجتمعة في نورة مشطية ثلاثية الشعب

اسمه العلمي (Asperula odorata, L.) (اسپرولا اودوراتا) وفصيلته الفوية (Rubiaceae) (روبياسية) وبالانجليزية (Woodruff)

وبالفرنسية (Asprule odorant, hépatique etoilée; reines de bois)

وتحوي زهراته زيتاً طيّاراً فيه كثير من مادة (القومارين) (Coumarin) يحضر منها شراب قرمزي اللون بألمانيا يسمى (متراق) (Maitrank) له استعمالات في الطب

وهو ينبت في الغابات الجبلية بأوربا وآسيا وشمال افريقية

***

الغاليون الاصفر

ساقه قائمة او صاعدة خشنة اسطوانية وأوراقه متعكسة رفيعة ملساء خضراء اللون لامعة من اعلاها ومائلة الى اللون النحاسي من اسفل ووبرية وتكون دوائر على الساق في كل منها من ٦—١٢ ورقة وزهراته صفر فاقعة تكون سنبلة متفرعة طرفية . اسمه العلمي (Galium verum, L.) (غاليوم وروم) وفصيلته الفوية (Rubiaceae) (روبياسية) وبالانجليزية (Cheese-Rennet) وبالفرنسية (Caillet-lait jaune)

ويطلق عليه (عشب الإنفحة) من قديم لأن بعضه يخثر اللبن (يجعله جامداً) اذا وضع فيه وله استعمالات في الطب ويوجد من الغاليون انواع مختلفة عديدة باوربا وآسيا وافريقية

التربية والتعليم

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

اكرام الاساتذة

والآن ننتقل الى موضوع اكرام اجدادنا لاساتذتهم وشدة احترامهم اياهم ومنهُ يتضح عظم تقديرهم للعلم وشدة ولعهم بالتعليم ومعاهده. ولا ادلّ على ذلك من ايراد خطاب كتبه طالب الى استاذه ورد بقرطاس انسطاسي (١) وفيه يتجلى الشعور الرقيق والاحترام والحب الذي كان يضمر قلوب التلاميذ نحو معلميهم. واليكم تعريبه : —

« الى الاستاذ . . لقد تعهّدت تربيتي في طفولتي وكنت تضربني على ظهري حتى دخلت تعاليمك في اذني . انني الآن اشبه بالجواد المرح فلا نوم يأتيني نهاراً ولا نعاس يغشاني ليلاً وكل همي ان اقوم بما يرضي سيدي كما يخدم الخادم سيده

« اتمنى لو اشيد لك قصراً انقياً ببلدتك تحيطهُ الاشجار من كل الجهات. به زرائب مملوءة بالمواشي وشونٌ ملآنة شعيراً وقمحاً . . وبه القمح والفول والعدس . . والكتان والخضراوات . . وفواكه تكاد تسلل

واتمنى ان يكون لك مع القصر اغنام يتضاعف عددها وكذا بترات حبالى . وان اروع لك خمسة افدنة بالخضراوات في جنوب بلدتك من خيار وغيره وخيرات كعدد الرمال . . . .

وجاء بقرطاس انسطاسي (٢) ايضاً خطاب من تلميذ الى معلمه نقتطف منهُ ما ترجمته : —

« سيدي العزيز : اطال الله عمرك ووهبك الخيرات كل يوم. واسبغ عليك السرور والفلاح والرضى مرات لاتعدّ ولا تحصى. وجعل الفرح والسرور ملازمين لك والصحة من نصيب اعضائك. انت تزداد شباباً بمرور الايام ولا يعتريك الاذى وتدور احياناً بمخيلتي فأتذكر جمالك الفذ الذي لا يضارعه جمال. عيونك تتلألأ كل يوم واذنك تنصت (لكل ما يقال). صنونك جميلة جداً. واشهرك مقرونة بالنعيم. وايامك ملآنة حياة وساعاتك كلها صحة وسلامة . الآلهة راضية عنك راغبة في كلامك . . . »

الآثار العلمية

﴿ الخط الهيروغليفي ﴾ يعتبر استنباط الكتابة في ذاته اهم ما انجبه الذهن المصري القديم من الوجهة العلمية. فبه تمكن اجدادنا من اثبات معلوماتهم واخبارهم نقشاً على الحجر او كتابة على الورق.

(١) Pap. Anast. III 4, 4. (٢) Pap. Anastase IV. 8. 7 ff

فسجلوا بذلك مباحثهم الفنية وابتدعوا سبقهم لسائر الامم في كل العلوم ولعمري كم من السنين صرفها القوم في ابتكار هذا الخط في احوال معاشية اقل ما يقال عنها انها فطرية. وكان الخط الهيرغليفي في مبدئه صورياً . وبالرغم من التحسينات التي طرأت عليه قد حافظ على صوريته الى آخر عهده . ونسب القوم ابتكار هذا الخط الى معبودهم (تحوت) . وحوالي عام ٣٠٠ بعد الميلاد زال كل اثر للخط الهيرغليفي فبقي مجهولاً حتى عام ١٧٩٩ ميلادية لما اكتشف حجر رشيد . ومنهُ عرفنا ان الاحرف المصرية القديمة نوعان صوري وصوتي . وان الاحرف الصورية قسمان هجائي ومركب . وتمثل الاحرف الصورية الاشياء التي تعنيها . ويكتب الخط الهيرغليفي من اليمين الى الشمال او من الشمال الى اليمين او بهيئة اعمدة رأسية . ويقرأ من الجهة التي تتجه اليها اوجه الحيوانات والطيور . ولا يخفى ان هذا الخط هو مجموعة لحيوانات واشجار وادوات ذات الشكل الجذاب . لذلك استعمل كثيراً لزينة المعابد والمنازل والادوات المنزلية كالصناديق والحلى وادوات الحرب وغير ذلك . ومن هذه المصادر استنتجنا شيئاً كثيراً من معلومات هؤلاء القوم . والجزء الباقي وصل الينا عن طريق القراطيس البردية وروايات المؤرخين

ومن اقدم الازمنة المعروفة اختزل هذا الخط الى الخط الهيراطيقي الذي اعتاد القوم ان يكتبوهُ على الادراج البردية والتوابيت الخشبية . ويكتب عادة من اليمين الى الشمال ووجد هذا الخط على بعض قصاصات بردية من عهد الاسرة الرابعة (٢٧٢٠ — ٢٥٦٠ ق . م) بجزيرة الفيل باسوان واقدم سجل هيراطيقي هو المعروف باسم قرطاس (پريس Prisse) الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠—٢٠٠٠ ق . م) وهو محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس Bibliothèque Nationale واستمرَّ استعمال الخط الهيراطيقي حتى القرن الرابع بعد الميلاد

واختزل الخط الهيراطيقي في عهد الاسرة الخامسة والعشرين حوالي (٧١٢ ق . م) واطلق عليهِ اسم الخط الديموطيقي الذي بطل استعماله حوالي القرن الرابع بعد الميلاد

﴿علم الفلك وتقسيم الزمن﴾ من سنة ٤٢٤٢ ق . م . استعمل المصريون السنة الشمسية في توقيتهم وقسموها الى ٣٦٥ يوماً . وقد رسموا السماء وعرفوا اسم نجومها وابتدعوا الآلات التي تعرفهم مواقع النجوم . وهناك رسوم لمواقع النجوم لكل خمسة عشر يوماً على طول السنة . وأهم مراصدهم كان في طيبة ودندرة ومنف وعين شمس . وقسم القوم سنتهم الى ثلاثة فصول زراعية وكل فصل الى اربعة اشهر فصارت بذلك السنة اثني عشر شهراً . ولم يستعمل المصريون في زمنهم وحدة اطول من السنة ولم يستعملوا الاسبوع وقسموا الليل والنهار الى اثنتي عشر ساعة . وابتكروا ساعات الظل والمزاول والساعات المائية

﴿الزراعة﴾ اهتم المصريون بالزراعة منذ اقدم العصور فقسموا سنتهم الى ثلاثة فصول فصل البذر وفصل الحصاد وفصل الفيضان . وابتكروا مقاييس النيل وفرضوا الضرائب على المساحة

المزروعة . وشادوا خزاناً بالفيوم يحفظ مقداراً من الماء يكفي لري الدلتا بعد هبوط النيل . وابتكروا الشادوف والفأس والمحراث والمدراه والمنجل ومساحة الاراضي وأنشأوا الترع والجسور . واعتنوا بالحيوانات الداجنة واستوردوا الاشجار والحيوانات من البلدان المجاورة . وتقدموا في الصناعات الزراعية . ونقشوا كل ذلك على جدران مقابرهم .

﴿ الهندسة والحساب ﴾ اتم ما عثر عليه من هذين العلمين هو قرطاس (Rhind) المحفوظ بمتحف لندرة وهو قرطاس يرجع تاريخه الى حوالي ١٦٠٠ ق . م. وجميع المسائل التي فيه عملية وتتطلب معرفة كبيرة في علمي الحساب والهندسة

مثال (١) (عملية ٣٩) مطلوب قسمة مائة رغيف على عشرة رجال بحيث يكون نصيب ستة رجال خمسي رغيفاً ونصيب الاربعة الباقين الخمسين رغيفاً الباقية

تحل هذه المسألة بايجاد العدد الذي يضرب في ٤ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة ١٢ ½ ثم ايجاد العدد الذي يضرب في ٦ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة ٨ ⅓

مثال (٢) مطلوب معرفة مساحة مثلث ارتفاعه ١٠ (خت) وقاعدته ٤ (خت). الحل : قسم ٤ على ٢ فتكون النتيجة ٢ وهو طول ضلع المستطيل الذي مساحته تساوي مساحة المثلث : اضرب ١٠ خت (وهو ارتفاع المثلث) × ٢ فيساوي ٢٠ خت مربع وهو المساحة المطلوبة

ولا يخفى على القارىء ان المقام لا يتسع للتفصيل لذلك اكتفيت بذكر ابسط مثال حسابي وآخر هندسي مشفوعين بطريقة حلهما . لكن زيادة في الايضاح سأورد بياناً ببعض الامثلة التي كانت توضع للطلبة للاجابة عليها للاستئناس بها فقط

(١) ما هو الكسر الذي يضاف الى ⅔ + ½ كي يصير المجموع ١ صحيح (عملية ٣١)

(٢) قسم ستة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٣) : قسم تسعة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٦)

(٣) ما هو العدد الذي اذا اضيف اليه ربعه يكون المجموع ١٥ — الجواب ١٢ (عملية ٢٦)

(٤) ما هو العدد الذي اذا اضيف اليه نصفه وربعه يكون المجموع ١٠ — الجواب ٥ ½ (عملية ٣٤)

(٥) ما حجم المكعب الذي يبلغ طول كل ضلع فيه ١٠ — الجواب ١٠ × ١٠ × ١٠ = ١٠٠ × ١٠ = ١٠٠٠ (عملية ٤٤

(٦) هرم طول ضلعه ١٤٠ ذراعاً ونسبة ميله ٥ ½ قبضة فما هو ارتفاعه ؟ الجواب ٩٣ ⅓ (عملية ٥٧)

(٧) ما مساحة قطعة ارض دائرية قطرها ٩ (خت) (عملية ٥٠)

(٨) هرم طول ضلعه ٣٦ ذراعاً وارتفاعه ٢٥٠ ذراعاً والمطلوب نسبة ميله (عملية ٥٦)

﴿ الطب ﴾ : برع القدماء المصريون في الطب وخلفوا لنا الاوراق البردية والنقوش الطبية العديدة وأثبتوا لنا بأجلى صورة طول باعهم في هذا العلم . فهم أول من اعتبر القلب مركزاً للاوعية. وأول من اكتشف النبض وعلاقته بالقلب . ثم أنهم أوردوا لنا رسوماً واضحة لعملية الختان وذلك

مقبرة بسقارة ورسوماً اخرى لتجهيز العظام في المقبرة نفسها. وأوضحوا انها وجود مرض السل بالعمود الفقري وبين العظام وأمراض العظام الاخرى وذلك في صور الاشخاص المنقوشة على جدران المعابد أما معلوماتهم عن التحنيط فحدث عنها ولا حرج فهم أول من أوجد هذه الطريقة وأتقنها واستعملوا لذلك العقاقير المتباينة والاجراءات الجراحية الفنية المختلفة. وقد أخذ الغير عنهم هذه الصناعة حتى انتقلت الى آسيا واميركا وغرب افريقيا واليهم يرجع الفضل في استعمال العقاقير الكثيرة في العلاج حتى عهدنا هذا. من ذلك: زيت الخروع. وقشر الرمان. والحنظل. وكبريتات النحاس. والافيون وغير ذلك

التعاليم الدينية والفلسفية

﴿ التعاليم الدينية ﴾ هي اقدم ما عرف من علوم قدماء المصريين. وجدت مدونة في عدة جهات من اهرام وتوابيت وصناديق قبور وأدراج بردية وغير ذلك

واهم هذه التعاليم هي المعروفة بنصوص الاهرام[1] التي يرجع تاريخها الى الاسرتين الخامسة والسادسة (٢٥٦٠–٢٢٧٠ ق.م) وهي خاصة بنعيم الميت وتحوي التعاويذ الكثيرة لراحته في الآخرة وكذا الدعوات التي كانت تتلى وقت تقديم القرابين. ومن عهد الاسرة التاسعة (٢٢٤٠ ق.م) حتى الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٤٥ ق.م) نقش الامراء هذه النقوش على توابيتهم من الداخل. وهناك تعاليم دينية اخرى وجدت مكتوبة على توابيت الموتى خاصة بالرعية لتقصد منها ضمان الغذاء والشراب والراحة لصاحبها والتمكن من الظهور بالشكل الذي يرغبهُ كي يتابع سروره وملذاته وتعرف هذه النصوص باسم نصوص التوابيت Coffin Texts[2]

وهناك نصوص دينية اخرى تعرف باسم كتاب الموتى Book of The Dead هي مجموعة دعوات وصلوات وتعاويذ متنوعة وردت مدونة بكثرة على الورق البردي حتى العهد الروماني

ثم كتاب الآخرة Book of what is in the underworld[3] وكتاب ابواب الآخرة Book of Gates[4] وترنيمة الشمس Litany of the Sun[5] وقصة ابادة البشر Destruction of Mankind E. Naville Recherche 4. I. 12 ومدائح المعبودات Hymns to the Gods مثل مدحة النيل Hymn to the Nile Maspero 1912 ومدحة امون رع Hymn to Amen Re ومدحة اتون Hymn to Aten Vol 4,6 Davies A. Marietto Pap. Mus. Bouloque 1871—II Rock tombs of El-Amarna

ولكي أظهر ما تحويه تلك التعاليم من معانٍ سامية وآداب راقية أورد هنا بعض عبارات جاءت في كتاب الموتى يقولها المتوفي أمام الآلهة في الآخرة هذه ترجمتها: —

(١) Kurt Sethe Die Altnegyptichen Pyramiden texte 4 vols Lepzig 1901—22
(٢) P. Lacau Sarcophage anterieur au nouvels empire, 2 vols 1904. 6 also Cat. General
(٣) E. Lefebure Annales du Musée Guimet vol. 9, 16 des musie du Caire
(٤) Naville La litanie du Soliell 1875

لم استعمل القسوة مع انسان . لم أسرق . لم أقتل رجلاً أو امرأة . لم أختر الكيال . لم أرتكب الغش . لم آخذ لنفسي حاجات الآلهة ، لم أكذب ولم اهرّب الغذاء ولم أتلفظ بألفاظ جارحة . ولم اهجم على انسان . ولم اقتل الوحوش الخاصة بالمعبودات . ولم ارتكب زنا . ولم أترك الأراضي الزراعية بوراً ، ولم اوقظ فتنة . ولم أغتب أحداً . ولم أترك نفسي ضحية الغضب . ولم أتعرّض لزوجة يكرهه . ولم ارتكب ذنباً ضدّ العفة . ولم اسبب رعباً . ولم أتعدّ حدود الأزمنة والأمكنة المقدسة . ولم أكن غليظ الخلق . ولم أتصنع الصمم وقت سماع الحق والعدل ولم أشعل نار ثورة . ولم أسبب البكاء لانسان . ولم أرتكب الموبقات . ولم أكن أحمق . ولم أسيء الى انسان . ولم أتبع سبيل الرهبة . ولم أتسرع في اصدار حكم . ولم أنتقم لنفسي من معبود . ولم أزد في كلامي عن الحقيقة . ولم أخن أحداً . ولم ألعن ملكاً . ولم ألوّث ماءً ، ولم أتكبر . ولم أشتم معبوداً . ولم أكن سيء الخلق . ولم أسع لترقية . ولم أزد في ثروتي الاّ بالحلال . ولم أقصر في احترام معبود مدينتي

ومنها يتضح أن هذه العبارات التي اطلق عليها القوم اسم «الاعتراف السلبي» لم تلك في الحقيقة سوى تعريف مطوّل لما نسميه « مكارم الاخلاق »

﴿ حكم الفلاسفة ﴾ أقدم هذه هي حكم الفيلسوف (بتاح حوتب) حوالي ٢٥٠٠ ق.م نقتطف منها ما يأتي ترجمة المرحوم كمال باشا : اذا كان لك حاجة عند منازع . وكان يفوقك في المهارة فابسط له يديك واحن ظهرك ولا تغضب منه لانهُ لا يمكنك من نقض حديثه بل يسرّك كثيراً لو ناقشته في الكلام وحينئذٍ يظهر عدم كفاءتك . الزم الحزم متى حدثت لك مناقشة . اذا كان لك حاجة عند شرس وكان شاذّاً في الشراسة فكن كالذي لا يتحرك لتكون أفضل منهُ (لا سيما) لو التزمت الصمت وهو في سباب . ولقد قيل في المثل خير انسان من التزم الحياد . من الصواب التعرّف بالكبار

اذا كنت رئيساً تحكم في أمور كثيرة بين العالم فابحث عن أكمل شريعة لتكون غير ملوم . ما أعظم العدل الثابت الاركان الذي لم يكدّر صفوهُ من عهد المعبود ازوريس . التعرّض في سبيل القوانين مسلك الظلم . لا ينال الوضيع رفعة ما لم يهتد الظالم الى مسلك العدل . حدود العدالة ثابتة . هذا التعريف يأخذه كل انسان عن أبيه

لا توقع الرعب (في قلوب) الناس فان الله يجازيك . وان ظن انسان أنهُ يعيش بذلك ينزع الله العيش من فمه . وان تراءى له أن يغتني بسببه يقول له الرب استرد لنفسي (غنائك) . اذا تعدّى انسان على آخرين لتظلمهم انتهى أمره الى أن يصير عاجزاً . يجب ان لا يبث الخوف بين الناس . هذا أمر الله كما يجب وصل عيشهم في حال السلم وليقبل منهم ما يعطونه عن رغبة ولا يدعي عليهم لشيء لاخذه بالرهبة . اذا أكلت مع اناس جالسين عند أمير وكانوا اكبر منك فخذ ما يعطونهُ اياك باحترام وتواضع وانظر الى الذي أمامك ولا تحدث فيه لان الانسان يكون مذموماً ان لم يتجنب هذه الخصال . ولا تتكلم بأكثر مما تسأل اذ أنك لا تعلم ما يحتمل استقباحه . تكلم حينما تسأل .

ولكن كلامك متقناً . الكبير الذي عنده ثروة لمعيشته يسلك في سيره حسبما يجري فيفعل ما يشاء . فان فعلت الراحة فعل ذلك . لان الكثير متى بسط يده فعل ما لا يتوصل الناس اليه . لكن اذا كانت وسائل المعيشة متعلقة بإرادة الله فليس من الممكن عصيانه

كن نشطاً مدة وجودك رفيقاً لا يقال ولا تضر بوقت نشاطك . فالانسان المذموم هو الذي يستعمل بأوقاته استعجالاً قبيحاً . لا تضيع الفرصة اليومية بزداد ما تمتلكه في بيتك . فالاجتهاد يأتي بالغنى والمنى لا يدوم متى (فارقه) النشاط

﴿ آراء الفلاسفة في العلم ﴾ وردت في ذلك كتابات كثيرة كلها درر ولآلىء منها ما ورد لبقرطاس الفيلسوف (آني انا)[1] الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الثانية والعشرين (٩٤٥—٧٤٥ ق م) نقتبس منه ما تعريبه :—

« اذا كنت طالباً اطاعتك الخلق اجمع . فهب نفسك للعلم واملأ قلبك به حينئذ لا يلفظ لسانك الا كلاماً بليغاً . ألا فاعلم ان كل موظف ذي مركز علمي لا غنى له عن الرجوع الى مصنفات العلم . ان وزير المالية لا يملك تنصيب ابنه في مركزه من بعده ولا قائد القلعة يمكنه تعيين وريثه محله . . . . ويضيف من ذلك ان المناصب الكبيرة لا تنال الا للاكثر علماً والمتن ثقافة

الآثار الادبية

﴿ الشعر ﴾ وردت عدة قصائد رثائية ضمن آداب اللغة المصرية القديمة حافلة بالمعاني السامية الخيال الرائع . نقتطف منها ما يأتي : —

قصيدة قيلت في ميزستريس الثالث (الاسرة ١٢) مقسمة الى ستة أقسام منها القسم الآتي :—

أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — وأنت كالسد العظيم الحاجز لتيار الفيضان
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الملجأ الذي يستريح فيه الانسان متى يسطع ضوء النهار
انت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت كالحصن المشيد جدرانه من أحجار حادة من مدينة قدم
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت مأوى اللاجئين اليك من عبث قطاع الطريق
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت حامي الضعيف الخائف من عدوه القوي
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت مظلة القيظ وخضرة النيل في فصل الحصاد
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الركن الدافىء الجاف في زمن الشتاء
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الصخر الحامي من ويلات العواصف

واليكم ترجمة أنشودة كان يترنم بها عازف القيثارة في ولائم الوجهاء : —

« ما أسعدك أيها الامير . لعلك تعلم أن هذه الحياة محتم عليها الفناء ، فالاجساد تموت وتعدم ثم يأتي بعدها آخرون يحلون محلها ينظرون الى الآلهة (أي الفراعنة) الموجودين في الاهرام من قديم

(١) Pap. Ani—Chabas 1874 in L'Egyptologie

الزمان . والى الامراء والحكماء الذين دفنوا فيها تجدهم مغروسين في الحادثة (ولا غرابة) فكل من شيَّد منزلاً (قصراً) وان أتوه من الوجود . استمع لي فسأخبرك بما آل اليه أمر هؤلاء القوم . لقد سمعت حكماء (اهوتيا) و(خرزورف) الذائعة الصيت ولكن أين هما الآن . لقد تحطمت بيوتهم وانعدمت آثارهم. فلا خبر يأتينا من ناحيتهم ينبئنا عنهم ويطمئن قلوبنا قبل أن نرحل الى ذلك المكان

تناسى تلك الامور واصرف همتك فيما ينفعك. اعمل كل ما تطلبه نفسك. عطِّر رأسك بالمر واكس نفسك بالكتان الجميل المعطر بالروائح الذكية المقدسة واكثر من الفرح والسرور حتى لا يحزن قلبك

اتبع شهوتك ومسرتك وسير الامور كما تشتهيها حتى يأتيك يوم الحزن وهو اليوم الذي لا يسمع فيه قلبك الساكن ما يدور حوله من النحيب

البكاء لا يعيد للميت الحياة . فتنعم اذاً في هذا اليوم الجزل . ولا تهمله يذهب سدًى . فلا أحد يأخذ من الدنيا شيئاً معه كما أنهُ لم يرجع الى هذه الدار من ذهب الى الدار الآخرة

﴿ القصص والروايات ﴾ وصلنا منها عدد كبير نقتطف منها ما يأتي :—

روي أن اميراً شابًّا حكمت عليه المعبودات وقت ميلاده ان يموت بتمساح او بثعبان او بكلب فسافر الى سوريا حيث وجد قصراً تسكنه ابنة ملك النهرين وحوله الثعبان يحاولون قتلها وذلك لان والدها وعد ان يزوجها لمن يتسلق جدار القصر . فحاول الامير المصري ذلك ونجح وبلغ الاميرة لكنه ادعى اولاً انهُ ابن ضابط مصري مخفياً بذلك حقيقتهُ . فلما علم ملك النهرين بخبره احتاط وامتنع عن اعطائه ابنته حتى كاد يقتله حينئذٍ اقسمت الاميرة انها تنتحر اذا أعدم الامير فتكدر والدها من هذا القسم واخيراً سمح لها بالاقتران به . وجاء ان الامير نجا من الموت من تمساح ثم من ثعبان ونقدت بقية القصة بعد ذلك والمظنون انها انتهت بموت الامير من كلب يتبعه من مصر طول رحلته الاسيوية ويلاحظ ان هذه الرواية تحوي اقدم مثال للعقيدة العالمية بأن كل شاب يتحتم عليه قبل الاقتران بزوجته ان يظهر لها ضروب الشجاعة كي يستميل قلبها

ومن قصصهم ايضاً ما تناولت امور الفلاحة وهي تعرف بقصة الاخوين تتلخص في ان اخوين عاشا معاً في كوخ بأحد الحقول وكان اكبرهما متزوجاً قابضاً على زمام البيت . اما الاصغر فكان عائشاً معه كابن له فصبت نفس زوجة الكبير الى الصغير فرفض طلبها . عندئذٍ ارادت ان تكيد له فوشت في حقه عند اخيه الكبير فصمم على الاقتصاص من اخيه واراد قتله خلسة . فتحفز له وراء الباب . وفي مساء اليوم عاد الاخ الصغير بالبهائم ليدخلها اصطبلاتها فلحظت احدى هذه الحيوانات الامر وامرّت الى راعيها بما يضمر له لخوه الكبير فلما علم بذلك فرَّ هارباً خوفاً من القتل ثم حصلت بين الاثنين حوادث خرافية لا تتمشى مع ما جاء اولاً من مطابقتها للواقع . وبالتأمل في هذه الحكاية يجد القارىء في جزئها الاول شبهاً لقصة سيدنا يوسف الرامية التي رواها لنا بنو اسرائيل وجاء شرحها بالذكر الحكيم والتوراة

القانون والقضاء

جرت العادة ان يرفع كل متظلم او مدّع دعواه الى الوزير كتابة ويستحسن حضور صاحب الطلب بنفسه . ولذلك كان قصر الوزير مفتوحاً يجيء اليه المدعون والمتظلمون كل يوم . وكانت تعقد في هذا القصر كل يوم جلسة لاصدار حكمها في تلك الدعاوي. ودلتنا الآثار ان هذه الجلسات كان يؤدي اليها حجّاب وكتبة . وكان الناس يدخلونها بالترتيب بعد ما يصفون استعداداً لمثولهم بين يدي الوزير . وحتم القانون على الوزير اصدار حكمه في قضايا الاراضي المتعلقة بطيبه في ثلاثة ايام من تاريخ رفع الدعوى . اما قضايا الاراضي الخارجة عن طيبة فالنطق فيها كان لا يتأخر عن شهرين . هذا كان النظام القضائي مرعيّ الجانب لما كانت المملكة تحت اشراف وزير واحد . لكن لما عين وزير ثان للشمال قُسم النفوذ والسلطان بين وزيري الشمال والجنوب وكل جرائم طيبة كان ينظرها الوزير شخصيًّا . اما المجرمون فيحجزون في سجون خاصة ما داموا في التحقيق فاذا صدر الحكم عليهم ارسلوا الى سجون اخرى ينفذ فيها العقاب . ولكل قضية اوراق تحفظ في السجلات الرسمية كما هو الحال الآن . ويتحتم على كاتب الوصية ان يسجلها شخصيًّا في قصر الوزير . وتحفظ صور لجميع المستندات وحدود الاراضي والعقود في ادارتي وزيري الجنوب والشمال . وكل طلب يقدم للملك يتحتم عرضه على الوزير اولاً

وزيادة على قصري الوزيرين انشئت بالارياف محاكم فرعية من رجال الادارة المتمرسين على تطبيق القانون ويعرفون رجال المجلس المحلي والقضايا الكبيرة الخاصة بالاسر الرفيعة كان يتحتم فيها ارسال مندوب من مجلس القضاء الاعلا لينفذ قرار ذلك المجلس بمعرفة رجال اقرب مجلس محلي

وكان القانون الذي يلجأ اليه الفقير غاية في العدالة . وجرت العادة ان ينسخ في اربعين درجاً رديئًا ويوضع على منصة القاضي وقت انعقاد المحكمة لمراجعة وزيادة الايضاح وكان يسمح لكل شخص ان يقرأ القانون ويستفسر الغامض. ومن دواعي الاسف اننا لم نعثر على نسخة من ذلك القانون الذي لا نشك لحظة في عدالته فقد جاء في الآثار ان الوزير كان يحكم بالعدل بدون محاباة حتى كان يخرج المتخاصمان من حجرته مجبوري الخاطر . وجاء أن احد الملوك قال امام احدى المحاكم بأن « القانون ثابت لم احدث فيه تغيير . لذلك التزمت خطة السكوت خوفاً من احداث الفرح والسرور » وبلغت العدالة حدًّا لا يكاد يصدقه العقل . من ذلك انه لما ظهرت مؤامرة لاغتيال حياة ملك لم يكتف الملك بتحقيق مختصر واصدار حكم الاعدام على الجناة بل اصدر امره بتشكيل محكمة للنظر في القضية بشرط ان لا تصدر حكماً بعقاب المتهمين الاّ بعد ثبوت اجرامهم

واليكم مادتين من قانون حور محب

(١) كل موظف او كاهن يقال عنه انه عين في القضاء ليحكم بين القضاة وهو يجني على القانون يحاكم بتهمة الخيانة العظمى » (ب) كل شرطي علم عنه انه دخل المساكن لاجل سرقة الجلود يحكم عليه ابتداء من هذا اليوم بمائة جلدة ويجرحه في خمسة مواضع ثم تسترجع منه الجلود المذكورة »

الديمقراطية والتعليم

تابع ما قبله

للدكتور امير بقطر

— ٦ —

﴿الميزانية العامة للتعليم﴾ من اركان الديموقراطية في التعليم ان تكون نسبة ميزانية التعليم الى ميزانية الدولة الباقية ، متفقة مع حاجة البلاد . ولا نستطيع ان نشرح هذه النقطة بغير ان نبين هذه النسبة في بعض بلدان العالم ومنها مصر

البلد	نسبة ميزانية التعليم لميزانية الدولة	البلد	نسبة ميزانية التعليم لميزانية الدولة
الصين	١٠ ٪	جنيف	٣٠ر٠ ٪
رومانيا	١١ر٤ ٪	بورتيريكو	٤٥ ٪
بلغاريا	١١ر٧ ٪	جزائر الفلبين وغيرها	٥٠ ٪ (سابقاً)
نروج	١٣ر٧ ٪		و ١٨ ٪ اليوم
دانمرك	١٤ر٢ ٪	مصر	٧ر٣ ٪
هولندا	١٩ر٣ ٪		

يقول الاستاذ الدكتور بول منرو صاحب دائرة المعارف (في التربية) ورئيس اللجنة التي نيط بها درس حالة التعليم في العراق ، ان كثيراً من البلدان خصصت في بعض السنوات ٥٠ ٪ من ميزانيتها العامة للتعليم ... كما يرى من الجدول السابق

وليس في هذا غرابة اذا علمنا ان الامية والجهل والانحطاط في مستوى العيش كالحمى والطاعون والهواء الاصفر يحتم على الامة قطع دابرها واستئصال شأفتها في اقرب فرصة ممكنة ، لان تأجيل القضاء على هذه الاخطار عشرين سنة مثلاً يؤخر الامة مئات من السنين

ويقول علماء التربية ان مجموع ما ينفق على التعليم يجب في الحالات المعتادة (لا في حالة الجهل والامية الضاربة اطنابها) ألاّ يقل عن ٤ ٪ او ٣ ½ ٪ من مجموع الدخل القومي او دخل مجموع الافراد . وعلى هذا الحساب يكون هذا الرقم من ١٠ ½ الى ١٢ مليون جنيه لان دخل مصر بحسب التقدير الذي عمله حديثاً دكتور ليفي هو ٣٠١ مليون جنيه في العام

﴿توزيع ميزانية التعليم على درجاته﴾ مصر تنفق على التعليم الاولي ٧٣٧ر١٥٥ر١٢ من الجنيهات

من الميزانية العامة للتعليم وقدرها ٣٣٠٧٥٢١٦٠ عن سنة ١٩٣٤ — ٣٥ وحتى لهم هذه النسبة في بعض البلدان الاخرى اقول ان مستر مان الذي انتدبته وزارة المعارف سنة ١٩٢٩ لدرس حالة التعليم في مصر ذكر ان في انكلترا كل جنيه واحد ينفق على التعليم غير الاولي . يقابله اربعة جنيهات تنفق على التعليم الاولي، في حين ان في مصر كل جنيه يصرف على التعليم الاولي يقابله ٢ على غير الاولي

في كندا وسكانها نحو عشرة ملايين نسمة اي ٤ سكان القطر المصري تبلغ الميزانية العامة للتعليم ٣٣ مليون جنيه مقسمة كما يأتي : —

العالي ٤ مليون جنيه والثانوي ٧ مليون جنيه والاولي ٢٢ مليون جنيه المجموع ٣٣ مليون جنيه . اي ان ما ينفق على الاولي ضعف ما ينفق على الثانوي والعالي مجتمعين

وفي ولايات اميركا المتحدة يوجد في المدارس الاولية ٢٥ مليون تلميذ وتلميذة ، وفي المدارس الثانوية ٥ ملايين وفي العالي مليون واحد . هذا مع العلم ان عدد تلاميذ المدارس الثانوية يزيد في مجموعه عن مجموع تلاميذ المدارس الثانوية في جميع ممالك اوربا وآسيا

والتعليم الأولي أهم بكثير من التعليم الثانوي والعالي كما يشاهد من الميزانية المخصصة له لأن التعليم الثانوي من الكماليات في حين ان الأولي من الضروريات ، لأن الأولي عادة يشمل السواد الاعظم من السكان في حين أن الثانوي لا يشمل الا أقلية صغيرة منهُ . وربما تستغربون اذا قيل لكم ان التعليم الثانوي في انكلترا في يد المدارس الخصوصية (الاهلية) ومجلس الولايات

انظروا ما يقوله دكتور كلاباريد الخبير السويسري الذي انتدبتهُ الوزارة سنة ١٩٢٩ عن التعليم الثانوي في مصر

« شاهدنا في المدارس الابتدائية والثانوية في مصر ما تحسده عليها الدول الاوربية في الاثاث والمعدات ، وشاهدنا طبقة من النظار والمفتشين والمعلمين من الدرجة الاولى»

نعم هذا صحيح — معامل وأجهزة وبنايات فخمة ومرتبات وكماليات luxe في المدارس الثانوية والابتدائية والعالية ولكن على حساب الفلاح البائس » على حساب المدارس الاولية التي يتمثل فيها الانحطاط والفقر في المعلمين والمعدات والاثاث . أقول في الاثاث والمباني ولا أريد أن اقول أن كبير أطباء وزارة المعارف يقول في تقريره أن التلاميذ القرويين يقضون حاجاتهم في أثناء وجودهم في المدرسة في الاماكن التي تقول مصلحة الصحة انها مرعى خصيب للبلهارسيا والانكلستوما ، لانه لا توجد بها مراحيض . ثم ارجو أن تقارنوا معلم المدارس الاولية بالمدارس الثانوية والعالية

نسبة مرتبات المعلمين في درجات التعليم

في مصر المدارس الاولية : الابتدائية من	١ : ٣ — ١ : ٦
« اوربا ١٠	النسبة واحدة

في مصر نسبة الأولية الى الثانوية من	١ : ٣ — ١ : ١٠
« اوربا « « « « «	١ : ١٣ ÷ ١ : ٢
« مصر نسبة الأولية الى الجامعة من	١ : ١٦
« اوربا «	١ : ٣ — ١ : ٤

ولا غرابة اذا كان التعليم الاولي متأخراً فانا حديثو العهد به . ففي سنة ١٩١٨ — ١٩ انفقت مصر ٤ ٪ لا غير من ميزانية التعليم على المدارس الاولية في حين أن فرنسا في تلك السنة انفقت ٢٢ ٪ من ميزانية التعليم على التعليم الاولي

وانظروا الى هـذا الجدول الذي يبين ما كانت تنفقه الممالك المختلفة على كل تلميذ أولي سنة ١٩١٣ — ١٤ مقارناً بين ما كانت تنفقهُ مصر : —

أسماء البلاد	التعليم الاولي عن التلميذ الواحد فرشاً مصرياً	اسماء البلاد	التعليم الاولي عن التلميذ الواحد قرشاً مصرياً
اليابان	٦٠	بلجيكا	١٨٧
انجلترا	١٤٠	سويسرا	٢٠٠
برومسيا	١٤٣	ولايات اميركا المتحدة	٢٢٢
فرنسا	٧١٠	استراليا	٣٠٧

مصر ١٤ مليماً في العام عن التلميذ في الابتدائية والاولية (الوزارة ومجالس المديريات معاً)

***

﴿ ٧ — الامية والديموقراطية ﴾ من العبث اصلاح القرية او تعويد السكان النظافة والوقاية من الامراض الرمدية والطفيلية بغير ان يتمشى التعليم الالزامي وزوال الامية مع سائر الاصلاحات الاجتماعية في آنٍ واحد . وربما كان مناسباً هنا ان نعلم شيئاً عن الامية وتاريخها في مصر وغيرها

في اوربا سنة ١٥٠٠ كان الملوك والامراء اميين — اذا استثنينا القليلين كالفريد الكبير وسنة ١٥٠٠ م كان عدد الذين يقرأون ويكتبون اقل من ١٠ ٪ وسنة ١٥٠٠ — ١٧٠٠ لم تزد النسبة عن ١٠ ٪ الا قليلاً وسنة ١٨٠٠ أخذ التعليم يكون الزاميًّا تدريجيًّا وسنة ١٨٧٠ اصبح ٧٥ ٪ من بريطانيا وفرنسا والمانيا متعلمين

وفي المانيا كانت النسبة سنة ١٨٤١ ٩٠ ٪ وسنة ١٨٨١ — ٩٧ ٪ (قبل الاحتلال بسنة) وسنة ١٨٩٥ — ٩٩٫٧ ٪ (اي قبل عباس الثاني بثلاث سنين)

وفي فرنسا من سنة ١٨٧٥ اصبح عدد القراء كثيراً جدًّا حتى ان كلًّا من الـ Petit Journal والـ Petit Parisien كان يوزع من النسخ يوميًّا مليوناً

وهذا الجدول يبين لنا تفصيل سير التعليم في شتى البلدان

البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون ويكتبون ١٨٣٠	١٨٥٠	١٨٨٠
انكلترا	٥٥	٦٤	٨٤
اسكوتلندا	٧٧	٨٣	٨٩
ارلندا	٤٦	٥٥	٦٧
فرنسا	٤٢	٥٧	٧٨
روسيا	١	٢	١١
المانيا	٢٨	٣٤	٤٩

البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون ويكتبون ١٨٣٠	١٨٥٠	١٨٨٠
ايطاليا	١٦	٢٨	٤١
اسبانيا والبرتغال	٩	١٨	٣٤
سويسرا	٨٧	٨٠	٨٨
اسوج ونروج	٨٠	٨٢	٨٧
الولايات المتحدة	٨٠	٨٤	٩٠
مصر	١	٣	١٠

ولنظر الى هذه النسبة اليوم ١٩٣١ — ١٩٣٢

البلد	النسبة المئوية للاميين
بريطانيا العظمى	من صفر الى ٣ ٪
المانيا	٥ ٪
اليابان	٥ ٪
ولايات اميركا المتحدة	٤ ٪
فرنسا	٨ ٪
بلجيكا	٩ ٪

البلد	النسبة المئوية للاميين
اسبانيا	٥٤ ٪
الصين	٨٠ ٪
سوريا	٨٠ ٪
فلسطين	٨٠ ٪
مصر	٨٨ ٪

﴿ النظام الدكتاتوري والتعليم ﴾ من الغريب ان الانظمة الدكتاتورية التي لا تتفق في الاصل والديموقراطية ، بل هي والديموقراطية على طرفي نقيض — من الغريب ان النظام الدكتاتوري الذي نراه ينتشر اليوم في كثير من بلدان العالم ، اكثر ديموقراطية في التعليم (في معظم النواحي) من البلاد العريقة في الديموقراطية . ففي تركيا ، يدير مصطفى كمال دفتها بيد من حديد ويسير بخطوات واسعة نحو نشر التعليم بين الكبار والصغار البنين والبنات ، ولا تمضي سنوات حتى تصبح تركيا من ارقى بلدان العالم في التعليم ، لانها تتبع احدث الانظمة ، وقد دعت جون ديوي منذ سنوات للانتفاع بآرائه الفلسفية الحديثة . وفي ايطاليا التي تحكمها يد الفاشزم الفولاذية وعلى رأسها الجبار موسوليني يتناول التعليم جميع طبقات الامة ، والمدارس الثانوية مثلاً سبعة انواع حتى تشمل جميع الافراد في سن التعليم الثانوي وتقوم بسداد حاجات الامة على الوجه الكامل

وفي روسيا البلشفية ، وهي آخر ما كان ينتظر ذكره من البلدان التي تراعي روح الديموقراطية في التعليم، هذه البلاد اكثر ديموقراطية من جميع بلدان العالم من هذه الناحية، لان ١٠٠ ٪ من جميع التلاميذ بنات وبنين بين سن ٢ و١٤ في رعاية الدولة تعنى بغذائهم ولباسهم وتعليمهم وكثيرون من رجال التربية يسافرون كل عام الى تلك المملكة لدراسة نظم التربية هناك

انطاكية وآثارها الفخمة

ارض حضارة غابرة

بقلم نقولا شكري

اشارت الصحف الى ان الجنود عثروا في جبل سلبيوس المطل على مدينة انطاكية على آثار رومانية ثمينة كانت مغطاة بطبقة ترابية حتى جلاها السيل فاكتشح الطبقة وجلاها . وتعد الآثار الجديدة من اثمن ما خلفهُ الرومان ويقال انهُ لا مثيل لها في جميع متاحف العالم الاخرى . واني القارىء بيانها المفصل وفاقاً لما اشارت اليهِ الصحف

١ — تمثال نصفي من الرخام الابيض يمثل فتىً رومانيًّا ببزتهِ الرسمية وهو دقيق الصنع سليم من التشويه كأنهُ صنع حديثاً والرأس والصدر والقاعدة منفصلة بعضها عن بعض وتتصل بركائز حديدية . وسبب هذا الاتصال هو انهُ كان من عادات الرومان نصب تمثال لكل فتى جديد يتولى شؤون الولاية او المدينة ولما كانت البزّة الرسمية معروفة لا تتبدل قط بشاراتها ورموزها ونقوشها كانوا يكتفون بتغيير الرأس فقط وركزه فوق التمثال الجسمي وهناك في المتاحف العالمية كثير من مثل هذه النصب التامة ويفضل هذا لان صاحبهُ معروف ومتصل بهِ كما ان ما عليهِ من صور الاشكال البارزة والنقوش البديعة رائعة وجميلة جدًّا

٢ — تمثال يوناني للآلهة : فينوس (الزهرة) .. وهي نصف عاشية من الرخام الابيض ايضاً عديم الرأس وبعض الساعدين ، اما التكوين الجسمي فهو آية فنية للجمال في المرأة من الكتفين الى الصدر والعنق والنهدين والفخذين حتى والقدمين وكأن ذلك الجمال الفني سُمّ الدفن بين طيات الثرى فشق الارض وظهر للعيان فتنة للناظرين

٣ — تمثال نصفي لاحد آلهة اليونان او جبابرتهم ذو لحية مسترسلة وعيون تنبعث منها الهيبة والوقار وهو اضخم القطع الموجودة وسليم من التشوه ايضاً وملابسهُ بطياتها وثنياتها وتجعداتها تنم على دقة الصنع ومهارة المثالين القدماء لعدم وجود الوسائط الفنية الحديثة لديهم لنحت مثل هذه الدقائق

٤ — تمثال بارز فوق قطعة مستديرة من الغرانيت الاسود يبلغ قطرها ٨٠ سنتمتراً تقريباً يمثل امرأة عارية ونصفها السفلي يمثل حيواناً جاثماً وهي سليمة كاملة

٥ — رأس للاله باخوس بابتسامته الهازئة الساخرة وشعره المشوش وهو اقدم الآثار الموجودة بحسب رأي العارفين

٦ — تمثال طير يشبه فرخ النسر منحني العنق الى الجانب وهو جاثم فوق قاعدة من الرخام وكل ما فيهِ من ريش وتكوين بديع الصنع

٧ — رأس سيدة رومانية هو مثل الجمال الروماني بتقاطيع الوجه وتكوين سائر اعضاء الرأس خصوصاً اسلوب تنظيم الشعر وجمعهُ فوق الرأس بهيئة تاج جميل حسب الزي الروماني

٨ — رأس رجل من الفسيفساء الاحمر الوردي تظهر عليهِ كل ملامح الرجولة والقوة والرأس

٩ — تمثال رجل شيخ مستند الى جدار محزن وكآبة وهو مرسل الشعر واللحية

ويقول بعض العلماء ان هذه النفائس كانت ملكاً لعظيم خاف عليها فطمرها في الجبل وظلت فيهِ لم تمتد اليها يد حتى جاء السيل فجرف ما كان يغشاها فظهرت الوجوه فتنة للناظرين

* * *

وبعد فقد كتبت في عدد سابق من المقتطف مقالاً مستفيضاً اشرت فيهِ الى الآثار القديمة الموجودة في انطاكية واهمها الجسر الروماني وبقايا التصوير والهياكل والحمامات وميادين السباق واقنية المياه والقبور والتماثيل الرخامية والسور الروماني القديم الذي يحيط بالمدينة فلا حاجة في العودة الى هذا الموضوع . غير اني اوى لمناسبة الاكتشافات الاخيرة ان اذكر باختصار كيف نشأت حضارة انطاكية وترعرعت ثم ضاعت

وقد لا يكون من الاستطراد الخارج عن الموضوع ان اؤيد لمناسبة الاكتشافات الاخيرة ان شهر الآثار الرومانية في انطاكية الطرق والجسور القديمة وقد اكتشفت في سنة ١٥٠٧ خريطة رسمت عليها الطرق والدروب العسكرية في الامبراطورية الرومانية القديمة من بريطانيا الى الهند والمظنون انها وضعت في القرن الرابع للمسيح وانها نسخت عن خريطة اقدم منها بكثير

وترى الطرق في بعض ضواحي انطاكية محفوظة حفظاً عجيباً كما في الطريق الممتدة بين انطاكية وكلس فان عرضها عشرون قدماً او اكثر وهي مبلطة ومن البلاط ما طوله اربعة اقدام وعرضهُ ثلاثة وسمك الواحدة منها ثلاثة اقدام ايضاً

وفي انطاكية وضواحيها جسور رومانية كاملة وكثير من الجسور التي عقدت في القرون الوسطى وأهمها الجسر القائم عند مدخل المدينة واتفق اني رأيت هذا الجسر بعد مطر غزير سالت بهِ الاودية وجرف السيل جسرين حديثين بناهما المهندسون الفرنسيون فوقع منظر هذا الجسر وقعاً عظيماً في نفسي لثباتهِ على مقاومة العناصر الطبيعية هذه القرون الطوال واثنيت الثناء الطيب على المهندسين الرومانيين وطأطأت رأسي امام اشباحهم اجلالاً لقدرهم واعترافاً بتفوقهم في صناعتهم

واذا سأل سائل من كان سكان تلك البلاد الذين مدوا هذه الدروب المتقنة وشيدوا الهياكل وبنوا المسارح التمثيلية واعلوا القصور وزخرفوا الحمامات زخرفاً نادر المثال وسكنوا بيوتاً لا ينقصها شيء من اسباب الراحة في هذه الدنيا وتوفوا احتوتهم اضرحة رحبة لا تقل فخامة عن بيوتهم وقصورهم. اذا سأل سائل هذا السؤال قلنا لهُ ان هذا الوصف الوجيز الذي ينطوي عليهِ سؤالك كاف للدلالة على ان حضارة انطاكية بلغت شأواً رفيعاً في ذلك العهد . وهنالك ما يدل ايضاً على ان تلك الحضارة كانت في ذلك العهد لا تزال في أوجها وانها لم تكن قد مالت الى الزوال او دبَّ اليها شيء من الانحلال لما

دهمتها قوى خارجية غير منظورة ودرستها كأن لم تكن شيئاً مذكوراً

وكان لاهل البلاد فنون خاصة بهم اثرت فيها الفنون اليونانية الى حين ثم نفضت عنها ذلك التأثير واستعادت رونقها الاول كصورها الاصلية ولكنها استبقت من الاثر الغريب ما زادها بهجة وطلاوة واتخذت لها طرازاً يفوق طراز سائر الفنون في ذلك الزمان . وظاهر من درس فنون اولئك السكان التي اكتشفت في آثارهم وصلياتهم ان معظمهم كانوا اذكياء واغنياء واذا قيست الحضارة بمقياس المنازل ظهر لنا ان حضارة انطاكية القديمة كانت رفيعة وان كان كثير من الكتابات التي تركوها والنقوش التي اجتفروها على الآثار كثير الخطأ في التهجئة والتركيب النحوي فما ذلك الا لان الكتاب كانوا يكتبون بلغة اجنبية يعرفها العلماء المحدثون الآن اكثر مما عرفها اهلها اليونان في عصرهم

اما قولنا ان سكان تلك البلاد كانوا اغنياء في الثروة فمبني على كتاباتهم ونقوشهم التي تركوها لنا وهي تدل على انهم كانوا اهل كفاف من العيش ينفقون عن سعة وتبقى عندهم فضلة موفرة . ففي تلك النقوش ان فلاناً اهدى الى مدينته حماماً عمومياً وآخر بنى كنيسة او ديراً على نفقته الخاصة وهكذا . ومن كان اقل غنى اهدى الى قريته هدية على مقدار حاله . وكانوا اهل مسالمة ونظام ومحافظة على الامن في مجتمعهم بدليل ان كثيراً من قصورهم كانت تبنى ولا جدار او سياج حولها لحمايتها من الاعتداء . على انهم لم يكونوا من كبار اصحاب العقار بدليل قرب مدنهم بعضها من بعض وبالتالي لم يربوا قطعاناً كبيرة من الماشية ولكنهم كانوا يزرعون شجر الزيتون والكروم ويعصرون الزيت والخمر على قدر كبير بدليل كثرة المعاصر في القرى المحيطة بانطاكية . وكانت تجارة القوافل بين انطاكيه والبلاد الجنوبية ومصر وفارس واسعة النطاق ففي بعض الكتابات ان تاجراً خرج بقافلة الى نهر السند او الهند وآخر سافر بمهمة سياسية الى رومه

وربَّ سائل يسأل : متى كانت آخرة خصب تلك البلاد وآخرة مدنيتها الزاهرة وكم دام عمرانها وما هو سبب زواله ؟

ليس من ينكر ان بعض هذه المسائل يتعذر الجواب عنه ، وبعضها لا يكون الجواب عنه شافياً ولست اقصد محاولة الجواب عن تلك المسائل وانما اقصد وصف البلاد كما هي والاستدلال بالحاضر على الماضي وسيرى القارىء ان هذا الوصف يسهل السبيل الى الجواب عن بعض تلك المسائل على قدر الامكان . وتدل الآثار والنقوش والكتابات التي وجدت في تلك البقاع انها لم تكن آهلة بالسكان بعد اوائل القرن السابع للمسيح ويخيل الينا ان سنة ٦١٠ كانت تاريخ آخر مدنية الجزء الاكبر منها وهذا التاريخ يوافق تاريخ الفتح الفارسي الكبير سنة ٦١٠ — ٦١٢ واوائل الفتح الاسلامي الذي بدأ بعده بنحو عشرين سنة . ويستدل من اقدم الكتابات التي وجدت في البلاد ان العمران بلغ فيها شأواً رفيعاً في اوائل التاريخ المسيحي كذلك تدل الآثار والتاريخ دلالة قاطعة على ان ذلك العمران بدأ هناك قبل التاريخ المسيحي بنحو مئتي سنة او ثلاث مئة سنة على القليل ولكن هنالك آثاراً أخرى يؤخذ منها

ان تلك البقعة اقدم عهداً وانر من اشرف الآثار القديمة عن تلك المدينة القديمة . وتاريخ البلاد كما يؤخذ من التوراة وكتابات المصريين والآشوريين القدماء تدل دلالة صريحة على انه كان في تلك البلاد حضارة راقية في اوائل مدنية الانسان

ومن يسير الآن في شمال انطاكيه ويهبط وادي العاصي الخصيب يرى في ذهابه شرقاً سلسلة غير منقطعة من الآكام الكلسية ممتدة الى الشمال الشرقي ومتوسط علو هذه الآكام ١٥٠٠ قدم ومنها ما يعلوه ٣٠٠٠ قدم الى ٣٥٠٠ فوق سطح البحر وهي آكام رمداء جرداء لا يرى فيها أثر يد الانسان من طرق مرصوفة وجدران تفصل الحقول بعضها عن بعض وارصفة هائلة الكبر ثم يشاهد خرائب مدن صغيرة مهجورة فيها ابنية كبيرة وصغيرة مبنية من حجارة كلسية بديعة النحت واذا صعد الى مرتفع هناك رأى حواليه خرائب مثل هذه الخرائب ممتدة في كل جهة واذا كان بعيداً عنها لا يصدق انها خرائب مهجورة وبعض هذه المباني لا يزال قائماً ولكن سقوفه منزوعة عنه على مر الزمن . وقد يسير المرء اميالاً كثيرة في تلك البقعة ولا يرى فيها انساناً ولا خضرة ما سوى بعض شجر البطم هنا وهناك ولا ارضاً ترابية تصلح للزرع الا في اماكن بين الصخور وحول كل خربة بقايا معاصر لعصر الزيت وصنع النبيذ . اما البناء في هذه الخرائب فيمثل كل طراز معروف عند الامم العريقة في الحضارة من ذلك ابنية تدل الدلائل على انها قديمة جداً وان لم يكن عليها كتابة وهي على شكل كثير الاضلاع ولها افاريز غليظة حول سطوحها وأبوابها ومنها ابنية بنيت في القرن الاول والثاني المسيح بينها هياكل بديعة البناء ومعظمها خرائب لان الناس حملوا يسطون عليها لاخذ حجارة البناء منها وفي جميع تلك الانحاء بيوت جميلة بنيت في القرنين المذكورين وكنائس كبيرة وصغيرة وحمامات ومخازن واسواق وأضرحة على اشكال شتى لا عداد لها . اما كنائس القرن الرابع فأبنية خالية من الزخرف وأما كنائس القرنين الخامس والسادس فأكثر زخرفاً من جميع الابنية التي تمثل العهد المسيحي قبل العهد القوطي في اوربا . والآكام التي في اقصى الشمال غير آهلة ولكن يقصدها في بعض فصول السنة طوائف من التركمان يضربون خيامهم فيها وينزل بعض جوانبها بضع عائلات من الاكراد . وفي التلال الكلسية الى شرقي العاصي قرى صغيرة يسكنها قوم من الفلاحين يتكلمون التركية وبينهم قليل من النصيرية وهم يعتمدون في حرث ارضهم وزرعها على مطر غزير يرويها والآ اخلت وفي الشمال كثير من قرى الشراكسة في سفوح الآكام وقد جاء بهم السلطان عبد الحميد اليها وسلحهم وملكهم اغزر عيون تلك البقعة ليكون منهم حاجز حصين بينه وبين العرب

اما القرى التي تكتنف انطاكية فآهلة بالعلويين وهم امة مستقلة على صغرها ولغتهم العربية وهم يتزوجون زوجة واحدة وديانتهم سرية وهم زعماء اصحاب مكانة عظيمة عندهم وسلطة كبيرة عليهم ومنازلهم كبيرة رحبة فيها جميع اسباب الراحة

بقي انه ليس من السهل ان نعرف لاول وهلة سبب انقراض حضارة انطاكية الزاهرة هذا الانقراض السريع وكل ما يخبرنا به التاريخ انه طغى على البلاد سيلان من الغزاة سيل الغزاة الفرس من الشرق وسيل الغزاة العرب من الجنوب في الثلث الاول من القرن السابع بعد المسيح وكانت عادة الفرس انهم اذا غزوا بلاداً ، ولم يقووا على البقاء فيها جلوا عنها ودمروا جزءاً كبيراً منها يفصل بينهم وبينها فيأمنون بذلك قيام البلاد المغزوة للاخذ بالثأر فلا يبعد والحالة هذه بعد اجتياحهم تلك البلاد ان يكونوا قد قطعوا ما فيها من غابات الزيتون والكروم وخربوا المعاصر وهدموا جدران الحقول ولكن حربين تسيل فيهما الدماء انهاراً ويكثر فيهما التخريب والتقتيل والاسر لا يحولان بلداً خصيباً قفراً جديباً في مثل هذا الزمن الوجيز فلا بد فوق ذلك من اضافة العوامل الطبيعية كالزلازل التي قربت البعيد وعجلت النتائج .

وانطاكية موطن اميانوس مرشكينوس وارشياس الشاعر الفيلسوف الذي كان شيشرون من تلاميذه وليبيانوس والقديس لوقا والقديس يوحنا فم الذهب . وينسب اليها جماعة كثيرة من اهل العلم وغيرهم من المسلمين . وفي القرن الخامس لقب اسقف انطاكيه بطريركاً ويطلق لقب بطريرك انطاكيه على بطريرك الروم الارثوذكس وثلاثة من بطاركة الكنيسة الكاثوليكية وهم بطريرك الموارنة وبطريرك الروم الكاثوليك وبطريرك السريان الكاثوليك وما من أحد من هؤلاء يقيم في انطاكية

***

وقد ازدهرت النصرانية في انطاكية ازدهاراً كبيراً . وليس في العالم كله مدينة غير القدس مرتبطة اكثر من انطاكية بتاريخ الكنيسة الرسولية . ومما يذكر هنا اشتراك المدينتين في كثير من المسائل المتعلقة بانتشار النصرانية من ذلك أن احد الشمامسة السبعة الذين انتخبهم الرسل لخدمة الموائد كان من انطاكية (اع ٦ : ٥) ولما تشتت النصارى من اورشليم بعد قتل استفانوس سار قوم منهم الى انطاكية وبشروا فيها بالانجيل (اع ١١ : ١٩) وانحدر اغابيوس وغيره من الانبياء من اورشليم الى انطاكية وانبأوا بالمجاعة (اع ١١ : ٢٧و٢٨) ومنها ارسل برنابا وشاول الى اورشليم للقيام بأعمال خيرية (اع ١١ : ٣٠و١٢ : ٢٥) واليها انحدر قوم من اليهودية وألقوا في كنيستها وجساً (اع ١٥ : ١) وبها لام القديس بولس القديس بطرس لنهجه طريقاً ساقه اليها رسل من اورشليم (غلا ٢ : ١١و١٢) ومعظم أهمية انطاكية دينياً ناشئة عن استظهار النصرانية فيها على الوثنية فقد قامت بها أول كنيسة للامم (اع ١١ : ٢و٢١) وبها دعي التلاميذ مسيحيين اولاً (اع ١١ : ٢٦) وقام القديس بولس بأعماله الاولى التبشيرية (اع ١١ : ٢٢ — ٢٦) وسافر منها في بدء سياحته الاولى للتبشير (اع ١١ : ١—٣) واليها رجع (اع١٤ : ٢٦) وبعد ان عقد المجمع الرسولي الذي انفذت أوامره الى الأمم المرتدة في انطاكية خاصة (اع : ١٥ : ٢٣) بدأ سياحته التبشيرية الثانية وانتهى اليها (اع ١٥ : ٣٦ و١٨ : ٢٢) ثم خرج منها حين بدأ رحلته

الثالثة (راجع ١٨ : ٣٣) التي انتهت إلى أورشليم وقيصرية وما من شيء يدل على انهُ رجع اليها بعد ذلك غير أنها بقيت بعده مركزاً مهماً لتقدم النصرانية

أما بطرس الرسول فهو أول اسقف سيم لكنيسة انطاكية سنة ٤٤ فبعد أن أقام فيها سبع سنين عين افوديوس خلفاً له وقصد الى رومية . أما كنيسة القديس بابيلاس اسقف انطاكية الذي مات في اثناء الاضطهاد الذي قام به داكيوس فقد كانت في « دفنه » بجوار انطاكية واستطالت شهرتها حتى أنست الناس عظمة هيكل أبولون المقام هناك . ولما قدم يوليانوس الجاحد دفنه ليقدم قرباناً لابولون دهش جد الدهشة لانهُ لم يرَ في الهيكل الاحتفالات المعتادة وشكا في بعض كتاباته من أنهُ لم ير من القرابين الاَّ طيراً من الاوز قدمه رجل فقير بدلاً من التقدمات السابقة التي كان كل منها مؤلفاً من مائة ذبيحة وحملته غيرته الدينية على الاخذ بثأر ابولون فهدم كنيسة القديس بابيلاس وامر أمره الى النصارى بنقل موتاهم المدفونين في « دفنه » الى انطاكية مع بقايا القديس بابيلاس فوضعت عظامه في مركبة ونقلت محفوفة بالنشائد والتراتيم والناس من حواليها يهللون ويضجون بحماس كبير . وفي الليلة التالية اضرمت النار حول تمثال ابولون في « دفنه » فسقط وقد نسب يوليانوس ذلك الى نصارى انطاكية فعاقبهم على ذلك عقاباً أليماً وفي سنة ٣٠٣ حدث الاضطهاد الذي قام بهِ ديوكلتيانوس على انطاكية فجرى فيها من الفظائع ما تقشعر لهُ الابدان هولاً ورعباً وجرى بين الكاثوليك والآريوسيين من الشقاق ما كاد يفضي الى خراب المدينة . وفي النصف الثاني من القرن الرابع اضطربت أحوال كنيستها لتكاثر فرق المراضقة فيها والتأم في انطاكية عشرة مجامع مسيحية من سنة ٢٥٢ الى سنة ٣٨٠ وفي أواسط القرن السادس للميلاد فتح كسرى ملك فارس انطاكية بعد ان كان يوستنيانوس قد بذل جهده في ترميمها واعادة الابنية التي هدمتها الزلازل فاضرم فيها النار فاحترقت ما عدا منطقة « ستراتيوم » والكنيسة الكبرى الاَّ أن الفرس سلبوا منها كثيراً من النفائس وكان القيصر قد انفذ الى ملك فارس سفيرين يدعى احدهما يوحنا والآخر يوليانوس فتمكنا من مقابلته وعقدا معه معاهدة صلح تقرر فيها أن يؤدي القيصر الى ملك فارس مبلغاً سنوياً على سبيل الاعانة وعلى سبيل الجزية

وقد اتفق المؤرخون ان يوستنيانوس ساعد أهالي انطاكية مساعدات كبيرة تمكنوا بها من بناء حمامات جميلة وانشاء قصور جديدة غاية في الابداع وكنيستين كبيرتين احداهما للعذراء والاخرى للقديس ميخائيل وحولوا مجرى النهر ووسعوه وبلطوا اسواق المدينة تبليطاً حسناً وجروا المياه الصالحة للشرب بأقنية ووسائل اخرى كثيرة ووزعوها على الاحياء المختلفة وحفروا آباراً عامة للمشاة القائمة على التلال والاماكن المرتفعة واقاموا لمياه الشتاء سدوداً متينة لوقاية البلد من أذاها. كذلك انشأ يوستنيانوس ثلاثة مستشفيات احدها للنساء والثاني للرجال والثالث للمرضى من السياح والغرباء

وفي آخر سبتمبر سنة ٥٨٩ حدثت زلزلة شديدة في الساعة الثالثة صباحاً فتساقطت الأبنية في

بضع دقائق وهدم جزء كبير من الكنيسة الكبرى غير ان قبة الكنيسة انفصلت من أصلها وسقطت على بعض الجدران فارتكزت عليه ولم تحل عنه لأنها توازنت ولم تنفصم انها كانت من المعدن والخشب ولم يعقب هذه الزلزلة من الاضطرابات ما عقب الزلزلة التي حدثت سنة ٥٢٦ غير أن شوكة سوريا كانت قد ماتت الى الزوال لان الفرس كانوا يدنون من الفرات وينهبون آسيا الصغرى وفي اثناء هذه الأخطار أخذ فوكاس المغتصب يضطهد اليهود ويهددهم بالفناء ان لم يعدلوا عن شريعة موسى فثارت ثورتهم وانقضوا على انطاكيوس الاسقف واحرقوه بالنار حيًّا فجرَّت عليهم قساوتهم هذه قصاصاً مرعباً وذبحهم فوكاس شر ذبحة وفي سنة ٦٣٨ الميلاد فتحها المسلمون صلحاً على يد ابي عبيدة بن الجراح في ايام الخليفة عمر وذكر المؤرخون الافرنج ان الذي مكنهُ من ذلك خيانة يوقنا احد قواد الروم ولم يدخلها الاَّ بعد حصار شديد . وذكر ياقوت ان ابا عبيدة سار اليها من حلب . ثم انتقل اليها قوم من اهل حمص وبعلبك منهم مسلم بن عبد الله بن حبيب بن النمهاذ بن مسلم الانطاكي وكان مسلم قد قتل على باب من ابوابها فهو يعرف بباب مسلم الى الآن . وفي سنة ٩٧٥ استرجعتها الامبراطورية البزنطية وذكر ياقوت ان الروم استرجعوها سنة ٣٥٣ للهجرة الموافقة ٩٦٤ للميلاد بعد ان ملكوا طرسوس واطنه غير ان الرواية الاولى هي الاصح واستمرت انطاكية في ايدي الروم الى ان استولى عليها منهم سليمان السلجوقي جد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ للهجرة وفي سنة ١٠٩٧ الميلاد حاصر الصليبيون انطاكية ولم يكن لها حينئذٍ من القوة ما كان لها في عهد الرومانيين لان عدد سكانها تناقص غير ان مساحتها كانت لا تزال ثلاثة فراسخ وكانت اسوارها منيعة جدًّا وكان فيها ٣٦٠ برجاً للقتال وقلعة مبنية على صخر وخنادق عميقة وفي احد جانبيها نهر وفي الآخر اجمة والتلال من حواليها تقيها الهجمات . وكان المحاصرون مؤلفين من اربع امم من الافرنج فتمكنوا من فتحها سنة ١٠٩٨ للميلاد ويقال ان الذي سهل لهم ذلك خيانة رجل ارمني يدعى فيروز كان قد أسلم . وذكر ياقوت ان الافرنج استولوا عليها بحيلة وقد جعل الصليبيون انطاكية قاعدة امبرية باسمها واول من ملكها بوهيموند الترنتي وكانت مدة ملكه من سنة ١٠٩٨ الى ١١٠٨ ثم ضمت الى مملكة اورشليم واعيدت بعد ثماني سنوات الى بوهيموند الثاني سنة ١١٢٦ وفي سنة ١٢٦٨ حاصرها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ففتحها بعد حصار استمر اربعة ايام واحرق كنائسها بالنار وقتل من اهلها نحو ١٧ الف نفس وأخذ منهم مئة الف اسير . وقد انحطت قواها بعد ذلك وزال ما كان لها من الرونق والبهاء وفي سنة ١٥١٦ استولى عليها الاتراك . ومن الزلازل التي اصابتها وهي في حوزة الدولة العثمانية الزلزلة التي حدثت سنة ١٦١٥ وكادت تهدم المدينة برمتها وقد قتل فيها عدد وفير ثم الزلزلة التي اصابتها سنة ١٨٧٢ وقد بدأت في ١٣ ابريل واستمرت عدة ايام فهدمت قسماً من الاسوار وانشق الجسر الروماني القديم في عدة اماكن وتساقطت كنيسة الروم الارثوذكس وهلك الوف من الاهلين

حب الام

في أنابيب التجارب العلمية

ان حب الام في نظرنا هو روح الامومة ومجلاها لذلك نسبغ عليهِ في الناس والحيوانات على السواء ، صبغة من الالوهة ، ومع ذلك يقول الكاتب « وتشي كالدر » في كتابه الجديد « ولادة المستقبل » انهُ رأى حب الام في انبوب المختبر !

ذهب هذا الكاتب الى الدكتور ويسنر في معهد الوراثة الحيوانية بادنبره فعرض عليهِ انبوباً فيهِ سائل قال انهُ يحتوي على سر الحب في الام . فاحس الكاتب عندئذٍ برعشة في يديه حتى كاد ان يفلت الانبوب منهما ويتحطم على الارض . فقد أثبت الدكتور ويسنر أنهُ يستطيع أن يولد في اناث الحيوان غريزة الامومة وفقاً لرغبته . وليس السائل الذي يحتوي عليهِ الانبوب المذكور ، الا غريزة الامومة هذه ، وقد أفرغت في قالب مادي . فقد استخرج الدكتور ويسنر هذا السائل من الغدة النخمية المؤلفة من ثلاثة فصوص في مخلص صغير داخل الجمجمة عند القذال . ثم أثبت انهُ عند ما تحقن بهِ الفئران التي لم تلد تتصف بجميع مظاهر الامومة ومنها حب الام . فكأنهُ خلق غريزة الامومة بحقنة ابرة !

والمظاهر التي تجلت في تصرف الفئران تستوقف النظر ، فالامومة في الفئران تستغرق خمسة عشر يوماً بعد الولادة ، تبالغ الوالدة في خلالها ، في العطف على مواليدها ، فتحملها وترأمها وتبني لها العشوش وتدافع عن كيانها ، ثم اذا انقضت الايام الخمسة عشر ، تركتها وشأنها ، منصرفة عن كل عناية بها ، فلا يبدو عليها بعد ذلك اي مظهر من مظاهر عطف الام على فلذات مشتقة من كبدها . الا ان حقن الخلاصة المستخرجة من الغدة النخمية ولد في اناث الفئران مظاهر الامومة مع انها كانت غير قريبة العهد بالولادة . وهذا السائل يحتوي على هرمون (رسول) خاص مستخرج من الفص الامامي في الغدة النخمية ، فاذا توصل العلماء الى معرفة بنائه الكيمائي ، اصبح في وسعهم ان يصنعوا « حب الام » في المعمل

ان الدكتور ويسنر واعوانه معنيون الآن بالبحث في أسرار الولادة والتناسل ، وقد وجهوا جانباً كبيراً من عنايتهم الى استكناه اسرار الهرمونات (الرسل الكيمائية التي تطلقها الغدد الصم) المسيطرة على العمليات الشقية (الجنسية Sexual) المعقدة في الجسم ، ويؤخذ من هذه البحوث ان أعمال التناسل والولادة خاضعة لسيطرة الغدة النخمية ، وان هذه الغدة بمثابة المركز الرئيسي أو مقر أركان الحرب لنظام الغدد في جسم الانسان ، منها تنطلق الرسل (الهرمونات) في مجرى الدم حافزة بعض الغدد للعمل أو لنقل الاوامر الى ما يتصل بها من الغدد الاخرى

ومن هذه الغدد ما يصد الرسل عن سيرها ، ولا يطلقها من عقالها الا متى حان الوقت الموافق ، والعمل كله قائم على أساس عجيب من التضافر والاتساق

ستانلی بولدوین زعیم المحافظین البریطانیین

Stanley Baldwin

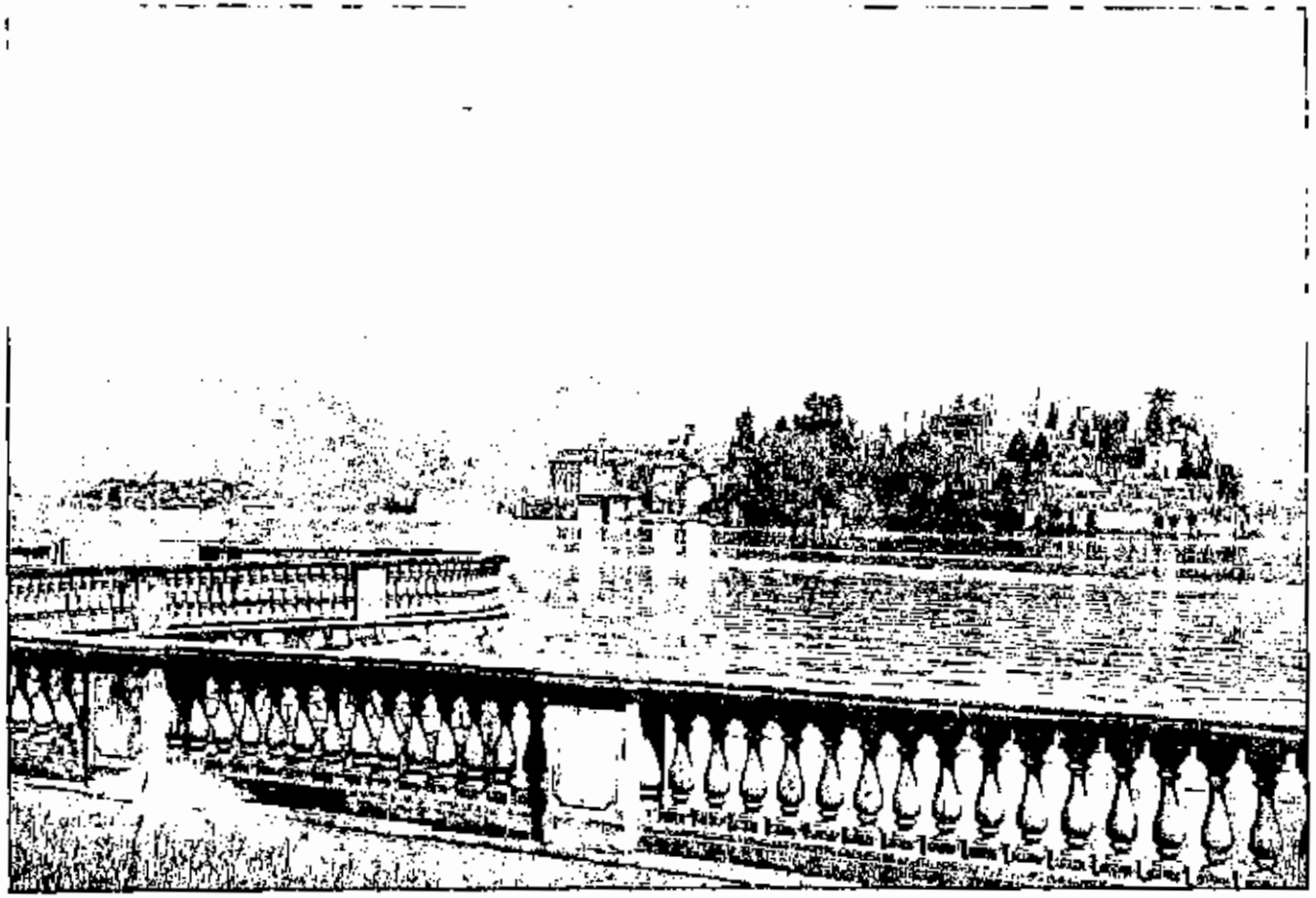

قصر « ايرولابلا » القائم على جزيرة في بحيرة ماجيوري امام بلدة ستريزا حيث عقد مؤتمر ستريزا في ١١ ابريل الماضي
لحضره موسوليني ومكدونلد وفلاندان ولافال والسر جون سيمون

روح اليابان وسلاحها

زعيمها الحربي يتحدث

«كنوز الثلاثة المقدسة» هي المرآة رمزاً للعدل، والجوهرة رمزاً للرحمة، والسيف رمزاً للشجاعة. هذه الفضائل هي سر روح اليابان» [الجنرال اراكي

لما دعي الجنرال اراكي من نحو ثلاث سنوات ونصف سنة، من قيادة فرقة محلية، الى تقلد وزارة الحربية، كانت الحملة المنشورية في بدئها. ولكن مكانة وزير الحربية حينئذٍ وشأنه الكبير في الوزارة اليابانية، كانا مستمدّين من خطورة الحملة في منشوريا ومن معرفة زملائه أنه يستطيع أن يسير فيسير الجيش الياباني وراءه. ذلك أن الجيش كان قد دبّ فيه دبيب الخروج عن الطوق، إذ رأى الدبلوماسية اليابانية في مسألة منشوريا مترددة خائفة لا تقف من الحالة موقفاً حازماً. وكان الضباط الشبان يقرأون لبعض متصوفة اليابان بأن الله لا بدّ معيد لليابان مجد ازدهارها على يد الجيش والقواد والضباط، فينقضي عندئذٍ عهد المتسول وعهد خادمه السياسي. وبدأ القوم يسمعون في أندية اليابان ودوائرها همساً باحتمال وقوع انقلاب في نظام الحكم، يقوم به الجيش المتمرد، فيطرد السياسيون من منصات الحكم وتنشأ حكومة عسكرية قومية

وكان التقلقل السياسي حينئذٍ على أشده، فالوزارة السابقة كانت قد استقالت على أثر خروجها عن قاعدة الذهب، وكانت الجمعيات السرية قد دوّنت في قوائمها أسماء بعض الوزراء وكبار المتمولين لكي تتخلص منهم، لأن في الخلاص منهم فائدة — في رأيها — للوطن، وكان الضباط يعدون رجال هذه الجمعيات بالمسدسات وقنابل اليد

كانت الحالة في اليابان على ما ذكرنا، لما دعي الجنرال اراكي لتقلد وزارة الحربية. والجنرال اراكي يحبه الشبان من الضباط ويحترمونه ويثقون به. وهو من ناحية يشاطرهم آراءهم ويعطف على ما يشكون منه. وكان، وهو في منصب مدير المدرسة الحربية، قد بسط ايمانه برسالة اليابان ووجوب تحقيقها بالحديد والنار. ففي اراكي رأى الجيش زعيماً يجدر بهم أن يتبعوه. فالى أين يقودهم . . . ؟

أما الجيش في منشوريا، فوجد في اراكي وزير الحربية الامثل، لانه لما تقلد المنصب، أصبحت الامبراطورية اليابانية بجميع مواردها وقواها، تؤيد الجيش الياباني في مغامرته المنشورية. فاراكي كان لسان الجيش، والمعرب عن مشيئته، وفي ذلك، كاد يكون مستقلاً كل الاستقلال عن الوزارة يستمد سلطته من الامبراطور مباشرة، والامبراطور هو قائد الجيش الأعلى، بل هو بمثابة الله في اليابان، والسلطة التي منحها الامبراطور للجنرال اراكي، استعملها اراكي الى أقصى حدودها

لذلك رأينا الجيش الياباني في سنة ١٩٣٢. بعد فترة من التردد والاحجام، في منشوريا

وقد اتخذ خطة الهجوم ، تنفيذاً للمشيئة الوطنية . فلما سارت الاعمال الحربية سيرها المرسوم ، عجز رجال السياسة عن التدخل في السيطرة عليها ، فكان اراكي وأركان حربه ، والقواد الذين في الميدان ، أصحاب الحل والربط الفعليين في كل ما يتعلق بمنشوريا

ويذكر القراء انهُ قبلما يقدم تقرير لتون الى جمعية الامم — وهو تقرير اللجنة التي ذهبت الى الصين برآسة لورد لتون من قبيل جمعية الامم لتحقيق مسألة اعتداء اليابان على الصين — اعترفت حكومة اليابان بدولة منشوكو — وهي الدولة التي أقامتها اليابان في منشوريا وأقامت عليها آخر امبراطورة المنشو الصينيين — فأعلنت بهذا الاعتراف انها اتخذت قراراً حاسماً فيما يتعلق بخططها في شرق اسيا . وفي سبيل هذا القرار خرجت من جمعية الامم متحدية الرأي العام الدولي

والجيش الياباني الآن يعتقد انهُ قد فاز بحل المشكلة المنشورية (أو هو يظن انهُ قد فاز) بانشاء دولة منشوكو ، فاتسع المجال أمام اليابان لتعيش اذ كفل لها هذا الحل موارد زراعية ومعدنية تحتاج اليها ، وأسواقاً لبيع بضائعها ومجالاً ترد به روسيا . فالجيش قد اختصر الطريق الى هذا الغرض ، وصرم حبال السياسة الطويلة ، بفعل الحديد والنار ، وحقق خطة معينة في السياسة الخارجية تعتقد الأمة اليابانية عن بكرة أبيها ، انها خطة لا مندوحة لها عنها اذا أرادت اليابان أن تعيش

والجنرال اراكي اليوم[1] هو رجل الساعة في اليابان ، عُيِّن في وزارة الحربية ليتخطى الثمر المهتج — أي الجيش — فامتطاه على ما يهوى الثمر نفسه . وفسح له المجال لتحقيق الاماني التي يرنو اليها وهو في رنوّه اليها انما يعبر عن مشيئة الامة اليابانية بأسرها

وكان بعض المشتغلين بالسياسة يتوقعون أن يقوم اراكي بعد فوزه هذا ، بقلب الحكم في اليابان ، وخصوصاً بعد الخطأ الذي ارتكبه بعض الشبان من الضباط في قتل رئيس الوزارة اينوكاي . ولكن آمالهم خابت فيما يتوقعون ، لان وزير الحربية — اراكي — لم يلبث بعد وقوع الحادثة ان أصدر أمراً قال فيه « ان الجيش افراداً وكلاً منسجماً ، لا يتحرك الا وفقاً لأمر الامبراطور ، وان كل انحراف عن هذه القاعدة خيانة » . فأثبت انهُ دستوريٌّ ، وقضى الشهور التالية ، محاولاً أن يعيد الى اليابان استقرارها واتزانها ، وكانت قد فقدتهما على أثر التجارب والمغامرات التي هزتها هزّاً . ثم ان اراكي رجل لا ينتمي لحزب ، ولا هو صديق للنظام البرلماني ، ولكنهُ يبذل كل ما في لكي يمكن اليابان من استئناف نمو الانظمة النيابية فيها

كان قبل تقلده وزارة الحربية ، مجهولاً عند السواد من الشعب الياباني . انتظم في سلك الجيش وليس له ما يميزه من عزوة أو مال أو نفوذ . كان والداه فقيرين وبدأ هو حياته في منصب كاتب في معمل « صلصة » . وغني عن البيان أن رجلاً بدأ حياته كاتباً بسيطاً في معمل « صلصة » ثم أصبح

(١) استقال اراكي من وزارة الحربية لما رأت الوزارة ان لا تمنحه كل ما طلبه من الزيادة في ميزانية الجيش ولكنه لا يزال من أصحاب الحول والطول في توجيه سياسة اليابان ، وانما من وراء ستار

وهو في السابعة والخمسين « وزير حربية » وزعيم الجيش الياباني ، كان فتىً طموحاً . ولكنهُ لم يطلب الشهرة ولا سعى اليها . فلم يظهر في ميدان الشؤون العامة في بلاده ، حتى اقتضت ذلك حوادث ما لهُ فيها يد

وليس في سيرته ما يسترعي النظر وانما في ذهنه ما يسترعي العناية . فبصفة كونه جندياً ياباني ، شعر بوجوب وضع مبدإ جديد ، يسير بمقتضاه الجيش الياباني . ففي الايام القديمة اي في أيام الاقطاع كان الساموري يطيع أميره طاعة عمياء . فلا بدَّ اذاً ، من وضع مبدأ ينظر اليه الجندي الياباني كما كان الساموري ينظرون الى أمرائهم في العهد القديم . واليك ملخص هذا المبدأ : —

ان الطبيعة والقدر وضعا الشعب الياباني موضعاً تحيط به المخاطر والمصاعب من كل ناحية . تصيبه الزلازل والاعاصير والبراكين وتضيق به جزائر اجداده . ولكن الشعب لا يسلم للمخاطر التي تزجيها اليه الطبيعة ، ولا يجب ان يقف دون العراقيل التي تقوم في سبيل توسعه مكتوف اليدين . فالحياة « حياة خطرة » وهي مصير اليابان المحتوم . وفي دولة هذه حالتها ، تعظم التبعات الملقاة على عاتق الجيش نحو الامة

وهو يضحك من اولئك الكتاب الذين يشبهونه بكبار رجال السياسة من الاوربيين ويقول « ان اليابان لا تحتاج الى هتلر ولا الى موسوليني » ولكنه لا ينكر انها تحتاج الى اراكي . ليس في مظهره ما يدلُّ على انه قائد عظيم او اكبر من امراء الحرب ، فهو قصير القامة هزيل الجسم تدل اساريره على التقشف والحياة البسيطة ، ولكنهُ شديد العناية بالآراء التي تطرح عليه ، ويسرُّه كل السرور ان يناقشها ويجادل فيها

قابله احد الصحفيين وبادره بالقول : يا جنرال انني اريد ان أفهم العالم من انت ، فالناس خارج هذه البلاد يعتقدون انك دكتاتور ، وكثيرون يظنون انك تمثل خطة السطو والبسطة في حياة اليابان الخارجية والنزعة الفاشستية في حياتها الداخلية ، فما هو « ركن الروح اليابانية » التي تتحدث عنها . فقال الجنرال : ان ركن الروح اليابانية كنوزنا المقدسة : هي المرآة تمثل العدل ، والجوهرة تمثل الرحمة . والسيف يمثل الشجاعة . ان ركن الروح اليابانية هو هذه الفضائل ممثلة في البيت الامبراطوري من بدء تاريخنا : هذه هي حكومتنا المثلى . ان مثلكم الاعلى في الحكومة هو قيام الحكومة على رضاء المحكومين . اما نحن فمثلنا هو وحدة الحاكم والمحكوم . فنحن ننظر الى الامة نظرنا الى الاسرة . ونحسب ان الحكومة تعاون الشعب والامبراطور على تحقيق ما فيه الخير العام . هذه الروح مناقضة للنزعة الدكتاتورية . ولما كان مثلنا السلم والوحدة في داخل بلادنا فلا بد من ان يكون روحنا الهادي مناقضاً لنزعة السطو والبسطة في الخارج . وقد مضى على الشعب الياباني ، عائشاً في ظل حكومة الامبراطورة ، القائمة على هذا الروح ، نحو الفي سنة ولكن في العقود الاخيرة تقلقلت افكارنا ، متأثرة بمثل الغرب ، وأخذ بعض شعبنا يميل الى نسيان الاغراض السامية التي وضعها

أجدادنا . فأنا لا أمثل خطة خاصة بي . بل أدعو الى العودة الى عاداتنا ومثلنا القديمة

الصحفي — لقد بينت في كتابك الذي جعلت عنوانه « رسالة اليابان » ان كل آسيا تقريباً ما عدا اليابان : إما مضمحلة فيها الفوضى او هي محكومة من سلالات اجنبية وقلت ان « رسالة اليابان القومية هي رسالة بناء وفسرتها بقول الحكيم : اقيموا هذه الارض الطافية على اساس مستقر » فهل هذا يعني انه من الواجب على اليابان ان تعيد النظام الى اصقاعه في بلاد الصين ؟ »

الجنرال — لما استعمل ذلك الحكيم الالهي الكلمات التي اشرت اليها كان ينادي اليابانيين الى جعل اليابان بلاد نظام وسلام . وانك ولاشك تقر باننا حاولنا ، ان نحول الفوضى في بلادنا الى نظام. فاذا كنا نستطيع ان نمد يد المعونة الى الصين او الى اي بلاد غيرها حيث الانسانية تتألم وحيث الناس يقتلون بعضهم بعضاً ، فالواجب علينا يقضي بأن نفعل ذلك . ان مثلنا الاعلى النهائي هو سلام العالم ، قائماً على العدل والرحمة . وأود ان تفهم ، اننا في سبيل الوصول الى هذا الغرض انتظمنا في جمعية الامم

الصحفي — ان منشوريا بلاد شاسعة مترامية الاطراف ، يقطنها نحو اربعة ملايين من السكان في مليون ميل مربع من الارض . فهل تعني يا حضرة الجنرال ان اليابان تستطيع ان تجد في هذه البلاد سعة لسكانها المائتين ، من دون ان تعتدي او تسطو على احد ؟

الجنرال — لنتوع الانساني الحق ان يعيش على وجه الارض فلنفرض ان السكان في بلاد ما كانوا قلالاً اذا قيسوا بمساحة البلاد وغنى مواردها الطبيعية . ولنفرض ان السكان في بلاد اخرى كانوا كثاراً جداً اذا قيسوا بمساحة البلاد وضآلة مواردها الطبيعية . وان البلاد الاولى تقفل في وجه سكان البلاد الاخرى الباب وتمنع تبادل البضائع بالحواجز العالية . افلا يكون هذا العمل حداً لحرية الحياة وانطلاقها . وهل يمكن تحقيق السلام العام ، والرخاء العام بهذه الوسائل ؟

أنا لا اعتقد ان السلام يمكن ان يعزز ، بالاحتفاظ بالحالة الراهنة بين الامم . فالعالم ليس شيئاً مستقراً ، والامة اليابانية ، مثل سائر الامم ، لها الحق في ان تسعى الى الفردوس على الارض على أني اشارك الاقتصاديين في ان الهجرة لا تحل مشكلة زيادة السكان . فنحن نطلب ميداناً حيث نستطيع ان ننمو نمواً طبيعياً بمقتضى القواعد العلمية (وهذه اشارة لاريب فيها الى منشوريا)

الصحفي — ان الصين في حالة يرثى لها من الفوضى ، وتضعضع أسباب النظام . فاذا سلمنا ان على الدول جانباً كبيراً من التبعة في مساعدة جاراتها ، أفلا تكون رسالة اليابان في الصين ان تخرج بها من الفوضى الى النظام

الجنرال — ان السلام في الشرق الاقصى يجب ان يقوم على وحدة الصين القومية ، وعلى تعاون اليابان والصين ، وقد كان هدف سياستنا الخارجية من ايام الميجي (١٨٦٠ و١٩١٢) العمل على ترقية الصين والتعاون بين الصين واليابان ، وحتى الآن لم نلق جزاء لنا على صنيعنا . والصينيون من

دون تفكير وتروّ في اعمالهم ، هبطوا بالصين الى الدرك الاسفل من الفوضى ، ونحن جيران الصين نأسف اشد الاسف على هذه الحال السائدة هناك ، ولكننا لن نيأس ولن يدب القنوط الى نفوسنا ، وسوف لا نضن بجهد لمساعدة الصين على توطيد الامن والنظام في ربوعها

الصحفي — وكيف تعيدون الصداقة بين اليابان والصين ؟

الجنرال — إن وجود الامة الصينية ووجود الامة اليابانية يجب ان يكون وجوداً مستقلاً فالامتان ليستا خصمين ولا متنافسين . والصلة بينهما يجب ان تكون وثيقة كصلة العجلة بمحورها . يجب ان يتقدما معاً والاّ فانهما يتألمان معاً . وقد عكر صفو الصلات الودية بينهما ، أن رجال السياسة وامراء الحرب في الصين مكبّون على نزاعاتهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ولا يعنون حقيقةً بالواجب الوطني وهو تعزيز بناء النظام في انحاء البلاد وإقامته على اساس راسخ

والاساس الذي تقوم عليه صداقة الصين واليابان يقتضي ان يتجه الضمير الوطني المستيقظ في الصين الى الحق والعدل . ويجب على الصين ان تتخلى عن خطتها القديمة باثارة دولة ضد اخرى . فاذا ادرك الصينيون مصلحتهم الحقيقية واتجهوا الى عمل البناء والتشييد ، صفت في الحال صلاتنا بهم مما يشوبها فنستطيع ان نتعاون حينئذٍ معاً على تعزيز السلام في الشرق الاقصى

الصحفي — في جزائر الفيليبين ١٢ مليوناً من السكان . ويظن المستر هوفر ان جزائر الفيليبين تتسع لستين مليوناً . فهل تقول ان اليابانيين وبلادهم شديدة الازدحام يهم بحثٌ لهم ان يهاجروا الى الفيليبين

الجنرال — الشعب الياباني شعب مجتهد . منظم . امين . فنحن ندعي اننا نصلح من الناحيتين الجسدية والعقلية ، للهاجرة الى الفيليبين ، بل والى اي بلاد من بلدان العالم ، اذا وازنت بيننا وبين سائر الامم . واننا نحن لا نريد ان نكون ضيوفاً ثقالاً غير مدعوين . بل نطلب ان نعامل بمعاملة خالية من التحزب والظلم ، ونحن نأمل من البلدان غير المزدحمة بالسكان التي ترضى ان ندخلها على قدم من المساواة والحرية ، أن تفتح لنا صدرها في اول فرصة

الصحفي — وما مقام الجيش الياباني في الدولة ؟ ألا يصح ان نقول ان الجيش في اليابان ليس اداة من ادوات الحكومة ، وانما هو الابن الاكبر في الاسرة القومية — اي الامة اليابانية ؟ وقد يكون الواجب على الابن الاكبر احياناً ان يتصرف في الاحوال الاستثنائية تصرفاً تقتضيه الاحوال ويمليه عليه عقله وضميره ، فيكون في تصرفه هذا نائباً عن الاسرة ؟ أكانت هذه الروح روح الجيش اذ تقلد زمامة المغامرة المنشورية ؟

الجنرال — ان الواجب على الجيش الامبراطوري محاربة الشيطان بفضيلة الشجاعة الممثلة في السيف ، وهو احد كنوزنا المقدسة الثلاثة ، فالجيش ليس اداة في يد الحكومة ، ولا هو الابن الاكبر في الاسرة القومية ، انما هو جانب من الفضائل العظيمة التي يتصف بها الامبراطور ، اي العدل والرحمة والشجاعة . فهو في الواقع ينفذ مشيئة الامبراطور

فلما تقلد الجيش الزعامة في منشوريا لم يكن الجيش الا سيف الامة ، والمعبر جميع في افعاله عن مشيئتها ، فقوة البلاد وعزمها على توطيد السلام الدائم في الشرق الاقصى — كل ذلك يبدو في الجيش الياباني في منشوريا

الصحفي — هل يقبل الجيش اوامر الحكومة المدنية ، او يدعي الحق في تقرير الخطط السياسية في بعض الامور

الجنرال — ليس على الجيش من واجب الا الدفاع عن البلاد ، واظهار الهيبة الامبراطورية . فقيادته العليا في يدي الامبراطور . ومقامه في الدولة يختلف عن مقام الجيوش في الدول الاخرى التي تنفذ اغراض الحكومات القائمة . فالجيش الياباني يتصرف في صغائر الامور او كبائرها ، اذا وجب اظهار الارادة الامبراطورية و « الاودو » اي رغبة الامبراطور . فمن البداهة ان يشترك الجيش في تقرير السياسة الوطنية في ما يتعلق بالدفاع

الصحفي — اتعتقد ان الجيش يجب ان يظل مبتعداً عن السياسة ، واذا فسد السياسيون وأصبحوا مرتكبين ، وعرضوا الامة ، بحكومتها الفاسدة الى الخطر ، فهل يظل من الواجب على الجيش ان يقف مترفعاً عن الشؤون السياسية

الجنرال — لا يمكن للجيش ان يظل مترفعاً عن سياسة تنطوي على الارتكاب والفساد ، ولا يسعه ان يسكت عن انتشار الآراء الخفيفة والمتطرفة . ولكن الجيش لا يتحرك الا بأمر الامبراطور ، ورئيس اركان الحرب مستشار الامبراطور في ذلك

الصحفي — سمعنا كثيراً في السنة الماضية عن اثر « الضباط الاحداث » في السياسة ، ونحن لا نستطيع ان نفهم كيف يؤذن للضباط وخصوصاً الشبان منهم ، ان يتدخلوا في الشؤون السياسية. فهل تستطيع ان تفسر لي كيف فازوا بهذا النفوذ في الجيش الياباني

الجنرال — الضباط الشبان هم زهرة الجيش الامبراطوري وذخره . ان شجاعتهم في منشوريا وشنغهاي تبعث على الدهشة . على ان الجنود اليابانيين لا يسمح لهم ان يتدخلوا في الشؤون السياسية وانما ينظرون الى الامبراطور كزعيمهم الاعلى هم جنود الامة وحراسها . والجيش وحدة . والضباط الشبان ليسوا طبقة فيه منفصلة عن الطبقات الاخرى . ولكنهم لشبابهم وشجاعتهم يسترعون عناية الناس اكثر مما يسترعيها غيرهم

الصحفي — ان العالم يعجب بنظام الجيش الياباني ، لذلك صدم الناس صدمة عنيفة لما سمعوا ان ضباطاً لابسين البذلة الجندية الامبراطورية قتلوا رئيس الوزراء اينوكاي

الجنرال — عمل فظيع ! ولكن يجب ألا تحكم على الاقليم بالاعاصير والعواصف التي تثور احياناً . فلا تحكم على الجيش الياباني بهذه الحادثة التي اسفنا لها جميعنا اسفاً عظيما

ستانلي بولدون

السياسة بين الذكاء والخلق

رجل في السابعة والستين ، ربعة القوام حليق العارضين والشاربين ، ازرق العينين اسمر البشرة ، يرتدي من الملابس ابسطها الى حد الرثاثة ، وفي يده او فمه غليون لا يكاد يفارقه

هذا هو بولدون في مظهره الخارجي . بولدون الذي تقلد رآسة الوزارة البريطانية مرتين وزعامة المحافظين من يوم تخلى عنها بونارلو قبيل وفاته من نحو اثنتي عشرة سنة . هذا هو الرجل الذي ألقى على كتفيه وشاح دزرائيلي وسالسبري وروزبري وبلفور . تراه وهو يدخن غليونه فتحسبه من عامة الشعب او رئيساً من رؤساء نقابات العمال لا زعيم المحافظين البريطانيين

وقد تخطئه عند النظرة الاولى ، فشكله اقرب الى شكل مقاول معماري منه الى اي شيء آخر . ولا يصعب عليك ان تتصوره واقفاً على الجدار وحواليه العمال على السقالة ، وفي اذنيه رنين المطارق وفي جيبه لفة بارزة هي رسوم المهندس . قد لا يوافق هذا المقاول المهندس في كل ما رسم وصمم ولكنه يمضي في عمله من دون ان يبدي اعتراضاً ، لان الاعتراض على تصميمات المهندس ليس من شأن المقاول

على ان النظرة الاولى كثيراً ما تخطىء ، لان وراء سكون المستر بولدون وهدوئه صفات عظيمة هي زينة الصفات التي يمتاز بها المشتغلون بالسياسة ، نعني حسن التقدير ورحابة الصدر . والواقع ان هذا « المقاول » السياسي مزيج انكليزي عجيب من السري والمتسرل الصناعي في ناحية ، والخيالي والشاعر في اخرى . فيه تلتقي النزعتان الواقعية ، وقد تلقاها من اشتغال اسرته بصناعة الحديد ، والرمانطيقية وقد اخذها من ناحية والدته . اليس رديرد كبلنغ الشاعر والروائي ابن خالته ؟ او لم يقل كبلنغ في بولدون « انهُ اديب اسرتنا » ؟ وهاتان النزعتان تخرجان منهُ رجلاً يمثل الطبع البريطاني الاصيل اصدق تمثيل

***

يختلف بولدون عن اكثر الزعماء المحافظين الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في انهُ اتى السياسة من ناحية الصناعة . ولا يخفى ان اتجاه حياة الامم القومية والدولية الى العناية بمشكلات الاقتصاد والصناعة والنقد والتبادل والعمل والعمال ، يفسح في الصفوف المتقدمة من الاحزاب السياسية مكاناً خاصاً لهذا الطراز من الزعماء

ولكنّ بولدوين يختلف عن زملائهِ من رجال السياسة حتى الناشيء منهم في الاوساط الصناعية في انهُ لا يجري على المعهود المألوف من اصول التفكير السياسي. فأيّ سياسيّ يفكر تفكيراً سياسيًّا بالمعنى المألوف يبيح خزينة دولته خمس ثروته الكبيرة ، ثم يرفض ان يذاع ذلك عنهُ. ولو لم يعرف خبر هبتهِ اتفاقاً لظلّ اسم بولدوين واهبها مطويًّا عن السواد من الناس لا يعرفهُ الاّ احصاء الخزينة . انهُ فعل ذلك وهو يأمل ان يقتدي بهِ اثرياء الامة الانكليزية فيمحوا بهباتهم للخزينة الف مليون جنيه من ديون انكلترا . وهذا في الواقع عمل شاعر اكثر منهُ عمل سياسيّ

بل اي سياسيّ يقدم ، وهو في مستهلّ حياتهِ العامة ، على القاء خطبة يقاوم بها لويد جورج وصحبهُ امثال بركنهد وتشرشل وتشمبرلين وهم سادة بريطانيا حينئذٍ — ١٩٢٢ — واصحاب الحول والطول فيها ، بل يقاوم بها السواد من حزبهِ ، حزب المحافظين ، طالباً انفصالهم عن الوزارة الائتلافية القائمة حينئذٍ . كان من الممكن ان يفضي هذا الخطاب الى اخفاقهِ في ما طلب ، فيُقضى على آماله السياسية في مهدها ، ولكن المستر بونارلو ايّدهُ ، وخرج من عزلتهِ رغم مرضهِ ، لتقلّد زعامة الحزب ، فهوى لويد جورج من ذروة مجدهِ ، وتفرّق ائتلافهُ ايدي سبا

***

والواقع ان ارتفاع بولدوين من مقعدٍ خلفيّ في مجلس النواب البريطاني ، الى اعلى منصب في البلاد سوف يبقى من اخفى خفايا السياسة البريطانية في السنوات التي تلت الحرب الكبرى . وهذا القول يذكرنا برسم كاريكاتوري رسمهُ الرسّام بيربوم مثّل فيهِ بولدوين الفتى واقفاً امام بولدوين الكهل وهو يقول لهُ دهشاً : — « أنت رئيس وزارة ! يا الهي ! »

***

ولد في سنة ١٨٦٧ وتلقى العلم في جامعة كمبردج وتولى أعمال ابيهِ الصناعية نحو عشرين سنة ثم انتخب عضواً في البرلمان البريطاني سنة ١٩٠٨ فخطب خطبته الاولى فيهِ في موضوع يفهمهُ أدقّ الفهم وهو « مناجم الفحم » . ولكنه ظلّ على القواعد الخلفية ، أي من النواب الذين لا شأن لهم ، حتى كانت سنة ١٩١٦ فعين سكرتيراً لبونارلو ، ومن ثمّ تقلّب في المناصب حتى عين وزيراً للمالية سنة ١٩٢٢ في وزارة بونارلو — بعد سقوط لويد جورج — وعقد مع الولايات المتحدة الاميركية تسوية على الدين الاميركي البريطاني . وبعد وفاة بونارلو تقلد زعامة المحافظين وما يزال زعيمهم مع أن فريقاً منهم حاول أن يتحدى زعامتهُ في موقف الحزب نحو مشكلة الهند طالباً تغليب النزعة الامبراطورية الاستعمارية على نظام الحكم فيها . ولكنه ردّهم خاسرين واحتفظ بزعامة الحزب ووحدتهِ كذلك . وقد رأس الوزارة مرتين . وينتظر أن يتولى رآسة الوزارة القادمة اذا كانت الاكثرية للمحافظين وهو الغالب

والمرجح ان سرّ المقام الذي احرزهُ والثقة التي فاز بها ، ان أبناء قومهِ يعلمون انهُ لا يسعى

وراء مصلحة مالية او نفع خاص . وكثيراً ما يشبهونهُ في ذلك بوزيرهم العظيم وليم بتّ . كان بت فقيراً فلما عرض عليهِ منصب ذو مرتب كبير رفضهُ ، فأثبت لاهل وطنهِ ان نزاهة ليس نعتهُ . أما بولدوين فغني ، ومع ذلك لم يتعذر عليهِ أن يقيم الدليل على تجرده عن طلب المصلحة الخاصة في خدمة بلاده فتخلى سرًّا سنة ١٩١٩ عن ١٥٠ الفاً من الجنيهات للخزينة ولم تعرف هذه الحقيقة الاّ اتفاقاً

***

وكأننا اذا تأملنا في مكانة بولدوين بين ساسة بلادهِ نراه دخيلاً على السياسة ، اقتحمها من دائرة بعيدة عن السياسة ، ليست هي دائرة الصناعة فحسب ، بل اذا أنت تأملتهُ وهو داخل البرلمان ظننت انهُ قادم من جولة في الريف ، بندقيتهُ في كتفهِ وغليونهُ بين شفتيهِ ، فلما اقبل على قصر وستمنستر ترك بندقيتهُ وغليونهُ في حجرة « الفستير » ومشى بملابسهِ البسيطة الى مكان الاجتماع كأقل النواب شأناً لولا انهُ زعيم المحافظين

اقتحم ميدان السياسة من قبل ، وجالٌ أتوها من الخارج . فبلفور جاءها من عالم الفكر الفلسفي ، وغراي من عالم الطيور ، بل يقال أن بلفور كان ينظر الى شؤون السياسة ، كأنهُ بطلٌ عليها من المريخ . وان غراي فلما حضر جلسة من جلسات مجلس النواب الاّ واسرع بعدها الى حدائقهِ في « صري » ليعنى بدراسة الطيور وضبائمها العجيبة . ولعلّ كتابهُ فيها أبقى على الزمن من سيرة حياتهِ السياسة الموسومة « خمس وعشرون سنة »

ولكن بولدوين دخل حلبة السياسة من ناحية الريف ، حيث يحبُّ التجوّل والتحدّث الى الفلاّحين والعمال ، كأنهُ جارهم وخدنهم ، فيستمدُّ من أحاديثهِ هذه الافكار والآراء العملية التي يبني عليها خططهُ السياسية . وهذا من جانبهِ — مع انهُ خريج جامعة كمبردج وصاحب المصانع الكبيرة — طبيعيٌّ لا كلفة فيهِ . ذلك انهُ من طبقة الحكام الذين ينظرون الى الصلة بين طبقتهم وطبقة العمال على انها صلة عائلية ، تهمهُ بنوع خاص ، ويوجه اليها عنايتهُ ، ولا يعرف معنى لكلمة الاحتقار فيما يختصُّ بها

بل انهُ لا يفهم القول بالعداء بين الرأسمال والعمل . فالصناعة في رأيهِ عمل عائلي ، يدار بإشراف رب العائلة . فلا العامل يطرد منهُ بوجه من الوجوه ، ولا يضرب فيهِ عاملٌ عن العمل ، بل انهُ يكره لفظة مستأجَر ، ويقول ان علماء الاقتصاد يخترعون لنا الفاظاً محجة منها هذا اللفظ . فهو في انكلترا التي خرجت من الحرب الكبرى ، يمثل « جون بول » بفضائله ونقائصه ، بأمانته واستقامته وحسن معاملته وبراخيه وضعف خياله

***

ولعل مؤرخي المستقبل اذا جاءوا يكتبون سيرة بلدوين ، حكموا بأنهُ امتاز بتلك الصفات العالية التي تنبع من القلب وتسند الى الشعور ، دون الصفات التي مردّها الى الذكاء والعقل . فلم يعرف في

ميدان السياسة البريطانية رجل اكثر تجرداً منه عن المصلحة الخاصة ولا اكثر بذلا في خدمة الدولة

ولكن الناس يختلفون في المقابلة بين الذكاء المتوقد والخلق الطيب وأيهما في الحياة العامة . وكل ما يمكن ان يقال في هذا الموضوع يلخص في كلمتين : كان الاجتماع الذي اشرنا اليه في مطلع المقال لما ثار بلدوين وبونارلو على وزارة لويد جورج الائتلافية سنة ١٩٢٢ ، وكان ان بلدوين وبونارلو تمكنا من الفوز بتأييد صفوف المحافظين لهما فتنبأ تركهند وهو من اعضاء الوزارة ومن اشد الانكليز ذكاء بأن البلاد تسعى الى حتفها اذ تتخلى عن ادمغتها التي من الطبقة الاولى . فرد عليه اللورد دوبرت سسن في الحال وكان في الرد فصل الخطاب : « ان الادمغة التي من الطبقة الثانية تفضل على الاخلاق التي من الطبقة الثانية »

وفي هذه الجملة يلخص موقف الانكليز نحو كبار رجالهم . انهم لا يؤمنون بمجرد الذكاء والتوقد والالمعية ، ولا يمنحون ثقتهم في الغالب الا لصاحب الخلق المتين

***

على ان الاخلاق والذكاء لا يجديان السياسي الا اذا كان ذا مقدرة على الاقناع بفكرة معينة واكتساح كل شيء في سبيل تحقيقها . وما عرف عن بلدوين حتى الآن ، يشير الى انه مقصر في هذه الناحية ، لان نزعة الشاعر تتغلب عليه احياناً ، فيميل الى التراخي . ولعل الطبقة التي نشأ فيها أثراً في ذلك . فرجل مثل المستر مكدونلد نشأ من الحضيض ، كان مضطراً في خلال حياة الكفاح ان يعتاض بزوجته عن سكرتير له ، فهو بحكم نشأته يهتم بتفاصيل كل شيء . ولكن المستر بلدوين الذي قضى عشرين سنة ، مديراً لاعمال صناعية كبيرة قبل ان يخوض ميدان الحياة العامة ، لم يعن في حياته قط بالتفاصيل ، فهو لا يهتم بها في منصب زعامة المحافظين فيكتفي بأن ينظر في المسائل السياسية الكبرى التي لها صلة بخطة الحزب . وقد يستطيع ان يعود المستر بلدوين ، رجلاً قوي الشعور مضطرم الاحساس كأنهُ صليبيٌّ يكافح في سبيل عقيدة ، أو قد يصبح صاحب خطة معينة غير مفككة ، ولكنهُ لا يستطيع أن يوضع في مصاف الكبار من رجال السياسة ، الا اذا ملك القوة المكتسحة التي تمكنهُ من تحويل خطة سياسية ملتوية الجوانب ، الى حرب صليبية في سبيل الاغراض العليا

قد يجيء ذلك اليوم ، فيخرج بالحزب من سياته الحالي ، لانهُ لما حاول بعض خصومه أن يحلوا عليه مشيئتهم وجدوا فيهِ خصماً عنيداً يستطيع أن يتلقى الضربات ويكيلها أشد مما يتلقاها . ولكن ما لم يخرج « بولدون » جديد شديد الحماسة قوي الكفاح ، يعنى بمشكلات البلاد العامة ، أكثر من عنايته بمشكلات الحزب ، يظلُّ مكانه في تاريخ بريطانيا السياسي متراوحاً بين النجاح والخيبة . قد تخلقه أيام الضيق التي تجتازها بريطانيا خلقاً جديداً ، ومن دون انتظار ، وإلا فلا بدَّ من أن يخلي مكان الزعامة لغيره أو انتزعت الزعامة من الحزب بأسره

المساكين

[مختارات من قصيدة لفيكتور هوغو — وقد احتفل بانقضاء نصف قرن على وفاته — تقص علينا قصة رجل من الصيادين مضى كعادته الى البحر يصطاد ليحمل الى عياله القوت . وبينما كان يصاول اهاويل اليم ويناضح عاصف الريح، كانت امرأته تأوي الى كوخها طفلين خلفا لها من المساكين ماتت بالليل عنهما ، فتبوؤهما فراشاً وثيراً ما وجد الصاليك فراشاً وثيراً . ثم جعلت ترقب أوبة بعلها وجلة تساورها الهواجس تسأل نفسها ماذا عسى يكون رأيه في صنيعها هذا]

مناجاة الشاعر لنساء الصيادين

وارحتاه لكنّ يا نساء الصيادين ! ما افظع ان تناجيني تقولين : « هناك ارواح لي . أب ، حبيب ، اخوة ، ولد ، كل عزيز عندي ، هناك في هذه الفوضى ! — قلبي ، دمي ، جوارحي » . يا لله ! ان من كان فريسة الامواج كان فريسة الوحوش . يا ويلتا ! إذ نتصور ان جسم هذه الرؤوس يلهو بها اليمّ ويلعب ، من الولد الذي يتعلم الملاحة الى الزوج المعلم ، وأن الريح الهوجاء الناتفة في ابواقها قد ارسلت من فوق رؤوسهم شعورها المفدودنة [1] المتشعثة . وان تظل دائماً لا تعلم تمام العلم ما هم يفعلون ، وانهم ، اذ يصاولون ذا الخضمّ الذي لا قرار له ، وكل مهلكات الظلام حيث لا نجم فيها يضيء ، لا يجدون سوى حزة [2] لوح وقطعة قماش ! همّ بئس ! تنطلق بين الجادل ، ويقبل المدّ فتخاطبهُ وتصرخ في وجههِ : « ويلك ردهم الينا ! » ولكن وا أسفا ! ماذا عسى يقول بحر لا يبرح ملتطماً ، لذي بال لا يبرح في هم وحسرة ؟

وحنة ايضاً اشد حزناً وكمداً . إن بعلها لوحيد ! وحيد في هذا الليل الأليل ! وحيد تحت هذا الستار الاسود ! لا ولي ولا نصير . انما الاولاد جد صغار — ايتها الام ! انك تقولين : « ليتهم كانوا كباراً ! ان ابانا لوحيد ! » اوهام واضاليل ! غداً حين يمسون بجانب ابيهم وينطلقون تقولين باكية : « ويلاه ! ياليتهم كانوا صغاراً ! »

في بيت الجارة المينة

فولجتْ . واضاءة داخل البيت سراجُها . بيت مظلم لا تسمع فيهِ ركزاً [3] ولا نبأة [4] عند شاطىء الامواج القاصفة قد ثوى [5] وكان الماء من السقف يسيل ، كأنما من عيون قربال يسيل

(١) الطويل الناعم (٢) قطعة (٣) الصوت الخفي (٤) الصوت ليس بالشديد (٥) اقام

في الصدر كان سواد يبعث الهلع مستلقياً . امرأة ساجية[1] مستقبلة والقدم منها عارية بصر مطفوء ، وهيئة مرعبة هائلة . جثة ، — من قبل أم مرحة شديدة ؟ — شبح ذات بؤس هتكت محلولة الشعر . ما يبقى من المسكين بعد طول عراك وجهاد ، وكانت قد تدلت منها بين قش الفراش البالي ذراع صفراء باردة . ويد يعلوها اخضرار : وكان الدُّعر جاثماً بين هذا الفم المفهق[2] الذي كانت الروح ، وهي مولية منهُ حسرى كئيبة ، قد صرخت صرخة الموت الكبرى التي تسمعها الابدية !

بجانب الفراش الذي كانت الام فيه منطرحة ، كان طفلان جد صغيرين ، ذكر وانثى ، في مهد واحد نائمين يبتسمان ، وكانت امهما ، إذ احست بدنو الموت ، قد القت على ارجلها إتبها[3] وعلى بدنها ثوبها ، لكي لا يشعرا ، ساعة الاحتضار اذ الموت يفتاشنا[4] بالحرارة تفترُ ، وليجدا الدفء بينما هي تبرد

***

ما أشد نومهما في مهدهما الذي يضطرب ! انفاس هادئة واسارير وجه راقدة ، وكأن لا شيء يوقظ هذين اليتيمين النائمين ، حتى نفخ الصور في يوم البعث ، اذ ، وهما الطاهران ، لا يخافان الحساب ولا الديان

والقطر في الخارج كالطوفان يهدر وينهمر . ومن السقف العتيق المهتك الذي تنبعث منهُ الريح ، تقع أحياناً على هذا الوجه الميت قطرة تسيل منهُ على الخدين فتستحيل عبرة ودمعة . والموج له دويٌّ كدوي جرس الاستغاثة ، والميتة مصغية الى الموت لا تفقه ! إذ كأن البدن ، حين تزايله الروح للشرقة ، ينشدُ الروح وينادي ملكه ، وكأنما تسمعُ هذا الحوار العجيب بين الفم الذي ذبُل والعين الزائغة : ما صنعت باقماسك ؟ — وانتِ ببصرك ؟

يا أسفا ! احبوا ، واحيوا حياتكم ، واقطفوا زهر الربيع ، وارقصوا ، واضحكوا واحرقوا قلوبكم ، واجرعوا كؤوسكم ، فكما الى البحر الخضم غاية كل نهر ، كذلك كتب القدرُ أن غاية الولية ، والمهد ، والامهات الوالهات بأطفالهن النشء الصغار ، وقبلات البدن التي تبهتُ النفسَ وتُذهلها ، والاغاني ، والابتسامة ، وجديد الحب وحلوه ، غاية كل اولئك برودة الجدث المحزنة !

(١) ساكنة (٢) المفتوح الواسع (٣) قميص المرأة او ثوب لها بلا اكمام (٤) افتاش . تناول اختطف

فكتور هوجو الى عمانه

Victor Hugo

(١٨٠٢ — ١٨٨٥)

المستر لورنس بنيون

Laurence Binyon

وقد صورت في حديقة منزله الريفي باتجلترا

فُتح الباب بغتة على المصراعين يصرُّ صريره فولج منهُ الى الكوخ شعاع أبيض وبدا الصياد على العتبة جذلان يجر شبكة تنضح بالماء وقال : « هـذه هي الملاحة ! وقالت حنة : أو أنت ! » وطافت بلهفة بعلها ولمحت رداءه لمحة الوله بينما كان الملاح يقول : « هاءنذا يا امرأتي ! » فترى منهُ على جبينه الذي كان أمون النار يلتي عليهِ نوره ، قلبه الطيب الراضي الذي تلقي عليهِ حنة نورها. وقال : «لقد سُلِمت وضاع كدحي . انما البحر غاية — وكيف كان الجو ؟ — عاصفاً شديداً — والصيد ؟ — خاسراً رديئاً ولكن هاءنذا معانقُك وتقرُّ عيني . ما أصبت وشلا . لقد تخرقت شبكتي. لقد كان الشيطان رابضاً من وراء الريح التي كانت تهدر. يا لها ليلة ! لقد ظننت لحظة مع كل هـذا القصيف والعجيج ان السفينة تضطجع وان المرسى قد انقطع . وما صنعتِ أنت خلال ذلك ؟ »

فعرتْ حنةَ في الظلام هزة واضطربت وقالت : «أنا ؟ عمر الله ، لا شيء خطتُ كالعادة ، وكنت اسمع البحر كالرعد وكنت خائفة — أجل ، ان الشتاء كلب شديد ولكن سيان» . حينئذٍ قالت ترتجف كحال من يركبون المعصية : « والحديث ذو شجون ، ان جارتنا قد ماتت . أمس قضت نحبها . وبعد ، فسيان وانا اذ مضيت أنت عشاء ، تركت هي طفليها ، وانهما لصغيران يدعى أحدهما غليوم والثاني مادلين. واحد لا يمشي والآخر لا يكاد يتكلم. لقد كانت المسكينة الطيبة فقيرة عاوزة . »

فاتخذ بعلها هيئة الجد،والتي في أحد الازكان فلنسوة مكدود شقي بلّلها الإعصار وقال وهو يحك رأسهُ : «يا عجباً ! يا عجباً ! لقد كنا بخمسة أطفال فهاهم سبعة . لقد كنا من قبل في هـذا الفصل الرديء العاتي نتجاوز عن العشاء أحياناً ، فكيف بنا الآن ؟ ... انهما والله لصغيران ! لا يمكن ان يقال لها : اشتغلا . يا امرأة هلمي فأتي بهما . لئن كانا قد استيقظا فلا بد يخافان مع الميتة وحدها . ها هي امهما تقرع بابنا فلنفتح للطفلين . إنا نخلطهم جميعهم معاً وكل مساء ينشيان بمحجورتنا وسيعيشان معاً ويكونان أخاً وأختاً للخمسة الآخرين . . . . وأشرب انا الماء صرفاً واضاعف جهدي وكدي. قضي الامر . هلمي فاحضريهما. ولكن ما بك ؟ أساءك هذا ؟ عادتك في مثل هذا الاعجال والمبادرة .

فقالت وقد شقّت عن الاستار . انظر . ها ها !

(١)

الفتاة الاجنبية

[يعنى صديقنا الدكتور بشر فارس الآن بدراسة اللغة الالمانية وآدابها في برلين. وهذه القطعة من بواكير ما نقله عن الشعر الالماني وهي لشاعر الماني الايتدائي غير (١٧٦٩ — ١٨٥٠)]

في غُرّةِ كل سنة ، أوّلَ ما تصفرّ القناير ، كانت فتاة جميلة فتّانة تبرز في وادٍ الى رعاةٍ مُقيلين

لم يكن الوادي مَسْتَنَط رأسها ، ولم يَدْرِ أحد مأتاها ، وكانت متى انصرفت عفا أثرها

السعادة كانت بين يَدَيها ، فما انفكّت القلوب تفرح بها ، غير أن جلالةً لها ، من الطَرْفِ والكفّ ، جعلت تصونها

كانت تأتي بأزهارٍ وفواكه : هذه نضجت وتلك تَفَتَّحت في قرى أخر ، في أقاليم أخرى ، عند طبيعةٍ أوفرَ حظًّا

كانت تصل الرعاة واحداً واحداً : فتنيلُ هذا فاكهة وتَهبُ ذاك زَهْراً . فكان كلّهم — فتاهم وشيخُهم المتوكىء — ينطلق الى داره وبين يديه تحفة

وكانت ترحب بالضيف جميعهم . الاّ أن عاشقَيْن دَنَوا منها ، فنحتهما الطفَ الهدايا إذ جادت لهما بأتمّ الازاهر حُسْناً

المدعة

[نقل هذه القصيدة من الادب البرتغالي الاديب الياس زعرور ونشرتها مجلة « العصبة » التي يصدرها في سان بولو الكاتب المعروف حبيب مسعود ويعاونه فيها طائفة من أكبر ادباء العربية في البرازيل]

في صباح يوم من ايام الربيع الدافئة ، ذرفت مقلة الفجر دمعة صافية ، اصابت ورقة من تينة يابسة على جانب طريق موحش في سبسب مقفر . دمعة نقية متلألئة تظهر للقريب كماسة براقة وللبعيد كنجمة لماعة

(١) Das Maedchen aus Jer Fremde ، وبها يرمز الشاعر الى الشعر نفسه .

مرّ بها ملك يحف به الجند والاتباع ، فقال وقد راقه منها ذلك الاشعاع ، إن في تاجي من الجواهر ما لا يثمن ، وفيه من لآلىء الشرق الساحرة ما يزري بدموع غوان صورها الحب الدفين . ولكني أتحلى عنها كلها مسروراً لو يتاح لي ان اعتاض منها بهذه الدرة اليتيمة لاجعلها شعاراً لملكي العظيم ومجدي الاثيل

سمعت الدمعة السماوية ما قال الملك وظلت صامتة ولم تحفل بتاجه ودرره

ومرّ بها صليبي مدجج بسلاحه وعلى جسمه درع ذهبية الزرد فقال وحق الصليب المقدس لا يليق بدرة كهذه الاّ مقبض حسامي فأسير بها في ساحات الجهاد من نصر الى نصر حبًّا بفادي الانام ومتى رجعت اجعلها قلادة في عنق حبيبتي فتكرن عوذتي في جهاد الحروب ونصيري في امتلاك القلوب

سمعت الدمعة السماوية ما قال الصليبي وظلت صامتة يمنعها الرجاء ولم تعبأ بوعوده وعظمته

ومر بها يهودي شيخ بقافلة تحمل ما خفّ وغلا من الكنوز فصاح يا لاسرائيل ما كنت احسد ملكاً على ما حشد من اموال ولا بحراً على ما حوى من لآلىء ولكني تجاه هذه الدرة الفريدة ارى يديّ الشحيحتين تجودان ولا اسف بكل ما املك من كنوز وتحف

سمعت الدمعة السماوية ما قال اليهودي ولم تأبه لكنوزه وتحفه

وكان تحت التينة عوسجة صغيرة ذاوية تشرئب مدلة بحقها من رحمة الله فقالت تعالي ايتها الدمعة السماوية دوّي جفاف ربي بحق الاله فكلما ضرعت اليه تزيدني شمسه جفافاً وانا بين الصخور لم اسمع زقزقة العصافير ولا لامست نعومة الاعشاش اغصاني اذ لا غصن لي يجثم عليه العندليب ولا ظلّ لي يؤمه بحبيبه الحبيب فأغيثيني ايتها القطرة السحرية ان لي بك غنى عن كل مال

سمعت الدمعة السماوية ما قالت العوسجة فاختلجت وسقطت منعمة صامتة

وبعد قليل من الزمن رأى الناس معجبين ان الحياة قد عادت الى تلك العوسجة الذاوية فأورقت وأزهرت زهوراً كجراح المصلوب وجاء النحل يمتص الشهد منها كما يجتنيه من ازهى الورود

الخريف

للفونس دي لامرتين

[نقلها عن الفرنسية : جورجي نصيف بقولاوس]

سلاماً أيتها الغابة ، المتوّجة ببقية من الخُضْرة ، سلاماً أيتها الاوراق الصفر المبعثرة على العشب ، سلاماً أيتها الايام الأخيرة ذات الروعة والبهاء ، فحُزنُ الطبيعة يحلو في نظري ، ويتردّد صداه في جوّ أحزاني

اني لاسلك ممرّ الغابة الموحش مفكّراً مهموماً ، ويحسن في قلبي ، ان أرى للمرة الأخيرة ، هذه الشمس الشاحبة ، وضياؤها الضعيف لا يكاد يخترق ، تحت قدميّ ، ظلام الغابة

أجَلْ ، في أيام الخريف هذه ، حيث تقضي الطبيعة نحبها ، أجد في نظراتها المحتجبة بهاء وجمالاً ، فهي وداع صديق ، هي آخر ابتسامة للشفتين ، اللتين سيغلقهما الموت الى الأبد

هكذا ، وقد اوشكتُ ان اغادر افق الحياة ، باكياً من ايامي الطويلة الامل الضائع التفتُ ورائي ، ملقياً نظرة اسىً وحسرة ، على تلك النعم التي لم يُتَحْ لي التمتع بها

ايتها الارض ، ايتها الشمس ، ايها الوادي ، ايتها الطبيعة الجميلة الوديعة ، اني مدينٌ لكِ بدمعة على حافة قبري ، فالهواء معطر الأريج ، والنور ساحر زاهر ، وما اجملَ الشمس في عين الراحل المائت !

اني لأتوق الى شرب الكأس حتى الثُمالة ، تلك الكأس الممزوجة بالرحيق والمرارة ، فقد يتبقّى في ذلك القدح ، الذي اشرب فيه الحياة نقطةٌ واحدة من الكوثر اللذيذ

قد يخبّىء لي المستقبل بين ثناياه ، عوداً الى الهناء الذي فقدتُ من الامل ، وقد اجد بين الملا ، روحاً لا اعرفها الآن ، تفهم روحي ، فتتآلفا وتتمازجا

ان وداع الزهرة عند سقوطها ، تسليمها عبيرها الى النسيم والشمس والحياة ، وأما انا فاذا قضيتُ ، تصاعدت روحي كلحن حزين مُشجٍ

طفل يبتسم للحياة

رأس فتاة

(تصوير ايمي نمر)

في معرض إيمي نمر

اتيحت لي مشاهدة آثار السيدة الفنانة إيمي نمر في المعرض الخاص بصورها ، فسرني اني لم أحرم مشاهدة هذا المعرض الفذ وعددت من حظي الكبير ادراكه قبيل انقضائه

فهذه سيدة شرقية ذات نصيب واثر من الثقافتين العامة والفنية تبرز آثارها القوية للعيان فتسترعي حفاوة النقاد الخبيرين وبينهم ولديمار جورج وبول فيرز وماريشال وأندريه سالمون وأندريه وارنود ولورنس بنيون ، وتثبت جدارتها بالعرض في لندن وباريز قبل العرض في القاهرة . وقد بلغت الآن بعد جهود عشر سنوات أو أكثر درجة عظيمة من الشخصية المتميزة في فنها قوامها ذوقها الخاص الى جانب نضوجها في التعبير المستقل ، فكيف لا نأبه لفنها وكيف لا نفخر به ؟

لقد بدأت إيمي نمر في تصويرها الاول بالمشاهد المبسطة والصور السطحية مع شغف بالألوان الزاهية كتصويرها لليهود في فلسطين ، ثم أخذت تتحول عن ذلك رويداً الى أن صار فنها أخيراً بمثابة رد فعل لنزعتها الاولى ، فاذا به الآن يعنى بالحجم والمتانة والضخامة ، واذا بالألوان الهادئة أو القاتمة تحل محل الألوان الزاهية القديمة ، واذا بالشخصية المرسومة من انسان وحيوان ونبات هي المسيطرة على المظاهر ، واذا بالروح وقوة التكييف غاية ما يرمي اليه فنها وليست الصبغة أو الشكل . فتحس إزاء هذه العوامل بأن التعابير المرسومة التي تتجلى لك سمتها من داخل الصور وليست مستمدة من مظاهر عرضية ، فهي تعابير ثابتة مصورة ذات روحانية محسوسة . وهذه الموهبة ليست بارزة في صورها القديمة ولكنها مدروسة ناطقة في صورها الحديثة . وقد يلوح التشابه في كثير من موضوعاتها ، ولكنها ككل فنان أصيل تهمها كيفية التعبير قبل أن يهمها الموضوع ، وقد يصدف غير الخبير بالفن عن موضوعاتها البسيطة في تصويرها الفاكهة مثلاً وان يكن تصويراً كلهُ قوة يكاد يجعلها تلمس وتشم وتتذوق ، ولكن سيزان Cézanne العظيم تجلى فنهُ الرائع في تصوير الفاكهة بقدر ما تجلى في موضوعات أخرى . وقد يتمعض بعض النظارة لتجرد الصور من الرمزية ، ولكن من عادة الفن النقي تصويراً كان أم شعراً الابتعاد عن الرمزية ، فلن يعيبها ذلك

في هذا المعرض البديع عشرات من الصور وقد قسمت الى أربعة أقسام مختلفة :

(١) صور لرؤوس آدمية (٢) صور لفاكهة (٣) صور لمجموع مختارة (٤) رسوم قلمية . ولكن الروح فيها جميعاً واحدة ، فان ايمان صاحبتها بما للاشعة والظلال من قوة خالقة جعلتها تترك لها تكوين الاشكال وتجسيمها ولم تفكر لحظة في اعتبارها اعتباراً ثانوياً فهي عندها بمثابة الروح الذي يكيف المظهر . وإيمان صاحبتها بتجسيم الفكرة جعلها تتعلق بالضخامة في التصوير ، ثم ان ارتياحها الآن الى الالوان القاتمة جعلها تبدع في اختيار الالوان المعبرة سواء للفاكهة أو للوجوه الآدمية بإزاء الارضية القاتمة وليس هذا أمراً سهلاً بأي حال . ولعل من أبرع الشواهد على ذلك صورة

« الإعياء » في وجه السيدة المطرقة بحظها فقد أبدعت في اختيار اللون الاخضر القاتم بصفة خاصة لإبراز معنى « الاعياء » في ما يوحيه تركيب الصورة . ومن الصور الفريدة تلك التي تمثل معنى الأناقة والازدواء ، فقد ظهر النور الخافت في جانب منها في قوس ممدود وقبة الظل في الجانب الآخر مقابلة طبيعية جميلة فكان النور والظل هما المكيفين للصورة ولمعناها ، ولم يكن ذلك من أثر رسم آلي هو أبعد ما يكون عن طبيعة فناننا في نضوجها الحاضر وما من شك في أن الرسوم القلمية في مجلها فاتقة بحذقها ، وكأنها في بعضها تتعمد على تجاويب ميخائيل أنجلو ، ولا عجب فان نزعتها كلاسيكية صميمة. وليس لنا أن نحاسبها على ذلك فنزعات الفنانين — لاعتبارات سيكولوجية — تختلف جد الاختلاف ، وانما تعنينا طاقتها الفنية وقوة تعبيرها الصادق . واذا كانت ايمي ثمر مقتصدة في استعمال الالوان اقتصاداً كبيراً لأنها لا تحفل الآن بالزخرفة بل بالروح وقوة التعبير فقط ، فان مذهبها هذا كان ضميناً لعنايتها بالتشريح وبالجسم الانساني كما نرى بصفة خاصة في صورتين تمثلان النوم فهيما جرأة مع صدق في التعبير وسلامة وتناسب في أجزاء الصورة ، وان لحظنا الميل الى الضخامة العضلية وهو ذلك الميل المشهود في الفن الكلاسيكي . بيد أن هذه النزعة الكلاسيكية في الروح لم يصحبها عادة الاهتمام بالتفصيل ، ولو عنيت بالتفصيل البالغ لحدّت من استثارة خيال الناظر وتأملاته

الفنُّ الجميل جميلٌ والاتقانُ اتقانٌ مهما تباينت الاذواق ، والتثقيف الشخصي كفيلٌ بأن يُلهمنا مواطن الجمال حتى فيما لم نتعوده ، فليس الاعتراف بالجمال وقفاً على رضانا ، وليس عزوف ايمي ثمر عن الروح الرومانطقية مما يجعلنا نبخسها حقها في صدق التعبير الفني والشخصية الفنية . وقد رأيت مشهداً في « درب الاربعين » (طريق قوافل الرقيق قديماً بين دنقلة وأسيوط) حيث العبيد وجاجيم الضحايا ، وهو رسم تجريبي غير كامل ومع ذلك فهو يستغرق الاهتمام بتركيبه وغرابته وبالاعتبارات النفسية العميقة التي اوحته . وقل مثل ذلك عن شغفها بصور العبيد والسود ، فقد لا نعشق هذه الصور لاعتبارات مختلفة ، الا لاعتبار الفن الخالص الحافل بالجهامة وظلام الحياة وآلامها ووحشيتها فانه كفيل باجتذاب عنايتنا بها . ومع هذا ألم تستخلص لنا ايمي ثمر معنى الحنان الخالص في صورة النوبية وطفلها ثم ألم تحفل ببعض الموضوعات الانجيلية بروح جميل من الايمان ؟ فهي اذن لا تقصر فنها على تلك الموضوعات المكتئبة الغريبة لعجزها ، عن غيرها ، ولكن اختياراً لما توحيه ظروفها ، وورد فعل لنزعاتها القديمة وتعلقاً بالنماذج القوية التي تفسح المجال لبراعتها في تكييف الانوار والظلال . وكثير من الصور الكلاسيكية نُسيت ظروفها التفصيلية ومناسباتها الفكرية والعاطفية ولكن يبقى منها بعد ذلك الروح الفني المعبر الكشاف عن اسرارها الحيوية ، ومن اجله نمجدها

ولا نزاع في أن أمام فناننا القديرة ميادين كثيرة لبراعتها في المستقبل ، ولها من اقدامها وثقتها بمذهبها وبشعورها وتفاسيرها ما يكفل لها التقدم المطرد والاعتراف بأهميتها

احمد زكي ابو شادي

الصحة والزواج

اجمع الاطباء على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ذلك ان فتك هذه الامراض بالمتزوجين لما يقصر عنهُ الوصف . فهي من اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهنائهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج لما قد يلحقانهِ من الاثر في صحة المتزوجين ونسلهم وفي قوائم العقلية كذلك

فسلامة الزوجين من هذه الامراض شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال سلامتهم من كل محظور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة من حكيم الاسرة . وفي الواقع ان القانون في بعض البلدان ينص على وجوب فحص طالبي الزواج ، لاثبات صلاحهم له من الوجهة الصحية . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلدان المتمدنة ، بحيث لا يباح لمن كان مصاباً باحدى جسمية طارئة او وراثية او بداء السل ، او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ والا عُدَّ خادعاً وكان زواجه عرضة للالغاء . فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حالهِ ولم يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحتملان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهما ، مع ان بعض دعاة اصلاح النسل يرون ان هذا من شأن الامة في الامراض الوراثية ، لان شأنهما الخاص ويجب على الامة ممثلة في الحكومة ان تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات

ومن بواعث الاغتباط ان الامراض التي ثبت ثبوتاً قاطعاً انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس (البول السكري) او حسر النظر او ضعف الاعصاب لان هذه الامراض ليست وراثية . ولكن عدد الامراض الجسمية والعقلية كثيرة جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها ، وهل هي موروثة او طارئة . وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي كل من الزوجين بأن يعيش مع زوجهِ محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

***

اذا طلب شاب ان يؤمن على حياته فحص فحصاً طبياً دقيقاً قبل ذلك . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانتظام في مصلحة من مصالحها . وهو عمل القومسيون الطبي هنا . وبعض الشركات الاجنبية في القطر المصري ، ومعظمها في بلدان اوربا واميركا تطلب من كل من يرغب في الانضمام اليها ان يعرض على طبيب الشركة . وليس يجد احداً في كل ذلك غضاضة او اهانة . وكذلك يجب أن يكون في امر الزواج

المرض امتحان

لقوة الرابطة الزوجية

المرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحبُّ الذي يربط الزوجين حقيقيًّا فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء . واذا لم يكن كذلك ، اي اذا كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات ، فان المرض يبرزه في حلتهِ الحقيقية . ومن الازواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور ، وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لانهُ يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحبُّ كامناً وان لا يقوى صاحبه على التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفهِ اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب عن كثب ان الحبَّ ميت بين الزوجين ، فينشأ من ذلك شيء من النفور الذي يسيء الافرج «سوء تفاهم» . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية بهِ واظهار الحنان عليهِ ، زال ذلك ما بين الزوجين من نفور وفتور

بل ان الاشخاص الممتازين باظهار ما تكنُّهُ جوانحهم من الحب ، والذين يغالون في الاعراب عنهُ قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاًّ منهم تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والمحن على اسرة من دون ان يكون ثمة سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين وتوثيق اواصر الحب بينهما ، اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح حبل الرجاء ضعيفاً ، فحينئذٍ يبرز الحب من مكمنهِ وتتحلى العواطف على اجلها . ثم ان الجهد الذي يبذل في تربية ولدٍ مصاب بعاهةٍ او علةٍ ورثها من احد والديهِ تقوّي روابط المحبة بين الوالدين . على ان الاهتمام بالولد العليل تجب ألاّ ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك التعاطف الزوجي يجب ان يفصل بينه وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المؤاساة رباطاً قويًّا بين الزوجين واما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفق عليه . وليس اشق عليك من ان تكسب ودّ من اشفقت عليهِ

على ان المرض لا يقوي بالضرورة الرابطة الزوجية ، بل قد يضعفها احياناً . ولاسيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمته خدمة خاصة . وقد تكون هذه الخدمة عبئاً ماليًّا ثقيلاً على الاسرة يستنزف قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين قد يحول دون اشتراكهما في الاعمال والزيارات التي تقتضيها الحياة الزوجية . وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضهِ ويلتمس الصحيح مناهج الحياة من غير طريقة الزوجية وهذا قد يفضي بهِ الى ادمان المسكر والميسر والتماس القوة الكاذبة وما يليها من العواقب

شوارجس فتاة جميلة

بعد اصابتها بصدمة شوهت جمالها

بين جمال الوجه وشجاعة النفس

ترى ماذا يكنُّ لي المستقبل ؟ كنت من شهر فتاة جميلة هادئة ارقص للحياة . وكنت قد فزتُ بالدعوة الى تمثيل دور صغير في شريط سينمي . لم يكن دوراً يباهى به . ولكن الكفاح الذي كافحته والجهاد الذي جاهدته قبل الفوز به جعلاه في نظري تحقيقاً لحلم من احلامي وخطوة اولى نحو هدفي وهو ان اصبح كوكباً متألقاً في عالم التمثيل السينمي . فكنت سعيدة به السعادة كلها

ولكن انظري اليَّ الآن . انني لا ادري ما اصبح وجهي بعد حدوث ما حدث. لانهم لم يسمحوا لي بعد ان انظر الى وجهي في المرآة . ولكنني اعلم ان ثغري الذي كان رطباً احمر كورقة الورد اصبح معوجّاً مشوّهاً . وفي خدي الايمن ندبة جرح عميق احسها بأناملي

كنت في سيارة مع صديقي جفري عائدة من حفلة راقصة . وكنت متهللة طروبة . واذا بالسيارة تصطدم فجأة بمصباح قائم في وسط الطريق . فسمعتُ وكأني في غيبوبة تأوه صديقي وما افقت الاّ وانا في مستشفى ورأسي مضمد بضمادات أكاد لا ارى من خلالها الاّ سقف الغرفة الابيض

ولعلي اغبط لان ساقي سليمتان فاستطيع ان امشي. ولان والديَّ حيّان فاستطيع ان اقضي دور النقه في بيتهما الريفي . ولانني ما زلت حية على كل حال

حياتي ! ما اشد الاختلاف بين حياتي بعد الصدمة وقبلها . في السنة الثالثة عشرة من عمري بدأت اعنى بشؤون الجمال . فعليَّ الآن ان انسى جميع هذه السنين وان انشأ نشأة اخرى

قال لي الطبيب الذي عالجني : يا ابنتي مضت عليك سنوات وانت تنظرين الى الحياة من نافذة ضيقة . وقد سحرك جمال ما رأيت لانك كنت في مقتبل العمر وعلى جانب عظيم من الجمال . والعالم يغدق عطاياه على المتصفين بالجمال لان الجمال يلسم في عالم يكثر فيه القبح والقتام . ولكن العالم يغدق كذلك على من اتصفوا باللطف والشجاعة والدماثة ولو لم يتصفوا بالجمال

فقلت محتجة : ولكن يا دكتور ، لم اقض ما مضى من حياتي كالفراشة متنقلة بين اطايب الروض. معتمدة على جمالي في الفوز بكل ما اريد . بل كافحت كفاحاً عنيفاً في سبيل تحقيق ما اصبو اليه

كنت لا ازال في السابعة عشرة لما تركت المدرسة بعد ان فزت بجائزة الجمال فيها . وانتظمت في معهد التمثيل لتعلم فنونه واساليبه . واما وقفت ساعات متوالية امام مكاتب التوظيف اطلب عملاً . ما اكثر الساعات التي قضيتها في البرد القارس انتظر دوري لافوز بمقابلة المسيطرين على شؤون السينما وكنت عند عودتي وقد انهك البرد والانتظار قواي ، اذهب توّاً الى دروس الرقص الكلاسيكي لتكون عدتي وافية متى اتيحت لي الفرصة . فاكاد الحظ يرمقني بنظرته فيتيح لي تمثيل دور صغير في

شريط سينمي حتى تكست هذه النكبة. هذا اخطرب صوتي وافرورقت عيناي بالدموع. فقال الطبيب: «انا اعلم يا بنتي انك كنت على اعظم جانب من الشجاعة في مواجهة الحياة وأملي ان تبقى هذه الشجاعة عندك حتى تفوزي بالغلبة وربت على يدي ومضى في سبيله يزور سائر المرضى. فأحسست صدها بشيء من الغبطة في نفسي. قال «املي ان تبقى هذه الشجاعة عندك حتى تفوزي بالغلبة» واعتقد انهُ عنى ما قال. أعتقد أنهُ اسف لوتر المرارة الذي ضربت عليهِ في كلامي معهُ كما آلمه ان يراني متألمة من اثر الصدمة والجروح التي اصبت بها. ولكن بوارق الامل والشجاعة تتراجع في الغالب أمام بواعث اليأس. وانني لا ازال عاجزة عن أن أتصور كيف استطيع أن اتحمل كل هذا. كيف استطيع أن اصبر على نظرات الاشفاق في عيون صحبي اذ أخرج من المستشفى أو كيف احتمل تفرس الناس في وجهي عند ما أمشي في الشارع او أذهب في طلب عمل ما؟ اذ لابدَّ لي من العمل والاَّ طار صوابي

سهلٌ على الطبيب ان يقول لي أنهُ يجب عليَّ ان اكون طروباً. ولكن هناك فرق بين طرب نفس تبذل وسعها لتدرّع دروع الشجاعة، وذلك الطرب الذي يصدر عفواً كتغريدة العصافير. ما أجمل الحياة اذ كنت أتلقى ثناء الشبان واز اهيرهم، اذ كنت أستطيع ان أضحك معهم وأمازحهم، من دون أن أنسى ان الحياة في الحقيقة أمر جدي وجميل معاً

يغمرني أحياناً ضياء هذه الصور الباهرة ثم أفيق فأدرك كابوس الواقع

قد التغلب على كل هذا. فانني ما زلت في الثانية والعشرين من العمر. ولكنني اقلب رأسي الآن ذات اليمين وذات اليسار واقول يا ربي كيف استطيع ان اتحمل كل هذا؟ كيف؟

نصيحة لفتاة تخشى الحياة

كتبت فتاة الى محررة احدى المجلات النسائية ما يلي: انني اخشى الحياة. مات والدي من سنتين وكان اصدق اصدقائي علاوة على كونه والدي. وما كدت اتغلب على حزني حتى مرضت والدتي من نحو ستة اشهر. وأنا الآن مخطوبة لشاب ممتاز، وليس لي غيره في الدنيا. وهو يريد ان يقترن بي حالاً ولكنني اخشى ان اقبل لانني اخشى ان يسلبني الموت اياه. انا اعلم ان هذا الكلام يحملك على الضحك مني، ولكنني خائفة وجلة فماذا افعل؟

فردت المحررة ما يلي: كثير من الناس تأتي عليهم فترة في الحياة يحسون فيها بمثل ما تحسين. ويطلق الكتاب الدينيون على هذا الاحساس «ليل النفس الحالك». ولكنني واثقة بأنك سوف تخرجين من ظلام الليل الى وضح النهار. ان والديَّ كل انسان مصيرها الى الموت عاجلاً او آجلاً. ولكن الاحصاء يثبت ان الزوجين يعيشان معاً مدة طويلة في الغالب قبل ان يدرك الموت احدهما. فيجب ان تتعلمي الثقة بالحياة، وان تتطبعي بروح المغامرة، وان تعيشي في الزمن الحاضر بدلاً من ان تحصري فكرك وهمك في مخاطر المستقبل. إنسي الماضي ودعي المستقبل لله

الاعمال المنزلية

وما تقتضيه من الطاقة والعناء

عنيت جماعة من علماء اميركا بقياس الجهد الذي تقتضيه أعمال المرأة في تدبير شؤون بيتها من غسل ومسح وكنس وكي وخياطة وغير ذلك . ومقابلة كل عمل من هذه الاعمال بالآخر . وبحالة المرأة وهي مستريحة . وصنعوا لذلك آلة سموها مقياس حرارة التنفس أو مقياس الحرارة البدنية اذا اريد المعنى العام . وهو بالانكليزية Respiration Calorimeter

والآلة مؤلفة من غرفة ارتفاعها متران وطولها متر وخمس وعرضها ٧٥ سنتيمتراً وجدرانها لا ينفذها الهواء . وفيها عدة أجهزة صغيرة منها جهاز لحفظ مجرى هوائي في الغرفة يجتمع فيه بخار الماء واكسيد الكربون اللذان تخرجهما المرأة التي تجرب التجارب بها . وفيها جهاز لمقياس مقدار الحرارة التي تتولد في الغرفة عند اجراء التجارب

وقد اختير لهذه التجارب فتاة نحيفة سنها ٢٢ سنة وطولها ٥ اقدام و٤ بوصات وثقلها بملابسها ١١٠ ارطال . وقد عرضت هذه الفتاة لثلاث وخمسين تجربة وكانت توزن عند انتهاء كل تجربة ولا تتجاوز مدة التجربة ساعتين كل يوم

وقد ظهر من هذه التجارب ان الفتاة كانت تنفق من جسمها وهي تعمل الاعمال الخفيفة كالخياطة والرفو ٩ وحدات حرارية في الساعة زيادة عما كانت تنفقه وهي في حال الراحة . وانها كانت تنفق ٥٠ وحدة حرارية في الساعة في الاعمال التي تستدعي تعباً كالغسل والكنس وتنظيف الغرف زيادة لما كانت تنفقه في حال الراحة

***

ومن غرائب هذه التجارب انهم لما جاؤا الى تجربة الغسل أمرت الفتاة ان تجري حركات الغسل جميعها ولكن من دون استعمال الماء لان وجود البخار في الغرفة يوقع الخلل في القياس . ومثلها غرابة عند محاولتهم قياس ما تبذله المرأة من الطاقة عند العناية بطفل من حيث ارضاعه وتغيير ثيابه وغسله . فانهم استكبروا وضع طفل يرضع معها في غرفة ضيقة خيفة ان يلم به مكروه فأعاضوها منه دمية تشبه في حجمها طفلاً محمولاً اي ابن سنة . فظهر ان العناية بالطفل تقتضي من زيادة انفاق الطاقة نصف ما تقتضيه أعمال الغسل والكنس أي ان الزيادة كانت ٢٣½ وحدة حرارية مقابل ٥٠ وحدة حرارية في الحالة الاخرى

وعلى ذكر الاعمال العديدة التي يجب على المرأة عملها نذكر قول الشاعر : « الرجل يعمل من الشروق الى الغروب أما المرأة فعملها لا يفرغ »

بين طفل وعنكبة

[قطعة مختارة من الجزء الثاني من قصص علمية للاطفال تأليف كامل كيلاني وينتظر ان يصدر قريباً]

الطفل :

قد تأكل العنكبةُ العنكبا وتهلك الزنبارَ والعقربا
وكم بعوض في حبالاتها راح اسيراً يبتغي مهربا
تحدَّرت بالسّم أعصابهُ وأنشبت — في جسمه — المخلبا

***

وقد يصيد الضفدع العنكبا كما تصيد البومة الأرنبا
وتهلك القطةُ فأراً ، ولا تبقي على فرخ صغير حيا
وقد ألفنا كل هذا ، فلم نذعش له ، مهما بدا مُغْرِبا
لكنّ ما حيّر البابنا ان تأكل العنكبة العنكبا

العنكبة

ان تأكل العنكبةُ العنكبا أو تأكل الام ابنها الأنجبا
أو تأكل الآباء أبناءها أو تأكل الاخت أخاً أو أبا
أو تأكل الزوجات أزواجها فليس هذا حادثاً مُغْرِبا
أما ترى الاسماك قد شابهت في اكل ما تنجبه — العنكبا
تلتهم الكبرى صغيراتها ويأكل الحوت ابنه الاقربا

***

وانتم الناس — على رشدكم — صرتم — لأمثال الاذى — مضربا
لم ترحموا طيراً على غصنه رتّل لحناً شائقاً معجبا
ولم تغيثوا يائساً معدما ولم تقيلوا عاثراً مذنبا
وكم اكلتم لحم اخوانكم ميتاً ، ولم ترْعَوْهم غُيَّبا
فلا تعيبونا بأدوائكم فقد غدا مَنْ عاينا أعيبا

كامل كيلاني

تنظيم حياة الطفل

مبادىء جوهرية (١)

هناك عاملان جوهريان لتكوين خلق الطفل

اولاً : — يجب ألا تكبت ميوله وغرائزه ، بل يطلق له كل حرية لتنميتها وتقويتها

(ثانياً) يجب أن تساس وترشد وتدرب على كل عمل صحي يساعد على نمو الطفل . فاذا تركت هذه الميول حرة بغير قيد فان الطفل يصبح شهوانياً عنيداً ، واذا سحقت وتلاشت يصير عرضة لأمراض عقلية ، واذا ضبطت وارشدت يصير رجلاً ذا خلق قوي الدعامة . والأخلاق المتينة ما هي الا ثمار تهذيب الطبيعة وضبط العواطف . أما اذا حبست هذه الميول الاولى عند ظهورها فتفسد الأخلاق وتشوه ، كالتدم اذا وضعت في قالب فانها تفقد شكلها الطبيعي وتشوهه . واذا أنكرنا على الطفل حبنا وحمايتنا له في الطور الأول ، استولت عليه الكآبة وانقباض النفس (ميلنخوليا) في حالة الكبر ، والطفل الذي تسحق ارادته ربما تنتابه نوبات مؤذية مثل الخوف من الأذى أو القتل . واذا حرم من العطف الابوي فانهُ قد يصاب بالهستريا أو الشلل أو الألم . وأخيراً اذا سحقت الأنانية فيه واذكر عليه استقلاله الذاتي فانهُ يصير انساناً جافاً بغير ارادة أو أخلاق . ومن ناحية اخرى اذا لم يوجد ضابط ورادع صار الطفل شهوانياً وظل على طوره الاول وفي الطور الثاني يصير عنيداً لا يكبح جماحه ويكون ضحية لشهواته وأهوائه . وفي الطور الثالث يكون ضحية الامزجة والاهواء وعبداً لارادة الآخرين . وأخيراً تتكون فيه صفات خاطئة وأهواء ضارة يكتسبها من الاوساط البذيئة . امثال هؤلاء الاولاد يصيرون مجرمين واشقياء

وفي هذه المقالة نريد ان نبين كيف انهُ لو اعطيت الحرية الحقيقية مع ضبط النفس فان هذه الميول الاولية تظهر وتترعرع لانها المادة الخام التي منها تتكون وتنشأ الاخلاق . اما اذا كبتت فاننا فضلاً عن تعرضنا لامراض عصبية فاننا نفتقر الى الاخلاق افتقاراً شديداً

وهاكم بعض المبادىء :

اولاً — تقوية روح الطاعة والاستسلام للوالدين

كل طفل خليق بالرعاية والعناية والعطف . انما الافراط في الحنان والتدليل يترك اثراً في النفس فيبقى طفلاً (حتى عند ما يصير رجلاً) في تصرفاته واعماله اليومية ، ولا يقدر على مواجهة الصعوبات التي تصادفهُ ولا تحمل المسؤوليات التي تلقى على عاتقه . كما ان انكار مثل هذا العطف على

(١) وهو جانب من مقال صعب كتبه الاستاذ هدفيلد استاذ علم النفس في كلية الملك بلندن ونقله ميلاد كدواني في كتابه الموسوم (اسرار الطفولة وخفايا الشباب)

الولد (اما لانه غير مرغوب فيه او لتفضيل آخر عليه) يبقى أثره في العقل الباطن وربما يؤدي الى كآبات مضنية عند ما يصبح رجلاً. واما تربية ميول الطاعة والثقة بالوالدين تربية صحيحة فانها تتحول الى ميزات في الاخلاق ذات قيمة عظمى. وهذه الميول هي التي تتحول بعد حالة العناد الى حالة الايحاء ثم الى حالة الاستسلام. وهو ليس استسلاماً جثمانيًّا بل نزولاً على اهواء والديه وخططهم العقلية وعندما يكبر يسر وينتبط بلعبه مع الاولاد الآخرين وباشتراكه معهم في رغباتهم. سواء خارج البيت او في المدرسة مع الرفاق. وبعد سن البلوغ يزج بنفسه في وسط الجماعة خاضعاً للقوانين التي تربطها ماديًّا وادبيًّا

وعند ما يكبر فان هذا الميل الاستسلامي يشعره بالنقص الذي لا يكمل الاّ في محبة الغير وفي حياة الاسرة. وأخيراً يرشده الخضوع والاستسلام الى المثل العليا التي تشاد عليها دعائم الاخلاق الفاضلة كالولاء للحق وللانسانية وللدين. وما كل هذه الميول الاّ ثمار الاستسلام الذي يعزى الى شعورنا بالضعف وحاجتنا الى الآخرين. ومما هو مشاهد في هذا الميل في الطور الاول انهُ أناني، قوامه حماية الذات أما الطور الثاني فيتخذ شكلاً آخر هو الغيرية. ولذا يجب أن نفهم ان ميول التضحية وخدمة الغير في الطفل ليست نتيجة التدريب على الاستقلال الذاتي بل انما هي اشباع ميوله للاستسلام والمحبة، فاذا اهمل اشباع هذه الميول في الطور الاول فلا تتاح لها الفرصة للظهور في الطور الثاني وعليه يبقى الطفل أنانيًّا

مثال لذلك، أب لهُ ابن وحيد يريد أن يجعل منهُ رجلاً. فانهُ بتربيته له تربية جافة واهمال عواطفه واعتبارها خيالية لا صحة لها، وانكاره عليه حتى العطف والمحبة والحماية التي هي من حقوقه الطبيعية، يحرمه من الشعور بالطمأنينة وتتربى فيه صفات الخجل والخوف من الحياة ويتصف بالجبن

أما الولد الذي تتغذى روحه بالاستقلال الذاتي وتتوافر ثقته بأبويه واستسلامه لهما، فانه يحمل معه هذه الثقة في حياته العملية عند ما يشب، ويكون قادراً على مواجهة الصعوبات والمشاكل حتى الموت

ثانيًا — تنمية الميل الى ارضاء النفس

يؤول ارضاء النفس الى فرح والفرح الى سعادة لما يأتي: —

يبدأ اشباع النفس في الطفل في طوره الاول في النشاط والحركات الجثمانية مثل الرضاعة وعملية الهضم وازالة الضرورة وحركة أعضاء الجسد وبعد ذلك — في اثناء تكوين الارادة — يشعر بفرح في التعبير الحر عن النزعات الغريزية، المصارعة وحب الاستطلاع والبناء. وأما اذا تجاوز الاشباع الى الحد المعقول في سني الطفولة الاولى فانه يصير شهوانيًّا عصبيًّا عند ما يكبر، وعبداً للانفعال، ومع ذلك فان لاشباع الميول والمشاعر في الطفولة قيمة جوهرية، لان في اشباع هذه تكوين الوظائف الجسدية كالعادات وغيرها والفرح في النشاط الذي هو لذة الحياة. وكما أن رغبة ارضاء الحواس والمشاعر في دور الطفولة الاولى تنقضي ليحل محلها لذة التعبير عن العواطف والميول

في الدور الثاني ، فكذلك تتطور هذه الرغبة في السنة الثالثة أو الرابعة الى سعادة تتولد عن اتزان العقل وتناسقه . والسعادة — وشتان بينها وبين اللذة — تنتج عن اداء مجموعة الوظائف كاملة وليس عن هذه العاطفة او تلك . هي ثمار الشخصية كلها عاملة بكل عواطفها وميولها الى الغرض أو المثل الاعلى الذي تختاره النفس . ومن الجهة الاخرى اذا ضغطنا على ميول الطفل وعواطفه واحساسه وعودناه اللوم والتعنيف نشأ في موقف الزاهد الكاره للحياة الذي لا يشعر بأية سعادة حقة ، وفي احسن الحالات يكبر طفل كهذا انساناً كئيباً مغموماً لا يفعل شيئاً الا مدفوعاً باداء الواجب ليس الا . وأما في اسوأ الحالات فيكبر انساناً شاذاً شهوانياً ضالاً تسوقه تلك العواطف والميول المكبوتة إلى الانغماس في الضلالات الجنسية

ثالثاً — تنمية الارادة

يقصد بالارادة هنا طلب اشباع كل عاطفة غريزية ، مثال ذلك :

انهُ اذا اراد الطفل الحصول على شيء فلا بد ان يناله ، واذا اراد رؤية شيء او عمل شيء ما فلا مناص من تنفيذ فكرته ورغبته . ونحن نعلم حالة الطفل في السنتين الاولين . واذا كان عنيداً بطبيعته وخلقه فقد يكون سبب يأس الكثيرين من الوالدين . ومع هذا كله فلا حاجة لليأس والفزع ، ولا داعي يدعو الى معاملة الطفل بقسوة لا يستحقها ، لان هذه الحالة يتبعها الايحاء الذي يكون فيه مستعداً للاذعان ، وقبول رغبات والديه واهوائهم . والواجب في هذه الحالة ان يعامل الطفل بحزم وصبر وان تعطى البواعث والميول الطبيعية الفرص الكافية للتعبير عنها . واطلاق طفل كهذا على هواهُ يجعلهُ معتداً بذاتهِ عنيداً . وسحق ميوله يصيره عاصياً متمرداً ظاهراً او باطناً . وإنما الذي يفتقر اليهِ هو تنمية ميوله ودوافعه القوية . واذا اراد ان يعمل عملاً لا يليق فلا ينبغي ان تستعمل معهُ طريقة النهي كقولك « لا تعمل هذا او ذاك » لان هذه الطريقة تزيده رغبة في عمل الشيء ، بل يلزم ان تعلمهُ كيف يفعل فاذا اراد طفل في الثانية من عمره ان يستعمل سكيناً حادة علمه كيف يستعملها بان تقطع شيئاً امامه في الصحن . واذا اراد ان يتسلق شجرة ليأخذ ثمراً منها نخذهُ الى شجرة لا خوف عليها من التلف ودعه يتسلقها . ففي فعل ذلك اشباع لرغباته . ولو اراد اشعال تقاب الكبريت علمهُ ذلك . وعلى العموم دعه يعبر عن رغباته بشرط ان تعلمه الحيطة والحذر والتمييز بين المسموح وغير المسموح وبين الضار والنافع . وتكون انت في هذه الحالة قد تجنبت الخطر واعطيته فرصة لاشباع دوافعه وميوله القوية

وقد يفعل اشياء لا نستحسنها كأن يضرب الارض برجليه في حالة غضب او يتلف لعبة اخيه او اخته او يلحق بهما ضرراً بدنياً . فلعلاج ذلك إبحث اولاً عما اذا كان محقاً في ذلك او مخطئاً ورعا اخته الوديعة تستحق ذلك . ولكن لنفرض أن ذلك شقاوة منهُ فكيف نطبق مبدأنا ؟ ان الطريقة الرئيسية لرفع الطفولة والصعود بها الى المستوى الاعلى انما تتأتى بطريقة اللعب . لان اللعب هو التعبير

الطبيعي لنوافع الطفل الذي سيتحول الى عمل جدي عندما يكبر . ان الطفل يريد اللعب ولكن ربما يستعمل ميوله بشدة كما سلفنا قبلاً فعلينا ان نحولها الى اللعب . خذ لذلك مثلاً : اذا اراد الطفل ان يمزق اخته قل له : هاك الأسد — بدلاً من ان تقاصه — وتظاهر بالهرب من امامه عندئذٍ يتحول غضبه الى حالة اللعب . واذا نكث الارض برجله خذه من يده وارقص معهُ . واذا قلب ما شاده أخوه للعب واللهو فتظاهر بالوقوع أمامه وامرح . وفي هذه الحالة تكون قد اعطيت شعوره بالقوة فرصة للعب بدلاً من الكبح والضغط . ولكن لا بد لهذه القاعدة من شواذ فيجب مثلاً أن يحدد وقت نوم الطفل . وعند ما يحين ذلك الوقت يجب أن يترك اللعب ويذهب لفراشه . ويستعمل معهُ الحزم والجد . وأيضاً في حالة نزول المطر الغزير لا يجب ان يخرج من البيت . في هذه الحالات وغيرها الصرامة والحزم والشدة لازمة لتربيته والاَّ فان اللين والتساهل وعدم الصرامة تنشيء فيهِ عدم ضبط النفس وعدم الاذعان لارادتك ، لانهُ كما تكون أنت معه في الصغر ، هكذا يكون هو في الكبر . وتكون ارادته من ارادتك . فلنكن على حذر مع أطفالنا

تعليم البنات في انكلترة

في سنة ١٩٠٢ كان عدد مدارس البنات التابعة لمجلس المعارف ٩٩ مدرسة زادت الى ٤٠٥ مدارس سنة ١٩٢٥ وفي المدة عينها زاد عدد المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً من ١٨٤ مدرسة الى ٣٦١ مدرسة وزاد عدد التلميذات من ٣٣١٥٩ تلميذة الى ١٧٣٢٧٣ تلميذة اي خمسة امثال (والكلام هنا مقصور على المدارس الثانوية)

***

أما تعليم الصبية والصبيان معاً فتلك مسألة لا تزال موضع نزاع ومثار جدل بين الكثيرين فبعض المدارس التي يعلم فيها الجنسان قامت على اسس اقتصادية فقط في حين ان هناك مدارس اخرى يعتقد المشرفون عليها اعتقاداً راسخاً في وجوب تعليم الجنسين معاً منذ نعومة اظفارهما . وعلى كل فان الشطر الاكبر من المعلمين والمعلمات ويشاركهم في ذلك معظم الشعب الانكليز يجمعون على انهُ وان صلح تعليم الذكور والاناث معاً في سني دراستهم الاولى ، ثم بعد ذلك في الجامعات ، فانهُ من مصلحة الجنسين معاً ان يعلم كل منهما على انفراد في السنين تتخلل التعليم

[عن كتاب الانكليز في بلادهم]

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوي

في كل جزء كلمة

للأستاذ عبد الرحيم بن محمود

« لفيف من الأمراض بزنة فُعَال »

أهيب بمحضرات الأطباء في الأقطار العربية أن يتحفظوا الأسماء العربية للأمراض الآتية بدلاً مما يرادفها باللغات الافرنجية وأن يعملوا على إذاعتها بوسائل الإذاعة بمؤلفاتهم وبوصفاتهم وبتقاريرهم ومجلاتهم وبمحادثاتهم وبالصحف السيارة وبالمجلات ليحيوا وطنهم العربية بإحياء لغتهم العربية — والمجامع اللغوية تشد أزرنا وأزرهم كما نشد أزرها فلنتعاون جميعاً على إنماء لغتنا بألفاظها التي نبعثها من رممها اذا أحسنا التطبيق والمطابقة . ويعاونني على بحثي هذا العلماء الأعلام مثل ابن سيده الاندلسي «صاحب المخصص» والشيخ ابراهيم اليازجي «صاحب نجعة الرائد» والثعالبي «صاحب فقه اللغة» وأخواي الاستاذان « عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى» (صاحبا الافصاح) والملاعي للفيروزبادي وابن منظور والرافعي (وهما مصريان) والزمخشري والجوهري ثم البستاني ولويس معلوف وجرجس همام الشويري وهم سوريون وأصدقائي الأطباء مثل محمد عبد الحميد بك وسامي إلياس وشكري مشرق وإبراهيم ناجي في القاهرة

﴿ الثُّبات ﴾ مرض يمنع الانسان الحركة [1] وهذا المرض يعرفهُ الاطباء باللغة الانكليزية باسم كَتَلَبْسِي (Catalepsy)

﴿ الذُّباح ﴾ وهو ورم حارّ في العضلات من جانب الحلقوم وتلك العضلات تساعد على بلع الطعام [2] أي خُرَاجة حول اللوزة وترجمها الى الانكليزية (Peri-Tonsillar Abcess) وينطق بها هكذا : بَرِي تُنْسِلَرْ أَبْسِسْ

﴿ الصُّفار ﴾ دود في البطن يصفرّ منهُ الوجه [3] وهو يُحدث الصُّفَر المعروف عند الاطباء باسم (أنكلستوما) والصفر أعدى من الحرب — ويصيب المصريين في القرى كثيراً ولذلك بُنيت له المشافي في أمهات القرى ومن الواجب أن نطلق على كل منها مستشفى الصُّفَر بدلاً من «مستشفى الانكلستوما»

---

(١) كما في نجعة الرائد للشيخ ابراهيم اليازجي السوري (٢) كما يؤخذ من معجم الطالب لجرجس همام الشويري السوري والخراجة كل ما يخرج بالجسم كالدمل وجمعه المكسر خراج بضم الخاء وفتح الراء فيهما وجمعه السالم خراجات (٣) كما يؤخذ من المنجد للقس لويس معلوف السوري

﴿ البُطَاش ﴾ عرض (٤) يصيب الانسان فيشرب الماء فلا يُروى ويرادف هذا بالانكليزية (ديبسومانيا Dypsomania) . ﴿ السُّلاق ﴾ بثر صغير عند أصول اهداب العين تحمرّ له الأجفان وتتقرح أشفارها (٥) ويرادف هذا كله بالانكليزية (Ulcerative-Blepharitis) ﴿ الزُّحار ﴾ وهو المعروف عند المصريين والأطباء عامة باسم (دوسنتاريا) وقد أذاع صديق الطبيب محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وساعور (٦) جراحيه هذا اللفظ العربي في مؤلفاته الطبيّة منذ ثمان وعشرين سنة في صباح حياته الطبيّة حينما كان طبيب مستشفى قليوب

﴿ القُلاع ﴾ داء يصيب الانسان يتنفّط منه اللسان والشفتان وهذا الداء يعرف بالانكليزية باسم (أفث) «Aphthæ»

﴿ الهُدام ﴾ دُوار البحر وهو داء يصيب مركز الجهاز العصبي فلا يعي الانسان كأنه سُعْمِيَ عليه يصيبه قيء — وأكثر ما يصيب الذين يركبون البحر أول مرة أو الذين لا يكثرون من ركوبه

﴿ الخُنَاق ﴾ داء يعسر منه نفوذ النفس إلى الرئة ويصيب الانسان وغيره كالإبل وهو المعروف بالدفتيريا . ﴿ الكُزاز ﴾ داء يصيب الانسان فيرعد حتى يموت وهو المعروف بالتَّتَنُس Tetanus والعامة تقول عنه تقنوس

﴿ الجُحاف ﴾ مشي البطن عن تخمة وهذا اللفظ العربي المفرد يغني عن لفظتين عربيتين يحققان معناه وهما النزلة المعويّة وقد تحدث عن تخمة كما قال الطبيب النطاسي سامي إلياس

﴿ القُلاب ﴾ وجع القلب ويقال للطبيب المتوفر على علاجه طبيب قُلابي بضم القاف مثل الطبيب القلابي أنيس سلامه ومثل الطبيب القلابي جرجس جرجس الضبع بك

﴿ الكُباد ﴾ وجع الكبد . ﴿ الرُّعاف ﴾ دم يسيل من الأنف

هذا وأرجو أن تتعاون على إذاعة هذه الاسماء العربية بدلاً من الاسماء الافرنجية المرادفة لها حتى تشتهر كما اشتهرت أسماء أخرى لأمراض مثل (الكُسَاح) و(السُّعَال) و(السُّلال) و(الصُّداع) و (الجُذام) و (الطُّحال) و (النُّكاس) وهو معاودة المرض بعد البرء منه

﴿ توجيه ﴾ قال الرافعي المصري صاحب المصباح المنير (المرض حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض ثم قال : قال الاصمعي : قرأت على ابي عمرو بن العلاء — في قلوبهم مَرَض — فقال لي مَرْض يا غُلام) بسكون الراء فعلى هذا يكون مرْض القلب بسكون الراء وغيره بالفتح ولكني أرى ان القراءتين متواترتان والفتح أكثر تواتراً (قراءة حفص)

(٤) أخطأ اللغويون في جعل البطاش مرضاً أي داء . والصواب انه عرض كما يرى الطبيب النطاسي شكري مشرق بالقاهرة فان البطاش يحدث من امراض — وانني انتهز هذه الفرصة فأقول ان كتبنا اللغوية في حوجاء الى تحرير فني من الاطباء فيما يتعلق بالطب ومن الباحثين فيما يتعلق بالنبات ومن المعدنيين فيما يتعلق بالمعادن (٥) كما يؤخذ من معجم الطالب لجرجس همام الشويري (٦) ساعور يعدل اللفظ التركي الباشه حكيم باشي كما قلنا في المقال السابق وقد استعمل هذا اللفظ الامام أحمد فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق ص ١٨ فقال «اني العمامة الضخمة تخفي محاسن الوجه الكبير وتشوه الوجه الصغير فضلاً عن كونها توجع الرأس وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نص عليه الساعور الاكبر»

مكتبة المقتطف

الانجليز في بلادهم

تأليف الدكتور حافظ عفيفي بك — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بقطعة ٤٦٧ صفحة من القطع المقتطف — ثمنه اربعون قرشاً

من المأثور ان اللورد بريس (Bryce) — وقد كان سفيراً لبريطانيا في وشنطن مدة طويلة — وضع أفضل كتاب عن جمهورية الولايات المتحدة الاميركية ونظمها السياسية وحالتها الاجتماعية بوجه عام. ذلك أن من كان مثل بريس مفكراً عميق التفكير، ومؤرخاً ينظر الى التاريخ وحوادثه والنظم السياسية وتطورها بعين الفيلسوف الاجتماعي، وفي الوقت نفسه غريباً عن البلاد التي يكتب فيها وانما تربطه بها روابط اللغة والثقافة والفهم، يستطيع ان ينظر الى حضارتها نظرة عميقة ومجردة عن الهوى في آنٍ واحد

قد لا يكون كتاب حافظ باشا عن الانكليز، خير كتاب أُلّف فيهم، ولكن الامر الذي لا يداخله الريب هو ان هذا الكتاب افضل كتاب عربي في موضوعه، وجدير بأن يوضع الى جانب المؤلفات الغربية، فيظهر عند المقابلة انها لا تزيد في شيء في الناحية التي اخذ بها الموضوع. ولا بدع في ذلك. فقد قضى حافظ باشا سنوات وزيراً مفوضاً للمملكة المصرية في بلاط سانت جيمس، وخالط الانكليز مخالطة الصديق للصديق، علاوة على مخالطة الوزير المفوض لرجال الحكم في البلاد التي يمثل ملكه فيها. وهو الى هذا رجل كامل الثقافة، واسع الاطلاع، دقيق الملاحظة، متوقد الذهن، فرأى ان اجل خدمة يستطيع ان يؤديها لقومه، الى جانب الدفاع عن مصالحهم في بلاد الانكليز، ان يكون رسول صداقة وفهم بين مصر وانكلترا. فأخرج كتابه هذا لقومه ليقرأوه وينفذوا من خلال صفحاته الى نظم الانكليز وتقسيمهم وطبائعهم في الحياة العامة. وبهذا الحال لو اكمل هذا العمل الجليل بالاعراب عن ضمير مصر في كتاب انكليزي يطالعه الانكليز فيكون حلقة اخرى في صلة التفاهم والصداقة بين الامتين

الكتاب ستة ابواب حافلة بحقائق التاريخ المتصلة بتطور الحياة السياسية والتجارية والفكرية في بريطانيا، وقد جمع شتاتها من ملاحظاته الدقيقة ومطالعاته الواسعة النطاق. فقد اشار سعادة المؤلف في نهاية كتابه الى اكثر من ثلاثين كتاباً معظمها بالانكليزية وبعضها بالفرنسية، طالعها وتمثلها في خلال دراسته للانجليز في بلادهم

فالباب الاول موضوعه الدستور البريطاني وهو بحث جامع بين الوصف الحالي والعرض التاريخي

جمعاً مزرياً . وعندنا ان هذا الفصل هو محك الكتاب . ومطالعتهُ تثبت ان المؤلف اجاد اجادة قليلة النظير . ذلك ان الدستور البريطاني ، لا يمكن ان يفهم الاَّ اذا عولج من ناحيتي التاريخ والوصف في وقت واحد . فهو ليس دستوراً مكتوباً في وثيقة واحدة ، قائماً على قواعد جامدة ، بل هو جانب من حياة الامة البريطانية في ناحية تدبير شؤونها العامة ، تسلسل معها على مر العصور وتطور بتطور حاجاتها وذهنيتها ومقتضيات العصر والحياة . فاذا حاول كاتب ان يقول لك ان القاعدة في نظم بريطانيا هي كيت وكيت فقد تستغربها وقد تستهجنها وقد تستبعدها . ولكنه اذا ارفق قوله ، بذكر مراتب التطوُّر التي مرّت بها تلك القاعدة ، وصلة ذلك باحوال العصر ، اصبح الدستور في نظرك شيئاً حيًّا ، واصبح لما تراهُ فيهِ من المفارقات مغزًى يعينك على الفهم

راجع صفحة ٤٨ وما يليها في موضوع « فصل السلطات » في الدستور البريطاني . فقد أشار المؤلف اولاً الى ما كتبهُ مونتسكيو وبلاكستون في هذا الصدد وكيف اعتبر الدستور الانكليزي احسن مثال لفصل السلطات في وقتها . ثم بيّن ان هذا المبدأ اخذ يضعف بنموّ مبدإ المسؤولية الوزارية . ولذلك خالف « بايجهو » الفيلسوف منتسكيو في نظرية فصل السلطات وقال ان آثارها ضعيفة في الدستور البريطاني الآن

خذ مثلاً استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية . فقد اثبت ذلك سنة ١٧٠١ بقانون . ومبدأ استقلال القضاء معمول بهِ من ذلك التاريخ ولكن قانون سنة ١٧٠١ قانون عادي ويملك البرلمان تغييرهُ كما يملك اقالة اي قاضٍ من القضاة ولو انهُ لم يستعمل هذا الحق الى الآن . بل للبرلمان ان يصدر قوانين مخالفة لاحكام المحاكم . ثم ان مجلس اللوردات وهو جزءٌ من السلطة التشريعية ، هو كذلك السلطة القضائية العليا في البلاد . ورئيس مجلس اللوردات هو رئيس الهيئة القضائية اي وزير الحقانية فهو اذن احد اعضاء الهيئة التنفيذية . او خذ موضوع صلة السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية . فقد اتجهت سياسة البرلمان الانجليزي في السنين الاخيرة ، نظراً الى كثرة اعماله وتشعبها وتعقدها ، الى تحويل جانبٍ من سلطتهِ التشريعية الى الوزارة وهو ما يسميه الانكليز « السلطة بالوكالة » Delegated Powers ثم بيّن المؤلف ايضاً من نواحي هذا التحويل وما يوجه اليه من النقد . ثم ذكر كيف اعطيت السلطة التنفيذية بعض السلطة القضائية مثل حق مصلحة الجمارك النظر في القضايا الخاصة بالتهريب . وهذه جميعها حقائق قد تربك القارىء وتشوش ذهنه ولكن اتبع تعليق حافظ باشا عليها ، وتأمل فيهِ تخرج من تشويش هذه الحقائق اتساقاً ييسر لك الفهم : قال

«لهذه الاسباب يرى ان السلطات في بريطانيا ليست منفصلة انفصالاً تامًّا في الوقت الحاضر ، ولكنه ينبغي الالتفات الى ان ذلك الامتزاج التدريجي انما حصل تحت ضغط الحوادث القاهرة . لا رغبة في العدول عن مبدإ فصل السلطات . والواقع انهُ لم يحصل الى الآن في انكلترا طغيان من سلطة على اخرى مع ان الباب مفتوح على مصراعيه لاعتداء كل سلطة على حقوق الاخرى ، ويرجع

هذا من جهة الى تلك الفضيلة البارزة في اخلاق الانكليز السياسية وهي الشعور بالواجب واحترام حقوق الغير . ومن جهة اخرى الى استعدادهم الدائم متيقظ لوضع الامور في نصابها . وقد كان من نتائج هذه المرونة في اساليب الانجليز السياسية ان زاد التعاون بين السلطات المختلفة وقلت الشكوى من تعطيل المشروعات وتراكمها أمام مجلس العموم ومجلس اللوردات ، كما هو حاصل في جميع البلاد الدستورية الاخرى ، بعد ان صار لمجلس العموم الحق في ان يخل الى الوزارة تحت اشرافه عمل تشريع لاية مسألة ذهنية او مستعجلة . وان استمرار البريطانيين على احترام هذه التقاليد الدستورية قد جعل من هذا الدستور العتيق آلة ديمقراطية على احدث طراز لانها دائمة الاصلاح تتحرك باستمرار بدقة وانتظام فلم تقف عن العمل في اي دور من ادوار حياتها »

وبهذا الحال لو اتسعت هذه الصفحات لبيان حسنات هذا الكتاب النفيس في ما تناوله من شؤون الصحافة والتعليم والاعمال من وجوهها المختلفة . ولكننا سقنا ما تقدم مثالاً ناهضاً على ما حفلت به صفحاته من الدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي نرى ان لا مندوحة لنا عن فهمها وتمثلها نحن الشرقيين ، وقد اخذنا نتطلع الى انظم الديموقراطية الصحيحة لنبني على قواعدها حياتنا القومية الجديدة . وكتاب حافظ باشا في هذا العدد دليل هادٍ

اسرار الطفولة وخفايا الشباب

تأليف ميلاد كفوري — طبع بمطبعة المجلة الجديدة — ثمنه ٨ قروش
يطلب من المكتاب ومن المؤلف بالجامعة الاميركية بالقاهرة

نشرنا في باب مملكة المرأة جانباً من فصل نفيس احتوى عليه هذا الكتاب المفيد . ولعل افضل كلمة نقدمها للوالدين والمدرسين ما قاله الدكتور امير بقطر في مقدمته : خيل اليّ وأنا اتصفح هذا السفر الصغير انني التمس جوهر الحقيقة في دياجير اغوارها كحجر الماس لا يلتقط الا في ظلمات المناجم . وهل في هذا ما يدعو الى الغرابة ؟ اليست الطفولة جبارة عتية ؟ اوليست الشبيبة متقاربة النواحي ، متشعبة المعارج ؟ وكيف يتسنى لامرىء ، درس الطبيعة الانسانية واختراق حجب اسرارها بغير ان تقطع عليه وعورتها السبيل ؟ . . . ان الموضوعات التي طرقها المؤلف في هذا السفر الصغير ان هي الا نظرة عجلى القاها على الطبيعة البشرية ، وليست الا جولات صغيرة في ميدان الطفولة ، والشبيبة . . . . فهي ترغب من له اتصال بجماعات الاطفال والشبان في التعمق في مثل هذه الابحاث ، واستيعاب بعض ما وصلت اليه الجهود العلمية من احدث النتائج وتطبيقها تطبيقاً علمياً محمود العاقبة يتفق وطبيعة الافراد ، واختلاف نزعاتهم وميولهم . . . . »
ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف عارضاً آراء علماء النفس فيها . الغيرة والبكاء واغلاط الاطفال والخوف والتأديب واختلاط الجنسين وغير ذلك من الموضوعات التي تهم جميع المربين سواء الوالدين منهم والمعلمين

تاريخ الصحافة العراقية

معجم مفصل لجميع الصحف والمجلات والنشرات الدورية التي صدرت في العراق منذ عهد مدحت باشا حتى اواخر سنة ١٩٣٣ . عني بتأليفه الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني ، صاحب المؤلفات والمباحث المعروفة في شؤون العراق .. وكتب مقدمته الاستاذ الفيكونت فيليب طرازي مؤلف كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ووصف الكتاب ومؤلفه في هذه المقدمة فقال :

« اما الكتاب الذي نحن بصدده فهو خليق بالثناء من وجوه شتى ، لانهُ جمع بين دفتيهِ خلاصة اخبار « صاحبة الجلالة العراقية » بدقة واقرة . وتضمن على صغر حجمه عناوين جميع الصحف التي ابصرت النور في تلك المملكة الفتاة مع اسماء منشئيها ومكان طبعها وتواريخ صدورها »

واقتتح المؤلف كتابه ببيان ما لقيه من عقبات في سبيل بحثه لقلة المراجع واهمال الحكومة واصحاب المطابع تدوين اسماء المطبوعات الدورية

ويؤخذ مما اوردهُ في مقدمته انه لم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ غير ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة باللغتين التركية والعربية مرة في الاسبوع في كل من مراكز الولايات الثلاث : بغداد ، والبصرة ، والموصل

فلما اعلن الدستور ، انتعشت الافكار وانتشرت الصحافة في الامبراطورية العثمانية انتشاراً عظيماً فكان العراق احد الاقطار التي شم شذاها واقبل عليها اقبالاً كبيراً . فصدرت فيهِ خلال ثلاث سنوات زهاء سبعين جريدة بين سياسية وادبية وهزلية

ثم ضيَّق الاتحاديون الخناق على الكاتبين والمحررين والمفكرين فقلَّ عدد الجرائد والمجلات العراقية

ولما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التي تروج مبادئهم وتحسن للناس سياستهم . فاصدروا جرائد : الاوقات العراقية ، والاوقات البصرية في البصرة ، العرب ودار السلام في بغداد والموصل والنادي العلمي في الموصل ونجمه في كركوك وسليماني وبيشكوتن في السليمانية الخ الخ

وبلغ عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العامة ٢٠ مجلة والمجلات التي صدرت بعد الحرب العامة الى نهاية سنة ١٩٣٣ — ٤٨ مجلة والصحف التي صدرت بعد الحرب وفي اثنائها ٦٩ جريدة بين ادبية وسياسية

والصحف التي صدرت بعد الحرب ١٤٤ منها ٦٠ جريدة اسبوعية و٨٤ ادبية . والكتاب على ما فيهِ من اجمال وابتعاد عن التفصيل لتاريخ الصحافة العراقية والمشتغلين بها والقوانين التي سنت للصحف في الوزارات المختلفة ، يعد وثيقة لها قيمتها عند من يعنون بتاريخ الادب الحاضر والصحافة العربية في انحاء العالم . وثمن النسخة من هذا الكتاب ٥٠ فلساً . ويطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة الاعتدال في النجف الاشرف

توفيق حبيب

بحث في الطائفة الاسلامية في فنلندا

بقلم الدكتور بشر فارس

نشر الدكتور بشر فارس في مجلة البحوث الاسلامية الفرنسية بحثاً جليلاً طريفاً عن الجماعة الاسلامية في فنلندا لم يطرقه باحث عربي من قبل لذلك رأت المجلة الفرنسية الكبرى نشر هذا البحث على حدة بعد نشره في صلبها فأصدرته بشكل كراسة هي التي نعالجها الآن

يبدأ الدكتور بشر فارس بحثه بذكر تاريخ هجرة المسلمين الى فنلندا فيقرر ان اصلهم من الاتراك والتتر غادروا روسيا على اثر الثورة البولشفية وهاجروا الى الشمال فأقاموا في فنلندا وكانوا قبلاً يعرفون هذه البلاد لاتصالهم التجاري بها

ويحصي الباحث عدد هؤلاء المسلمين الذين يبلغون ٦٤٨ اي نحو من ١٠٠ عائلة موزعة في سبع عشرة مدينة وقد اعترف مجلس الشورى بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٥ بالطائفة الاسلامية رسمياً . وتخضع الطائفة الاسلامية للشريعة القرآنية الكريمة في الاحوال الشخصية فالزواج مثلاً يعقده الامام والوفيات تسجل في دفاتره وما زال هؤلاء يعملون بالعادات الاسلامية كدفع المهر في الزواج ولوحظ ان بعضهم قد يتزوج من نصرانية ولكن بنيهم يقيدون في دفتر المسلمين . ويدرس صغار المسلمين في فنلندا القرآن الشريف باللغة العربية ويطالعون تاريخ الاسلام وتاريخ تركيا على الاخص باللغة التركية. اما اللغة العربية فلا يحسنون منها الا المبادىء الاولى والا التجويد . ولهم مدارس في القرى ويقيم ادباؤهم المحاضرات بين حين وحين . وهم مثقفون بالثقافة التركية وملتفتون نحو انقرة يعيدون عيد استقلال تركيا ويعلقون رسم الغازي في منازلهم

وفي فنلندا ثلاثة مساجد وحيث لامسجد لهم يجتمع المؤمنون في دار احدهم للصلاة يوم الجمعة وليس في فنلندا سوى امام واحد مأجور من المسلمين وحيث لا امام يتولى الصلاة اعرفهم باصول الدين ويقيمون الاعياد الدينية ويوزع الاغنياء العطايا والحسنات على الفقراء . والصيام عندهم غير اجباري في ايام يونيو ويوليو الطويلة ولكن يصوم من يريد في شهر آخر

وقلما حج مسلمو فنلندا الا واحد منهم . وتنعم المسلمة في فنلندا بالحرية نظير اختها الفنلندية ولكنها لا تراقص مثلاً فنلندياً وقد قال لي واحد : ان هذا الامر لن يطول

بمثل هذه التفاصيل القيمة يشرح الدكتور بشر احوال هذه الجماعة التي اكتشف مقرها وأبان ظروفها وموقفها الرسمي ازاء الحكومة وقليلون الذين كانوا يعلمون ما كتبه الدكتور عنها . وفي الكراسة رسوم وصور الامر الاسلامية ومدارس المسلمين وانديتهم الرياضية والاجتماعية

ويزيد هذا البحث فضلاً ان صاحبه زار فنلندا بنفسه وخالط هذه الجماعة الكريمة ونزل بينها اياماً يبحث ويدقق ويتفهم ولا شك ان كشف الدكتور هذه « المستعمرة الاسلامية » في اطراف

اوربا عمل جليل يستحق من اجله كل الشكر لانه سهل للمؤرخين الذين يعنون بشؤون الاسلام مهامهم ووضع بين ايديهم وثيقة جديدة مكتوبة بصدق وامانة وعلم . وعلى ذكر ذلك نقول ان مجلة البحوث الاسلامية التي غنيت بنشر بحث الدكتور بشر فيها ثم بنشره على حدة هي لسان حال المستشرقين الفرنسيين يديرها حضرة المستشرق الكبير الاستاذ ماسينيون

قصص للاطفال

١ — قصص جغرافية — لكامل كيلاني — تولت طبعها ونشرها المكتبة العصرية بمصر
٢ — قصص علمية — لكامل كيلاني —

الحمد لله اننا بدأنا نلمس اثر الجهود التي بذلها روّاد مطالعات الأطفال في ما تنشره المطابع العربية الآن من قصص متنوعة الموضوعات والاشكال غرضها ان تبعث النشوة والسرور في نفوس الصغار وتحبب اليهم المطالعة العربية : ولا تزال كتب كامل كيلاني — وقد كان سبّاقاً في هذا الميدان — من خيرة ما تخرجه المطابع للاطفال ، شكلاً وموضوعاً واسلوباً ، وقد سبق لنا أن اشرنا الى بعض ما صدر منها في حينه . وأمامنا الآن قصص جغرافية للأطفال وفيها قصة رحلة لفنجستون الى قلب افريقيا . ومن حسنات المؤلف في هذه القصة ، انهُ عمد ، وقد تقدّم الأطفال الذين طالعوا قصصه السابقة في المعرفة والفهم ، الى تقطيع حديث الرحلة الأخاذ بفصول تفسيرية بديعة تناول فيها بعض الحقائق الجغرافية والتاريخية والأدبية المقترنة بالأنهر والجبال والغابات والشلالات وغيرها مما ورد ذكره في خلال القصة . وهو اسلوب مفيد اذا احسن المربي استعماله

أما كتاب القصص العلمية فيتناول فيهِ المؤلف حقائق معروفة ومشهورة ، وهي مع ذلك لا تخلو من غرابة، في التاريخ الطبيعي من حياة الحيوان والنبات في اسلوب قصصي . وفي آخر هذا الكتاب معجم لغوي للالفاظ العربية الصحيحة الخاصة بنسل الحيوانات المختلفة واجناسها ، وفصل وقفهُ على حياة النحل ويليه الالفاظ العربية الخاصة بالنحل ثم هناك معجم آخر لاعلام الحيوان ، وهذه المعاجم مما يكفي المربي مؤونة التفتيش في المطوّلات ساعات طويلة احياناً رغبة في العثور على كلمة واحدة

ومما لا ريب فيهِ ان لمؤلف هذه القصص فضلاً كبيراً على تنشئة الاطفال المتكلمين اللغة العربية ولذلك سرّنا صدور كتيب في ٩٥ صفحة يحتوي على ما قيل في حفلة تكريمه وعلى مختارات مما نشرته الصحف والمجلات الكبيرة في وصف مؤلفاته . ولكننا والحق يقال لم نستحسن عنوان « نقيب الادباء وملشيء الجيل» . وليس شعورنا هذا مصبوباً على هذا العنوان بحد ذاته ولكنهُ يتناول كل ما كان من قبيله من اصباغ الالقاب العامة على المؤلفين والكتّاب بحيث اذا مضينا في ذلك سنة اخرى او سنتين ، اصبحنا وكل كاتب أو اديب اميراً او نقيباً او ما الى ذلك من الالقاب التي لكثرتها قد تضيّع معناها ومغزاها فتختلط الاحكام وتضطرب المقاييس

شعر ابي شادي الجديد

١ — فوق العباب
٢ — الكائن الثاني

اذا تثقف عقل الشاعر من دون أن تطغى الثقافة على الشعور الدقيق والحس المرهف ، جلا لنا من عجائب الكون والحياة صوراً تغذي العقل وتهز النفس معاً . وهذا شأن ابي شادي ، في الغالب في ديوانيه الاخيرين . فالشاعر فيهما لم يكتف بترديد المعاني المطروقة في الغزل والنسيب وغيرهما من أغراض الشعر ، ولكنهُ ارسل القوافي تبحث عن الجمال الاعلى في عجائب الحياة ورحاب الكون متأثراً بالنظرات العلمية الحديثة ، حتى لترى بين قصائد السفرين موضوعات تحسبها عنوانات لكتاب علمي . ولكن أبا شادي لم يكتف — وأي شاعر يكتفي — بسرد الحقائق العجيبة التي كشف عنها العلم او انطوت عليها النظريات العلمية الحديثة ، بل دمج ذلك في الاعراب عما تركتهُ تلك المعاني في نفسهِ الشاعرة من الاحساس بالجمال والعظمة والتصوف ومعاني الانسانية السامية ، ولعل قصيدة « الأشعة الكونية » التي تفضل فأهداها الى رئيس تحرير هذه المجلة بعيد صدور كتابهِ «فتوحات العلم الحديث» من أبلغ الامثلة على ما ذكرنا . فقد أشار الى نظرية ملكين في تولد هذه الاشعة بقولهِ

امن الهواء اتيت منح عناصر تُسبى فكنت لها شهود عيانِ
ام من فناء الايدرجين تحولاً فيعود في النيترون ذاك انبائي

ولكن هذا التقرير لا يكفي الشاعر فيقول

من أين مصدرك الكريم الباني يا مأمل الأحياء والانسانِ
من نفخ خلاق الحياة فروحهُ روح الحياة وشعلة الايمانِ
ليست رحاب الكون غير رحابهِ والكون غير فتونهِ الفتانِ
جعل التفجر مبدأً لفنونهِ كتفجر الأطياف بالألوانِ
فاذا انبثاق الكون يوم اول (١) واذا المجرّة منهُ يوم ثانِ
واذا نظام الشمس يوم ثالث خلقتهُ صدفة ساحر فتانِ (٢)
واذا الحياة قصيدة علوية من هذه الأيام والأوزانِ

ومن هذا القبيل قصيدتاه في بلوطو (السيار التاسع الجديد) وما وراء المجرّة فقال في الثانية عن العدم التي خارج المجرّة

عوالم لا تحصى ولا هي تعرف ويا ربما المجهول منها المعرّفُ

(١) هنا الاشارة الى رأي ليتروده سند وغيرهما في تفجر الكون وتمدده (٢) الاشارة الى اقتراب شمس من شمسنا فامدت فيها مداً وان بعد احتمال اقتراب مثل هذا يجعل ما حدث من قبيل الاتفاق او الصدفة

تناهت تناهت في الفضاء الى مدى يقصر عنهُ العالم المتهدف
فما قنصتها بؤرة[1] العلم مرة وان لم يفتها الشاعر المتصوف
رأى من وراء الكون آيات غيره يخط من النور الالهي يخطف الخ
ثم قال شقت هذا الكون حتى فضاؤه ومن خلفهِ عقل دقيق ومنصف
كأن رحاب الكون وجدان شاعر فكل فضاء فيهِ حيٌّ مثقفُ
وفيها «كونتات»[2] الحياة أجنةٌ وفيها من الذرات ما لا يؤلف
ولكنما للشعر من لبناتها عوالم باللحن السماوي تعزف

ولم يقصر الشاعر عنايته بهذه الموضوعات على الطبيعة والفلك الحديث بل تناول نواحي فتانة من التاريخ الطبيعي لا يتسع هذا الباب لدراستها جميعاً دراسة وافية . ومع ان الاندماج بين تقرير الحقائق العلمية والتعبير عن الشعور الذي توحي بهِ الى النفس لم يبلغ بعد ذروتهُ في هذا الضرب من شعر ابي شادي ، الاَّ ان الظاهرة في الشعر العربي جديدة تستوقف النظر فيسرنا أن نسجلها

نشأة الدولة الاسلامية

تأليف أمين سعيد . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاهُ . سنة ١٩٣٥

التاريخ الاسلامي كله لا يزال مادةً مبعثرةً منشرة ما بين كتب التاريخ التي ألفها سلفُنا الامناء على الرواية في غير تبديل ولا تحريف وبين كتب الحديث والادب والشعر والمحاضرة وكتب الفقه الاولى كالام للشافعي وكتب الرجال الكثيرة . هذا على ان اكثر كتب التاريخ العربي لم تطبع بعد ككتاب التاريخ الكبير للمسعودي صاحب مروج الذهب وهو اكبر من تاريخ الطبري بكثير وفيه تفصيل للحوادث الكبرى في تاريخ الاسلام ثم ان كثيراً من امهات الكتب العربية قد ضاع كله او بعضه ككتاب أنساب الاشراف للبلاذري وغيره

أجلنا هذا لنعلم قدر ما يقاسيه طالب التاريخ وكاتبه من المشقة في تأليف مادة الحوادث التي يريد ان يجمعها ثم ينقدها ثم يؤلف بينها ثم يصل بين بعضها وبعض حتى يستوي له الوجه الذي يكتب عليه اعظم تاريخ واحفله وأروعه . ولا تنسَ ان مؤرخي العرب قد خفي عليهم ان يكتبوا كتباً مفردة في الاجتماع العربي والاسلامي من اول عهده الى عهودهم فعلى الكاتب ان يتتبع ذلك في كل كلة وحادثة من كتب اللغة الى كتب الفقه الى كتب التاريخ وغير ذلك حتى يكتب التاريخ كما يجب لا كما يتخيل

ونحن احوج الامم في هذا العصر الى الكتاب الذين يتولون نشر الكتب في تاريخنا الاسلامي

(١) أي عدسة التلسكوب المقربة (٢) مقادير الطاقة بحسب نظرية بلانك

العربي ، فان كل كاتب يؤلف من المادة التي تجتمع له كتاباً مهذباً يؤدي الى كل من يأتي بعده بدأ وحساناً ، ويمهد له سبيلاً مهما اختلفت الآراء وتباعدت المذاهب بل ربما كان هذا الاختلاف هو مهد الحقيقة الثابتة فيه تنمو وتمتد حتى تتكامل على الصورة المبينة التي لا لبس فيها ولا ابهام

وهذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ امين سعيد هو من طلائع المؤلفات الجيدة في التاريخ الاسلامي فقد رتبه فأحسن ترتيبه واستخلص من امهات كتب التاريخ مادته كما انتقاها واختارها وجرى فيه على مدًى غير مضطرب يصل اول الامر بآخره على نسق واحد متجنباً ذكر اختلاف الرواة لئلا يشق بذلك على القراء الذين يريدون ان يتعرفوا الى التاريخ الاسلامي كما تعرفوا الى غيره من التواريخ في غير اضطراب ولا مشقة

***

بدأ المؤلف تاريخه كما يجب ان يُبدأ بمختصر وافٍ لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه وما أحدثتهُ الدعوة الاسلامية في نفوس الامة العربية . ولم يخلُ هذا الباب في السيرة النبوية من رأي صائب قد تفرد به الاستاذ وأضافهُ الى الحقائق التي تعتمد فيما بعدُ في كتابة تاريخ منفصل لهذا العهد الاول وهو عهد الرسالة

ثم انتقل من ذلك العهد بفصل جيد ذكر فيه تأثير وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب حتى كان اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة ، وهنا بدأت الطامة الكبرى التي كادت تودي بالمسلمين ألا وهي حرب الردة لولا حزم ابي بكر وعمر وائمة الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد استوفى المؤلف الكلام على حرب الردة وبين وقائعها واحدة واحدة وبخاصة ما أتى به خالد بن الوليد من دقة التدبير الحربي الذي أهله فيما بعد ليفتح العراق ثم الشام . وبعد ان فرغ من حرب الردة أزمع أبو بكر رضي الله عنهُ ان يفتح العراق فأرسل جيشه . وهنا يبدأ جزء مهم من الكتاب هو فتح العراق وفارس استقصى فيه المؤلف ما وصل اليه من علاقة العرب بالفرس في ايجاز جميل يوضح تاريخ هذا العهد بعض التوضيح . وقد كان قطب هذا الفتح القائد العربي النابغة (خالد بن الوليد) الذي مهد للمسلمين اسباب النبوغ الحربي ، وكان كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سيفاً من سيوف الله) وقد أحسن المؤلف في افراده ترجمة موجزة لخالد في هذا الموضع من الكتاب فان خالداً بعد ان استقرَّ به القرار وانذر كسرى فارس بالهجوم في موقعة فاصلة انتقل الى حرب الشام بجزء من جيشه بعد ان استخلف على بقية جيش العراق وذلك في خلافة عمر ابن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه . وعلى هذا النسق يستمر الاستاذ امين في عرض تاريخ الاسلام عرضاً صحيحاً حتى آخر عهد عمر وقد كان عهده عهد الفتح الاكبر في دولة الخلفاء الراشدين

وننبه القارىء الى فصل جيد في آخر الكتاب فيه تلخيص أمهات المسائل التي تعرض لها المؤلف وتعليقٌ عليها « يساعد ايرادهُ على فهم كثير من حقائق التاريخ ويميط اللثام عن بعض خفاياهُ »

باب الأخبار العلمية

انباء زراعية مفيدة

[نقلها عوض جندي]

﴿ آفة الصدإ ﴾ تنتاب الحبوب طائفة من النباتات الطفيلية الدقيقة ، من فصيلة الفطريات فتحدث في محصولاتها عجزاً كبيراً . وأخص الحبوب التي تصاب بها ، القمح والزمير والشعير وقد ينجم عنها أيضاً آفات شديدة في الجويدار والفول والبرسيم والذرة المصرية والذرة العويجة « الدخن » وبعض الثمار ذات الحجم « النوى » وتسطو على الخشب عند قطعه من الغاب فتحدث فيه تلفاً شديداً

ولا مراء في القول ان آفتي الصدإ والحميرة قد عمتا العالم بأسره . وهما تتولدان من جراثيم على هيئة أجسام ترابية دقيقة جداً لا تراها العيون المجردة ، وانما يتاح للمرء رؤيتها بالمجهر. وتتغذى جراثيم صدإ القمح ، في اطوارها المختلفة بصنفين من النبات يسميها علماء النبات بالنباتات الآوية للجراثيم . ومنها الحنطة والبرباريس

ولو فحصت ورقة من اوراق البرباريس لوجدت جانبها السفلي يكنّ جماعة من جراثيم برتقالية اللون ، تختبئ في شقوق صغيرة يسميها علماء النبات كؤوس المناقيد . ولما كانت تلك الجراثيم أخف من ذرات الغبار ، فتستطيع الريح نقلها ، شذر مذر الى مواضع نائية حيث تسقط على سيقان القمح وهي غضة فتستكنّ هناك بين خلايا الحية وتشرع في التفريخ فتنتج جرثومات خيطية الشكل تعرف باسم جراثيم الفطر وهي تشبه البذور . ومتى احتلت تلك الجراثيم سيقان الحنطة واتخذتها مراعي خصبة لها ، رأيت هاتيك الخريطات (الغيدان الشعبانية) تترعرع بينما نبات القمح النافع يقف نموه الطبيعي ويذوى . ثم يظهر محصول الجراثيم الصيفي ، قبيل زمن الحصاد كأنهُ خطوط أو نقط صدإ . وذلك على اوراق القمح عادة ، وقد تظهر على سوقه أيضاً . وهذا هو المرض النباتي المعروف باسم الصدإ الاحمر للقمح . ولما كانت الريح تبثّ تلك الجراثيم في كل مكان فانها تسقط على ما يصادفها من النباتات المتاخمة لها حيث تأخذ في التفريخ عاجلاً وتتفشى عدواها تفشياً ذريعاً في ابان فصل النمو ، حتى اذا اوشك الصيف على الانتهاء ظهر الصدأ الاسود على سوق القمح كجماعات من جراثيم الشتاء القاتمة اللون

ومتى حلّ فصل الربيع الثاني ، شرعت تلك الجراثيم في التفريخ فيتولد منها خريطات تنتج جراثيم اكثر عدداً تطيرها الريح الى أوراق

نبات البرباريس وهي مستعدة على الدوام لاستئناف كرّتها القتالة

﴿ آفة الخميرة ﴾ تتولد خميرة القمح والزمير والشعير من تلك التقاوي بجراثيمها عند بذرها فترى تلك القطريات تسطو على النباتات الصغيرة حالما تنبت على سطح الارض وتتبعها في نموها فتختلس غذاءها فتحول دون قيامها بتكوين بذورها . وحينئذٍ ترى النبات عاجزاً وتأوي اليه جماعات كثيرة من جراثيم الخميرة الملوثة التي تعد بالملايين فتتحد بعضها ببعض وتعلق بالحبوب السليمة عند عمليتي درس القمح والتصرف فيه وهذا مصدر الضرر الذي يلحق المحصول التالي

اما خميرة القرة طنبدية فيختلف منشؤها عما تقدم وصفه لانها لا تتولد من التقاوي الملوثة بل من الجراثيم نفسها التي تكون قد انقضى عليها فصل الشتاء كامنة اما في باطن التربة واما في السماد التي تسمد به الارض ، ومتى حل فصل الربيع انتجت تلك الجراثيم جراثيم اخرى تنشرها الريح في ارجاء الحقول حيث تتخلل النباتات الغضة . وهناك تكون نوامي كأنها بثور كبيرة يسودّ لونها شيئاً فشيئاً حتى تتولد « كسرى الخميرة »

﴿ اصناف الخمائر النباتية ﴾ تنقسم الخمائر النباتية الى ثلاثة اصناف وهي : اللينة والخفية والجلية . فاللينة تجعل السنابل الصغيرة مثل كتلة قاتمة اللون تعبث بها الريح فتبعثرها وتترك هيدانها مجردة . اما الخميرة الخفية فتؤثر في السنابل ولكنها تبقيها على سيقانها حتى زمن الحصاد — والخميرة الجلية تؤثر في جنين القمح وهي افتك الآفات التي تعتري القمح لانها قد تتلف نصف محصوله ، وتجعل رائحته كرائحة السمك المنتن . ويعلق خبراء الزراعة آمالاً وطيدة على وقاية المحصولات من آفة الصدإ باستيلاد اصناف جديدة من الحبوب تقوى على مناوأة الفطر

وقد يساعد تناوب المحصولات على علاج التربة المصابة بالصدأ كما ان فرط الازوت او الرطوبة يسهل التعرض للاصابة به . وثبت من التجارب التي جربها العلماء في هذا الموضوع ان بيئة البرباريس ليست من مستلزمات الاصابة بالصدإ على الدوام ولكنها تزيد انتشار الطفيليات

ويرى العارفون ان آفة الخمائر ايسر من آفة الصدأ استئصالاً بالوسائل العلمية الحديثة المستعملة لوقاية المزروعات . وسبب ذلك ان جراثيم الخميرة تتعلق بظواهر الحبوب فتسهل ابادتها بالمواد المطهرة قبل البذر ، وذلك بثلاث وسائل : وهي الماء الساخن ، والفورمالدهيد ، وكبريتات النحاس

ثم ان البذر المبكر احتياط مفيد للوقاية من آفتي الخميرة والصدأ

﴿ الطلق يبيد خميرة الشعير ﴾ الطلق هو المادة الاساسية التي تدخل في صناعة الدرور — البودرة . وقد ظهر بالامتحان الذي قام به معهد التجارب الزراعية التابع لحكومة آيوى ان للطلق شأناً عظيماً في ميدان مكافحة الآفات الزراعية كالذي له في ميدان التبرج الصناعي اذ جعلوه قواماً لمسحوق سام مكوّن من بيكربونات الصودا وكبريتيت الصوديوم وغيرها من المواد الكيميائية

أجزاء الخامس من المجلد السادس والثمانين

صفحة

٥٠٩ الطبيعة في ربع قرن
٥١٣ من أندية العلم
٥١٦ نشأة الفن الاسلامي : لاحمد فكري
٥٢٠ احتضار الغرب : لعلي حسن الحاكم
٥٢٧ تاريخ الديموقراطية في الصحة والعلاج : للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك
٥٣٣ اغلاط التصنيف في الحيوانات الدنيا : للامير مصطفى الشهابي
٥٣٩ كفاح الانسان ضد المرض
٥٤٨ الكان : لنقولا الحداد
٥٥٤ الفرقان (نشيد) : لالياس ابو شبكة
٥٥٧ الجزء الضائع : للدكتور احمد زكي ابو شادي
٥٦٦ نظم الرحلات الجوية
٥٦٩ مجردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٥٧٣ الديمقراطية والتعليم عند قدماء المصريين : للدكتور حسن كمال
٥٨١ الديمقراطية والتعليم : للدكتور امير بقطر
٥٨٥ الحياكة وآثارها الفخمة : لنقولا شكري
٥٩٢ الذرة في انابيب التجارب العلمية

---

٥٩٣ في سير الزمان : روح اليابان ورسالتها : للجنرال اراكي . ستانلي بولدون : صورة قلمية
٦٠٣ باب حديقة المقتطف : المساكين : لفكتور هوغو . الفتاة الاجنبية : للدكتور بشر فارس . الدمعة : لالياس زعرور . الخريف : لالفونس دي لامرتين
٦٠٩ باب ملكة المرأة : في معرض ايي تمر : للدكتور ابو شادي . الصحة والزواج . المرض امتحان . هواجس فتاة جميلة . نصيحة لفتاة تخشى الحياة . الاعمال المنزلية . بين طفل وعنكبة . تنظيم حياة الطفل . تعليم البنات في انكلترا
٦٢١ باب المراسلة والمناظرة : ارشاد لغوي : للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
٦٢٣ مكتبة المقتطف ● الانجليز في بلادهم . اسرار الطفولة . تاريخ الصحافة العراقية . الطائفة الاسلامية في فنلندا . قصص للاطفال . ثمر ابي شادي الجديد . نشأة الدولة الاسلامية . الادب العربي في آثار اعلامه . من حي الى ميت . مفتاح العقول . مجلة اوريان
٦٣٤ الاخبار العلمية ● آثاء وزراعة مفيدة : لعوض جندي باريس